

دار نآراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

\*

**صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين**

**رئيس التحرير: بدران أحمد حبیب**

\*\*\*

**هارون الرشید**

العنوان: دار نآراس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربیل - كُردستان العراق

# هارون الرشيد

مسرحية

تأليف:

موكرى

مراجعة:

محمود عبدالصمد

ترجمة:

غفور صالح عبدالله

اسم الكتاب: هارون الرشيد - مسرحية

تأليف: موكرى

ترجمة: غفور صالح عبدالله

مراجعة: محمود عبدالصمد

من منشورات نآراس رقم: ٥٠٧

الإخراج الفني والغلاف: آراس أكرم

التصحيح: أوميد البناء

الإشراف على الطبع: عبدالرحمن الحاج محمود

الطبعة الثانية: اربيل - ٢٠٠٦

رقم الإيداع في المكتبة العامة في اربيل: ٢٠٠٦/٧٦٢

- ٥- الكامل- عزالدين علي بن الأثير/ ج ٢/ ص ٤٥-٤٧ .
- ٦- البلعمي/ ص ١١٨٢ .
- ٧- مروج الذهب.
- ٩- مروج الذهب - علي بن حسين المسعودي- ج ٢ ، / طهران/ ص ٣٣٨ .
- ١٠- تاريخ الرسل والملوك/ كبري/ ترجمة ابو القاسم ثانيده/ ج ٢/ طهران، ص ٧٥٥ .
- ١١- د. ر. ناث، والبروفيسور گلديزهر- اسلام در ايران شعوبية- باللغة الفارسية.
- ١٢- فيل دورينت- تاريخ التمدن- عصر الايمان- القسم الثاني/ ترجمة ابو القاسم يابنده- طهران- ص ٧١-٧٢ .
- ١٣- سريل الكوفر- تاريخ الطب في ايران القديمة- باللغة الفارسية.
- ١٤- ابو حنيفه احمد داود الدينوري/ أخبار الطوال/ ترجمة الدكتور محمد مهدي الدامغاني/ طهران، ص ٤٢٨ .
- ١٥- ابو الفرج الاصفهاني- الأغاني/ ج ٢، ص ٢٨١- باللغة الفارسية.
- ١٦- جرجي زيدان- تاريخ التمدن الاسلامي/ ترجمة علي جواهر كلام/ طهران/ امير كبير/ ج ١، ص ١٤٩٠ بالفارسية.
- ١٧- ابو الفرج الاصفهاني/ الأغاني/ ترجمة الدكتور محمد حسين المشايخ الفريديني/ طهران/ بالفارسية.
- ١٨- ادوارد براون/ تاريخ الطب الإسلامي- ترجمة مسعود رجب نيا/ باللغة الفارسية.
- ١٩- ابراهيم ايوب/ التاريخ السياسي والحضارى العباسي/ الشركة العلمية للكتاب.

## كلمة لا بد منها

لكتابة هذه المسرحية استفدت من عدة مصادر تاريخية، اذكر هنا بعضها، لأن أكثر المصادر لبعض الحوادث التاريخية تذكر امراً واحداً، لذا لا أرى ضرورة ذكرها جميعاً، كذلك هناك مصادر أخرى كان ينبغي لي إلقاء نظرة عليها. وللأسف لم أحصل عليها. والذي يهمني توضيحه هنا للقاريء الكريم هو أنني اخترت الجانب الطاعني لدى هارون الرشيد وهو ولعه بسفك الدماء والظلم وإبادة البرامكة والعلويين.. وبقينا أن المرحلة التي حكم أثناءها هارون الرشيد كانت حساسة وانعطافة بين خلفاء آل عباس، وربما يعود سبب هذه الانعطافة إلى البرامكة وتشجيعهم لعملية الترجمة. فقد انجزت في فترة حكمه عدة أعمال جيدة، لكنني أهملتها عمداً واخترت الجانب الطاعني فقط.. ومن نافلة القول الإقرار بأن ما افادني أكثر من المراجع الأخرى هو كتاب (هارون الرشيد وشب سُرْخ بغداد) باللغة الفارسية لمؤلفه (خسروي معتضد وإضافة إلى ذلك الكتاب فقد استفدت الى حد ما من المصادر الآتية:

- ١- العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي: للدكتور: عبدالعزيز الدوري/ ١٩٤٥ مطبعة التفيض الأهلية.
- ٢- ابو الحسن علي بن حسين المسعودي- مروج الذهب/ ج ٢ .
- ٣- محمد بن جبر الطبري/ ج ١٢/ ص ٥٢١٥ .
- ٤- تأريخ اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب. بن واضح اليعقوبي/ ج ٢، ص ٤٠٦ .

- ٤١- براون/ ج / ١ ص ٢٥٩ .
- ٤٢- الفخري/ ص ١٥٦ .
- ٤٣- جرجي زيدان/ عباسة أخت الرشيد.
- ٤٤- القرآن الكريم.
- علاوة على أن هذه المصادر تتكرر مرارا. وأنها فقط الحوادث التاريخية الهامة، وأتحمّل مسؤولية ادرامية الاعمال الفنية الاخرى. فقد تعاملت مع تلك المراحل والشخصيات من وجهة نظر أخرى.
- كما غيرت بعض الأسماء الصعبة التلفظ في اللغة الكردية مثل: ابو عصحة، أو أبو البحتري. أو المهلبية.
- و اخيراً اشكر الأقلام التي تساعد في تصحيح الأخطاء ان وجدت في هذا النص.

- ٣٠- جلال الدين السيوطي.
- ٢١- د: أحمد أمين بيك/ هارون الرشيد.
- ٢٢- ابن الاثير.
- ٢٣- ميرضا الياده- رسالة في تاريخ الأديان/ ترجمة جلال ستارى سروس- طهران ١٣٧٢ باللغة الفارسية.
- ٢٤- الأثمائي/ دار إحياء التراث العربي.
- ٢٥- المزرباني/ معجم الشعراء.
- ٢٦- د: عبدالمنعّم الحنفي- موسوعة الطب النفسي.
- ٣٧- ابن المعتز: طبقات الشعراء.
- ٣٨- ابن الأثير/ الكامل في التاريخ.
- ٢٩- العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي.
- ٣٠- ابن قتيبة/ الشعر والشعراء.
- ٣١- د: فيليب حتي/ تأريخ العرب.
- ٣٢- د: ابراهيم ايوب - التاريخ العباسي السياسي والحضاري- الشركة العالمية للكتاب.
- ٣٣- ابن كثير- البداية والنهاية.
- ٣٤- د: شوقي ضيف/ العصر العباسي الاول.
- ٣٥- د: محمد احمد عبدالمولى.
- ٣٦- المقدسي/ ج / ٦ ص ١٠٤ .
- ٣٧- الجهشيارى/ ص ١٩٠ .
- ٣٨- المقرئى.
- ٣٩- دائرة المعارف الإسلامية/ ج / ١ ص ٦٦٤ .
- ٤٠- ابن خلدون/ المقدمة/ مصطفى محمد/ عن طبعة بيروت.

## شخصيات المسرحية

- ١- هارون الاول، هارون الرشيد.
- ٢- هارون الثاني، توأم هارون الرشيد (والذي التهمه هارون الأول في بطن أمه ورباه في دخيلته، في اليوم الذي يموت فيه هارون الاول، يخرج هو على شكل بخار في عينييه، ويأخذ هيئة وقصوام هارون الأول).
- ٣- خيزران، والدة هارون.
- ٤- زبيدة، زوجة هارون.
- ٥- الهادي، شقيق هارون، وكان خليفة قبله.
- ٦- يحيى البرمكي معتمد هارون الاول، بمثابة رئيس الوزراء اليوم.
- ٧- جعفر: ابن يحيى البرمكي، سياسي.
- ٨- فضل: ابن يحيى البرمكي، مسؤول الشؤون المالية.
- ٩- موسى: ابن يحيى البرمكي، مسؤول الشؤون العسكرية.
- ١٠- محمد: ابن يحيى البرمكي.
- ١١- عباسة: أخت هارون الرشيد.
- ١٢- فريدة: جارية عباسة.
- ١٣- جميلة، منى، عتبه، عبادة، مهتاب: من جواري خيزران.
- ١٤- أرمانوسة: جارية أرمنية.
- ١٥- عزيزة: زوجة الهادي.
- ١٦- درة: جارية هارون أهداها إلى جعفر البرمكي.

- ١٧- ابو قريش: طبيب.
- ١٨- جبريل بختيشوع: طبيب هارون الخاص.
- ١٩- مسرور، ياسر: جلادا هارون.
- ٢٠- قارون: نخاس.
- ٢١- عبدالمملك: ابن عم هارون.
- ٢٢- الكسائي: استاذ الأمين والمأمون.
- ٢٣- عبدالله بن مالك: رئيس الشرطة السرية.
- ٢٤- فضل بن ربيع: رئيس الحرس.
- ٢٥- يحيى بن عبدالله: علوي، ويعتبر هارون عدواً له.
- ٢٦- سندي شاهك: من أعوان هارون. ووالي البصرة.
- ٢٧- القاضيان: الأول والثاني.
- ٢٨- أربعة من الاخسة والأوغاد.
- ٢٩- طاهر بن حسين: ضابط في فوج (المرو).
- ٣٠- جنديان.
- ٣١- الحراس.
- ٣٢- بعض الغلمان.
- ٣٣- بضع جوارٍ يتقمن أدوار الحوريات.

## الفصل الأول

هارون الثاني: في الحياة كذبت كثيرا.. وتكذب حتى وأنت ميت.  
 هارون الاول: قلت: أولاً لم امت، ثانياً التابوت خال.  
 هارون الثاني: (يحووم حول التابوت غاضباً) اذاً ما هذه العفونة؟ ما  
 اعفنها من رائحة، انا اربعون يوماً، وكل يوم احفر لك قبراً، آه..  
 عندما انصرف إلى دفنك يتمرد القبر، ويردم نفسه بنفسه، انا  
 اربعون يوماً، وقد حفرت لك اربعين قبراً.  
 هارون الاول: قلت لم امت، وانا مثلك.  
 هارون الثاني: مثلي؟!  
 هارون الاول: أجل.  
 (غضب - يضرب التابوت على موضع فم هارون الاول) ماهذه الكذبة  
 الكبيرة كيف.  
 هارون الثاني: تكون مثلي، ليس مثلي احد، والاصح: ليس من احد  
 مثلي ومثلك، لم يكن احد.. كمثلي ومثلك، ولا أظن هناك احد.  
 كالانا كنا توأمان في بطن أم واحدة، وألتهمتني في داخل رحم  
 تلك الأم.  
 هارون الاول: لو لم أفعل هذا، لألتهمتني أنت.  
 هارون الثاني: ليس صحيحاً.  
 هارون الاول: ذلك من فعل القدر، والأصح هكذا أراد.  
 هارون الثاني: مرة اخرى ليس كذلك.  
 هارون الاول: بلى.. كذلك.. القدر..  
 هارون الثاني: القدر.. أي قدر تقصد؟ أنت شخص ميت.  
 هارون الاول: لم أمت.. كان يجب أن ألتهمك داخل الرحم، والا  
 لألتهمتني انت.

## المشهد الأول

لم يُرفع الستار بعدُ، يسمع صراخ بصوت عالٍ ثلاث مرات:  
 الدم.. الدم.. اهطل، اهطل، اهطل.. بشدة..  
 (يرفع الستار: المشهد.. صحراء).  
 هارون الثاني: (وهو واضح مقبضين لتابوت على كتفيه، والمقبضان  
 الآخريان على الارض، ويجسه). (هارون الاول داخل التابوت،  
 التابوت محكم الاغلاق بالمسامير. يتقدم من أعماق المسرح).  
 هارون الثاني: (يرمي التابوت من على كتفيه حانقا، يركل على المكان  
 الذي يقابل فم هارون الاول.. كفى، كفى.. ألم ترتو؟  
 (يقلد هارون الأول بنفس النبسة) الدم.. الدم، (بغضب) ايها  
 السافل ألم ترتو؟  
 هارون الاول: (من داخل التابوت) كلا، لم أرتو، لو تحولت جميع البحار  
 إلى دماء لما أطفأت غليلي.  
 هارون الثاني: حتى في مماتك مازلت متعطشاً للدماء؟  
 هارون الاول: انا لم أمت.  
 هارون الثاني: او تكذب.. حتى في الممات؟!  
 هارون الاول: قلت لم امت.  
 هارون الثاني: إنا أربعون يوماً، وجشتك المتعفنة على كتفي داخل هذا  
 التابوت، واجرك..  
 هارون الاول: التابوت خال.

هارون الثاني: لا تضحك في يوم مماتك، كانت عشرات من الناس فوق رأسك. عندما خرجت من عينيك مثل البخار، واتخذت هذه الهيئة، كنت أرى جميع الذين كانوا حول جثتك، وكنت اعرف أغلبهم، لكنهم لم يشعروا بوجودي وكنت أسمع أحاديثهم، فمثلما لم يروني لم يسمعونني ايضا.

(هارون الاول يضحك بصوت اكثر علواً).

هارون الثاني: لا تضحك تبعت جنازتك مع الحشد، دفنوك، وانفضوا من حولك، بقيت وحدي بجانب قبرك، (يضع فمه على التابوت جهة أذن هارون الاول) هل تسمعني؟

هارون الاول (يضحك).

هارون الثاني: (بحنق) قلت هل تسمعني؟

هارون الاول: (ضاحكا) اسمعك جيدا: أكمل حديثك.

هارون الثاني: هل فطنت (بخوف) أي صوت ارتفع من قبرك؟

هارون الاول: كان صوتا اعتياديا.

هارون الثاني: كلا. كان صوتا عظيما، وزأر غاضبا.. قال هيا. اخرج. وفتح قبرك شدقيه وقذفك خارجا..

هارون الاول: (يضحك).

هارون الثاني: لا تضحك. فقد ردم قبرك نفسه مستعجلاً.

هارون الاول: (يستمر في الضحك).

هارون الثاني: ضحك قبرك (يضحك بصوت عال) ضحك كثيرا، قال لي: لن تزعجني هذه الرائحة بعد الآن.

هارون الاول: علم بأنني لم أمت، فقفذني خارجا.

هارون الثاني: (يلتفت نحو الجمهور). لا تصدقوه، كان في حياته ابداً

هارون الثاني: مرة أخرى.. ليس صحيحاً.  
هارون الاول: أجل.. لو لم يكن قابيل هو القاتل، لصار هابيل هو القاتل حتما.

هارون الثاني: إنك تتحدث عما لا افهمه.

هارون الاول: لن ألومك.. كان محتما أن يتذوق أحدنا طعم خطيئة امتصاص دم نفسه.

هارون الثاني: لا أفهم.

هارون الاول: كان وجود كلينا ضرورياً لكي يؤدي كل منا دوره.

هارون الثاني: لا أفهم.

هارون الاول: كان من الضروري جمع قاتل ومقتول في بوتقة واحدة.

هارون الثاني: لا أفهم.

هارون الاول: (بهدهوء)

هارون الثاني: (بحنق) لكنك أنت ميت الآن.

هارون الاول: كلا.

هارون الثاني: تقول لي: أنت لم تكن ميتا، إنك لم تسمح لي برؤية النور، فالتهمتني.

هارون الاول: قلت لم تمت.. كنت تعيش في داخلي.. تزداد طولاً معي، تكبر، تغضب، تبتسم وتبكي معي.

هارون الثاني: قلت: لم أر نور الحياة.

هارون الاول: لكني رأيته بدلا منك، وعشت بدلا منك.

هارون الثاني: (بغضب) كلا. لم تعش بدلا مني بل عشت لنفسك، ومث لنفسك، حاليا عمري أربعون يوماً، بدأت حياتي عند موتك.

(هارون الاول يضحك.. بصوت عال)



هارون الثاني: (بإندهاش يدور حول التابوت ويضحك)  
هارون الأول: كما اني التهمتكَ، وأنت مازلت حيا. وهكذا الآن.  
هارون الثاني: (يقاطعه ويلتفت الى الجمهور) انظروا، الميت يتكلم! انه  
ميت، عطشان، يطلب مطر الدم، إنا أربعون يوماً وقد سلبني  
الراحة.. (يقلده) كل يوم.. الدم.. الدم.. الدم.. هذا (يؤشر إلى  
التابوت) السفاح بدأ بدمي.. انظروا، كيف صار خليفة.. كيف  
كان يمتص الدماء.. وكيف..؟

الستار

\*\*\*

كذابا، ومخادعا وسفاحا.. هذا (يمد يده الى التابوت) اسمه  
هارون، وأنا كذلك اسمي هارون.. والآن. اطرحوا أربعين يوماً من  
خمس واربعين سنة، وبضعة اشهر وأيام، وعدا عن تلك الأيام  
الاربعين كان كل عمر هارون هذا (يمد يده إلى التابوت).. كان  
مقبرة لي، مقبراً متجولاً.

هارون الاول: (بهدهوء) و تبادلنا الآن أدوارنا، أنت مقبرتي (و بغضب)  
تجولُ بي

هارون الثاني: انه اربعون يوماً وأنا التجولُ.. وابحث.. لست بمقبرة.. لكنني  
أبحث عن مقبرة أودعها هذه.

هارون الأول: (يضحك بصوت عال).

هارون الثاني: لا تضحك.

هارون الاول: لا تعذب نفسك.

هارون الثاني: لماذا.

هارون الاول: لأنك لن تجد شبرا من الأرض، يقبل ان يصبح قبري.

هارون الثاني: بسبب عفونتك ووساختك؟

هارون الاول: كلا.. بل لأنني لم امت.

هارون الثاني: (يضحك) لقد متّ أمام ناظري، موتك فقط صار سبباً  
لأرى النور.

هارون الأول: (يضحك)

هارون الثاني: دفنوك في القبر.

هارون الأول: (يضحك).

هارون الثاني: أقاموا لك المأتم والعزاء، ذرفوا لك الدموع الزائفة.

هارون الاول: هذه حقائق، لكنني لم أمت.

خيزران: (تهز رأسها) إن عنقه غليظ لاتستطيعين خنقه بهاتين اليدين  
الناعمتين، إنه قوي كالثور. وقبل أن تكسرن عنقه، فانه سيهشم  
أعناقكن (جميلة ومنى ترمقان خيزران بدهشة)

منى: (بغنج) سنقضي عليه بذاك السلاح الفتاك.

جميلة: (بابتسامه ذات مغزى) به وبأشياء أخرى.

خيزران: إذا اتحد ذاك السلاح الفتاك الذي تتحدث عنه (منى) مع  
اشيائك الاخرى فإنهما لن يشلا الثور فحسب بل سيشلان الفيل  
أيضا.

منى: (بغباء) لجميع الرجال؟.

خيزران: أجل، لجميعهم، إنهم يقولون: إن النساء نواقص العقول، وعلينا  
بدورنا ان نثبت لهم. أين عقولهم هم!!.

جميلة: سيدتي، هل تسمحين لي بسؤال؟.

خيزران: (بلا مبالاة) تفضلي.

جميلة: إنك عصبية المزاج منذ فترة، ويبدو عليك القلق أحيانا كثيرة.

منى: سابقا. كنت تأمرين بابتسامه، وكنا ننفذ أوامرك كرشفة ماء، لكن  
الآن..

خيزران: (تقاطعها، وترمقهما بدقة) هذه المرة تختلف، القضاء على هذا  
العدو الصعب المراس ليس بالأمر الهين.

منى: أعتقد أنه ايسر من شرب الماء.

جميلة: سنجعل لك من الحديد عجيونا.

خيزران: لاتتعجلا. في ليلة الجمعة القادمة. ستواجهان أصعب المهمات،  
إذا نجحتما فسوف تكون مهمتكما الأخيرة، وتحرران من الرق.

منى: تبسدين على عجلة. لم تكوني هكذا في السابق. كنت تقولين لنا،

## المشهد الثاني

الطابق الثاني لقصر فخم لخيزران. صالة واسعة، شرفة وسعي،  
الصالة مزدانة، علق على جدرانها العديد من السيوف والدروع.  
فرش فاخرة مفروشة على بلاطها، وعدة أبواب تفتح على جانبي  
الصالة.. خيزران، جميلة، منى، مهتاب.

خيزران: (كأنهن انشغلن بمناقشة أمر ما منذ مدة، اردفت بغضب) تأخرت  
كثيراً تلك الحمقاء البائسة، وبدونها لا نستطيع إنجاز أي شيء.

منى: (بدلع) سيدتي: هل تأذنين لي أن أجلب لك كأساً من الشراب  
لتهدئة أعصابك وازاحة انزعاجك؟

خيزران: (بابتسامه مشوية بالإستهزاء) شراب..!، لا، لا. بدل أن تجلبي  
لي الشراب حاولي أن تنفذي مهامك.

جميلة: سيدتي.

خيزران: اصمتي انتِ، أعرف. سوف تقولين إنكن تنفذن أوامري..،  
بحذافيرها (تتمشى داخل الصالة، وتقف بغتة) عزيزتي منى.

قولي ماذا ستفعلين من أجلي؟

منى: (بابتسامه) أشد على خناقه (تضغط بيديها على عنق مجهول ما)  
هكذا، نعم، هكذا.. لن أتركه حتى يخنق.

خيزران: (بفهمه) جميلة. وانت ماذا تفعلين.

جميلة: (تجعل ذراعها كأنها حلقة حبل، كأن شخصا ما واقف أمامها  
وتضغط على عنقه) هكذا.. بهذا الشكل سوف أرسله إلى  
الجحيم.

إختاروا الفرصة، المهم هو النصر، ولكي يتحقق النصر ينبغي عدم التسرع..

خيزران: هذه المرة تختلف، علينا أن نسرع.. وإلا فإنه سيقضي علينا (تضحك جميلة ومنى بصوت عال).

منى: يعني: أنه قوي ذو سلطة.. إلى هذا الحد؟

خيزران: أجل.

جميلة: (بغنج) من يكون هذا العدو؟!

خيزران: قوي جدا وخطر.. اذا لم نقض عليه ليلة الجمعة، فلن يقضى عليه أبدا.

جميلة: أليس هو: الوزير الملتحي المراهق؟

خيزران: كلا.

منى: أوليس ذلك الشيخ العربي الذي لا يعتبر غير العرب بشراً؟

خيزران: كلا.. ليس هو.

جميلة: ربما هو قائد الجيش؟!

خيزران: كلا.

منى: ربما هو شخص علوي يريد أن يدبر محاولة انقلابية ضد فملك الخليفة؟

خيزران: لا..

جميلة: أنا ومنى بموجب أوامرك قضينا على أكثر من اربعين رجلاً من كبار خصوم الدولة العباسية، ولم يكن أحدهم غامضاً مثل هذا، قبلاً كنت تقولين لنا فوراً وفي هذه المرة جاء دور فلان ابن فلان، لكن هذه المرة تتكلمين بصورة مغايرة.

خيزران: أعرف.. كما قلت. هذا مختلف (منى وجميلة تدوران حول

خيزران وكألهما ترقصان. وتتحدثان بعجالة، وتتبختران مع هذا الحديث، وخيزران تضحك بصوت عال).

منى: أرسلت أحدهم إلى الجحيم بالقهوة. (تتمايل).

جميلة: مزجت له السم مع الطعام (تتمايل).

منى: اسكرت أحدهم إلى ان فقد الوعي (تتمايل).

جميلة: شخص آخر لم يكن يشرب الخمر، خلطت له الزجاج المطحون مع القهوة والطعام.

منى: واحد آخر كان يفتخر بفحولته، دفعته حتى أفرغ نفسه، وعند الفجر لم يعد يستطيع النهوض حتى بالركلات. وناولته الوجبة الأخيرة، فنام نومته الأبدية (منى وجميلة تشرعان في التصفيق على إيقاع الغناء).

منى: قائد الجيش السابق.

جميلة: أثملته بجمالي.

منى: انا بغنائى.

جميلة: كان أكثر ثمالة.

منى: وانت بالرقص.. وأنا بالألحان، في تلك الليلة.. وفي تلك الليلة نفسها. أرسلناه إلى الجحيم (تقهقهان).

خيزران: (بغضب) اصمتا، (تقفان حائرتين). هذا ليس مثل الآخرين.

(بعجالة) هذا متخ من الشراب، والنساء، ومن جميع الشمال

والمخدرات، وأشيع الناس من جميع هذه المذات.. هذا.. آه.. من

هذا.. أي خطر هذا.. (بخوف) إذا لم تنتصر فلن نرى النور أبداً.

(بعجالة) إنه الدم، الحقد والضغينة.. إنه عدوي (منى وجميلة

تنظران بعضهما الى بعض بخوف). أنتما تعرفان مهمتكما جيداً،

تعرفان أية مهمة ستنجزان.. إن زوجي المرحوم (المهدي) عندما كان يزمع على التخلص من شخص ما، يرى من المصلحة أن يقتله في الخفاء.. حتى تظن عشيرته وطائفته أنه مات ميتة طبيعية، وأنا، اسلمكما أكبر عدو لروحي ولثرواتي. ذلك الرجل يعشق مهتاب (بعصبية) لا أدري. لماذا تأخرت (مهتاب) هذه؟

منى: (بتردد) سيدتي، إنه ليزعجني امر ما. وهو أنني لم ارك ابداً قلقلة هكذا، أود أن أعرف، من هو هذا الشخص الذي أزعجك إلى هذا الحد، كي نرسله الى المكان، الذي يطمئنك.

خيزران: (تضع يديها على منكبي منى وجميلة وتقربهما بعضهما من بعض وتهمس لهما بشيء، جميلة ومنى تزعمقان وتنهاران على ركبهما، يشحب لونهما).

منى: (ترتجف) ليقطع لساني.

جميلة: (ترتجف) لتصم آذاني.

منى: (باكية) يا سيدتي العظيمة والمبجلة يبدو أنك جدّ غاضبة.

جميلة: (باكية) أم أنك جد متأثرة.. أم تريدين أن تختبرينا، (تحتضانان ركبتي خيزران وهما جاثيتان).

خيزران: (تضع يديها على منى وجميلة وترفعهما، ويبرود شديد) اصمتا وارهما السمع هذا القرار ليس لاختباركما، (تمدّ يدها وتتناول سوطا معلقا على الحائط وتهزه في الهواء) قررت أن يُقتل، تعرفان من الذي قرر؟ (منى وجميلة تنظران إلى خيزران بخوف).

منى وجميلة: (ترتجفان) سيده السيدات، سيدتنا العظيمة هي التي قررت..

خيزران: (باقصي الاطمئنان) خيزران النمرة الجريحة، خيزران الذئبة

المخدوشة الكبرياء، هي التي قررت.. الذي سمعته لا يسمعه منكما غير قبر!! (منى وجميلة فقدتا السيطرة على ارتجافهما وتهويان على قدمي خيزران وتقبلانها مع النشيج) عمره ستة وعشرون عاما. أدخل الى حريمه أكثر من أربعين جارية حسناء، وفي كل أسبوع يشتري جارية أو جاريتين، معاقر خمر قهار، يشرب منذ الصباح إلى المساء. يسكر ويعد ذلك يصدر أوامر القتل وسمل العيون.

جميلة: (لم تنزل مصابة بالدوار والذهول، وترتجف شفاتها) سيدتي العظيمة.. هو رياضي وقوي جدا، رأيت بأمر عيني جلبوا أمامه أسيرا من حدود الروم، جعله نصفين من قمة رأسه إلى أخمص قدميه بضربة سيف واحدة، لذا أرى من المستحسن تفكري بأننا (أنا ومنى) فتاتان صغيرتان.

خيزران: (دون ان تأبه) قصدك؟

جميلة: لتتضامنا معنا.

خيزران: من؟

جميلة: لتشاركنا الجاريتان الأخريان.

خيزران: (بغضب) إذا أردت أن أحدث الضجيج، سأعطي الأمر لغلماني ليمزقوه إرباً، لكن لا أريد تمهيد الطريق لأي شك إلى قلوب الخصوم، بل لا أريد أن يبقى أي أثر على جسده، يجب أن تقبضا روحه بهدوء وأناة.

جميلة: بالسم الهندي؟

منى: يجب أن نجربّه، هذا ليس مثل الآخرين، هذا مُشبع من النساء، هذا لا يضاغننا، كي.. بالوشاح المسموم..

خيزران: (بابتسامة) حسنا ذكرتني، سنعطي الوشاح إلى مهتاب.

جميلة: السم عن طريق الأكل، يفعل فعله بسرعة.

خيزران: (بعجالة) في الأكل، الفواكه، الشراب، القهوة.. الوشاح.. إذا قاوم جسده، فضعوا الوسادة على فمه، إلى أن تنقطع أنفاسه، اجلسا عليه، أحسن تدبير ضد الذين يخلقون لنا المشاكل، أن نتقرب من محارمهم، ندس لهم السموم عن طريق مؤتمنهم (تضع اليد على أكتافهما) اطمئنكما، احتطت لدقائق الأمور، فقد دفعت خمسة آلاف دينار رشوت بها طبيبه الخاص. عن طريق يحيى بن خالد البرمكي، الذي هو الآن نزيل السجن، إنه موضع احترامي وتقديري، عندما ترسلانه إلى الجحيم يعزو طبيبه الخاص سبب موته إلى الإفراط في الأكل والشرب.

منى: عدا مهتاب. لتساعدنا هاتان الجاريتان (عتبة) و (عبادة) تعرفن أي سمر وجمال تملكانهما، أنا وجميلة في نظرهما لسنا أكثر من فتاتين بسيطتين.

خيزران: (تأمل عيون منى، يجفلها صوت جميلة).

جميلة: سيدتي العظيمة، انت علمتنا. يجب استخدام سلاح الجمال للقضاء على الشر والظلم، وتلكما الجاريتان جميلتان، اعداؤنا قذرون وشرار، ان تلكما الجاريتين جميلتان الى درجة تستطيعان تليين أقسى القلوب.

خيزران: (بعصبية تتجه صوب الشباك) لِمَ لَمْ تأت مهتاب حتى الآن؟

والجاريتان اللتان ذكرتماهما هل تفضلان مشاركتكما؟

منى وجميلة: (معاً) نعم.

خيزران: لا بأس.. اقتراحكما لا بأس به.. في الحقيقة.. وضعت

التخطيط الرئيس في لعبة الموت هذه لمهتاب.. حسنا.. (تصقق) يدخل غلام أسود، يركع).

الغلام: تفضلي سيدتي..

خيزران: اذهب بسرعة، وتأكد لماذا تأخرت مهتاب (يخرج الغلام مسرعاً، ثم تتجه خيزران نحو الجاريتين) انتما تعرفان أن لدي غلمانا كثيرين مستعدين للقضاء على أي شخص أريد أن يفنى بإشارة واحدة مني فقط. لكن.. لا. لنقض على القبح بسلاح الجمال.. نقطر في ثغره السم من على الحلمتين. بعد ذلك.. بهدوء..

جميلة: (مثل لا منتبهة.. باضطراب) لا ادري كيف ينفذ هذا العمل. نخشى ان تندمي على ذلك، أو تنتقمي منا..

خيزران: (تحدق في عيني جميلة) خوفك في محله.. لكن مصلحة الدولة تتطلب إفناء هذا المجنون المعتوه الخطر.. إذا عرفتما مثلي مدى دموية هذا النذل فلن تشفقا عليه.

منى: (متوسلة) المسألة ليست الشفقة..

جميلة: لم نترب على إثارة الشفقة، المسألة هي أننا نخاف، نخاف منك فحسب.

خيزران: اطمئنكما. لن أندم أبداً. (تهوى منى وجميلة على قدمي خيزران وتلثمانهما)..

منى: ما هي نقطة ضعفه؟

خيزران: انه نهم وشره.. لا يشبع لا من الأكل ولا من الدم ولا من الشراب والنساء. عندما كان والده في الحياة، كان هو في أرمنييا، إنه يحب الأكل الأرمني كشييرا، تطبخ له تلك المرأة الأرمنيية

(ارمانوسة) (بعض الصمت) أرمانوسة المنكوبة عندما ينام معها يلهب جسدها بالسوط كل مرة، ليس هناك شخص يكرهه بقدر أرمانوسة. استدعيتها اليوم وسلمتها السموم. جميلة: أنتن تعرفن: أن لديه ذواق الطعام، وبموت هذا الذواق ستفشل خطتنا.

خيزران: (تصغي بدقة إلى حديث جميلة) حسنا، عملكما -أنت ومنى- أن تجذبا بدلالكما ودهائككما النسويين ذواق الأكل نحوكما وتسلبا ليه وتفقداه الوعي، أثيرا أعصابه، كي ينسى مهمته، قوما بالهائه بالكلام والمداعبة.

منى: (بخوف) هذا العمل سهل بالكلام فقط.. ألا تعرفن من هو ذواق أكله، أي وحش مؤذٍ، عدا هذا أنه مخصي، لا يخدع بنا..

خيزران: (بعصبية تذرع الصالة ذهابا وإيابا) جيد جداً، لدي غلام تركي (تضحك) عندما يراني يجثو على الأرض (تضحك بقهقهة عالية) وهذا من سوء حظي، فبدلاً من أن يعشقني، قيصر الروم، أو نجاشي الحبشة، أو خاقان الترك، إذا بغلام تركي يفتتن بي متيماً (تحدق بضحكة ذات مغزى منى وجميلة) إنه قوي جداً، أقصد سواعده قوية، يستطيع أن يكسر عنق الثور بلكمة واحدة.. أمره أن يقتل ذواق الطعام في الممر.. و يحصل بينما تقومان بإثارة شهواته، وتسقيانه شرابا كثيرا وتلاطفانه.

جميلة: (بخشية) إنه لا يذهب إلى أي مكان وحده.. ودائماً معه أناس كثيرون.

خيزران: (شزرة) أزعجتني أسئلتكما وخوفكما، نفذتما لي خلال العشر السنوات المنصرمة عدة أعمال صعبة. لكن أسئلتكما المشحونة

بالخوف جعلتني أندم على بوحى لكما بهذا السر (تلتفت بغضب نحو منى) عندما وهبتك إلى ذلك التركي المتوحش، لم يستول الخوف عليك، خلال أسبوعين روضت ذلك السفاح بالدلال ولو لم تقتليه بالسم لأعتقك وتزوجك، لكن الخوف دفعك الآن أن تمتلكي جراً الأسئلة.

منى: (بابتسامة مشوية بالخوف) فقط نفذت أوامرك.

خيزران: (لا تنصت إلى منى وتلتفت إلى جميلة) ذلك الوزير، العجوز الأحمق. الذي مد رجليه أطول من بساطه، ماذا فعلت به؟

جميلة: (بخوف) كنت أطحن الزجاج في الهاون على مدى شهر كامل. إلى أن تحول إلى دقيق، خلطته مع طعامه.. لم يكن شارب خمر.. تعلمه لأجلي، في الليل كان يجرع دناً من الخمر.. عندما مات اعتقد الناس بأن سبب وفاته هو المرض والشيخوخة.

خيزران: السم الذي تخبئينه تحت أظافرك، تستعملينه في الوقت المناسب، أهو للشفاء والعافية، أم لكي ترسلي به أعدائي إلى الجحيم؟

جميلة: نحن جواريك وعبيدك.. وعلى يديك تربيانا. وليس لدينا أي عطف أو حب تجاه أي رجل. كيفما تعاملينا فنحن إماؤك. نريد أن ننفذ أوامرك.. لكن هذه المرة، فإن المهمة صعبة أكثر مما نتصوره (ترتجف) كيف نجرو أن نفعل ذلك أمام عينيك وأنت تنظرين (ترتجف أكثر) أخذ الارتجاف يملكني من الآن.

خيزران: (تضحك بصوت عال تحني منى وجميلة رأسيهما وتتحاضنان كطفلتين) في القصر والحرم تعلمتا كيف تتكلمان وتجدان التبريرات القوية للأعمال التي لا ترغبان في تنفيذها.

منى: (تنحني وتحتضن ركبتي خيزران) أتساءل للمرة الأخيرة: أليس هناك حل آخر؟ (بخوف).. أقو.. أقول..

خيزران: (لا تدعها لاستكمال سؤالها) كلا.. الموت فقط هو علاجه، وليس شيئاً آخر.

منى: (بتوسل وغنج) أنا أعرف قلبك الكبير، فكيف تقررين؟!

خيزران: (تمسد رأس منى) معك الحق.. لكن لو تعرفين أي خيال في رأسه لما تكلمت هكذا، فقد اعطى أوامره بالقضاء علي، ووضع جثتي في كيس، وإلقائها في نهر دجلة. أعتقد أنك الآن تقولين.. أسرعى.. أسرعى..

جميلة: (بخوف) لا أعرف لم لا أصدق نفسي، بأنك اتخذت هذا القرار. في الحقيقة..

خيزران: (تقاطعها) لا أنتما لا تعرفانه.. أتعرفان ماذا فعل بابنته ذات الأربع سنوات قبل اشهر؟ هذا المجنون كان نائماً اثر السكر وكانت الفتاة الصغيرة ممسكة خنجر والدها تلعب به، وعندما استيقظ ورأى الفتاة ويدها الخنجر المسلول، مد يده وأمسكها من عنقها وصدّمها بالجدار بقوة بحيث انفجرت جمجمتها وماتت في الحال.

منى: (تقترب من خيزران وتقبل يديها بخوف وتتؤدة وهدوء) مولاتي. شفقتك.. الا يمكن أن تراجعى خطتك مرة أخرى؟

خيزران: (ترمقها بغضب، وتسحب يديها بين من يدي منى بقوة، كادت أن تقع على ظهرها، واحتضنتها جميلة) قبل شهر كنت هناك عندما رمى ابن الحرام هذا بعصاه الى وجهي، ولو لم أتنح برأسى لقتلني. وبعثني أمامكما وأمام الآخرين بالعاهرة قال لي عشرات المرات العاهرة (تحقق بنظرة تنم عن التهديد) إذا سمعت مرة أخرى

عتابا ما حول هذه المسألة فستعرضان أنفسكما لغضبي وحنقي، وسأعتبر أنكما تزمعان الخيانة، وتريدان أن تكشفوا خطتي، أنتما امرأتان حمقاوان تجيدان فقط أن.. افخاذكما..

جميلة: (في الشرفة و تتطلع إلى الخارج) ها. قد جاءت مهتاب أيضاً.

خيزران: (غاضبة لا تهتم بالخبر تدخل غرفة أخرى وهي ساخطة، جميلة. لاتعرف بأن خيزران قد دخلت غرفة أخرى)

جميلة: انظرا إنها باقية على جمالها كالسنوات السابقة. هذه المرأة كلما تقدم بها العمر تزداد جمالا. وهذا الجمال جعلها (تلتفت لا تجد خيزران، لمنى): اين هي؟

خيزران: (في الغرفة الأخرى لكنها لاتظهر) جميلة. أكملني كلامك.

جميلة: أخشى..

خيزران: لا تخشي..

جميلة: وجمالها دفع زوجك المرحوم الخليفة أن يكون متيماً بها!

خيزران: (في الغرفة الأخرى وهي تضحك) المرحوم كان زير نساء عجيباً، كان شبقيا جشعا، وأنا.. تعلمت منه!!

جميلة: رحمه الله، كان رجلا ذا ذوق سليم، لو كنت رجلا لاخترتك فقط..

خيزران: (من الغرفة الأخرى) لا تكذبي، أنا لو كنت رجلاً لاخترت مهتاب. إضافة إلى جمالها فهي تملك دلالا لقد أثارتنى عدة مرات.

منى: (لأجل المشاركة في الحديث) لو كنت رجلا لاخترت كلتيكما.

خيزران: يعني مثل الخليفة كنت تنامين بيننا. بيني وبين مهتاب!

منى: (تضحك) نعم أنت ومهتاب (في هذه الاثناء تدخل مهتاب وتلتفت الى منى).

مهتاب: لقد ذكرت اسمي؟

منى: (تتجه نحوها وهي تضحك) نعم.. قلت، لو كنت رجلا لأخترت خيزران ومهتاب.

مهتاب: (تضحك) أين سيدتنا العظيمة؟

جميلة: (تشير إلى إحدى الغرف، تقترب مهتاب من الغرفة، من خارجها) مولاتي، أحب أن يمسخني الله كلبا، ولا يجعلني رجلا.

خيزران: (من الغرفة الأخرى) لماذا؟

مهتاب: عندما كنت جارية، كانوا يشتروني، وبيعونني، ويهدونني، كنت أنتقل من يد إلى يد، كهدية لعدة أيام.. لقد ركع لي في فراشي الرجال الذين عرفتهم، قبلوا قدمي وكلموا عكس منزلتهم كانوا أكثر خشوعا في سجودهم لي، ولحسوا حذائي، سيدتي، أصبح رجلاً كي أقبل أقدام النساء وألحق أحذيتهن؟.. لا.. لا.. ليمسخني الله كلبا لا رجلا.

خيزران: (في الغرفة، تتقطع كلماتها) مهتاب.. ب.. ب.. م.. م.. تاب الجميلة.. مُدّد.. مدلتني.. في.. فت.. فترة ما.. كنت جارية.. وباعوني عدة.. مرا.. ت.. وقدموني أيضا كهدية.. في النهاية.. المهدي.. الخليفة المرحوم.. قد اشتراني بالذهب.. وأنجيت له بولدين، وأعتقوني.. عندما.. عندما كنت جارية كنت حسب رغبتهم.. لا كما أنا الآن، لم أصبح مثل الآن، حيث أختار الزمان والمكان والشخص حسب رغبتني.

جميلة ومنى: (وضعتا أيديهما على فميهما حابستين ضحكاتهما).

مهتاب: مولاتي.. عدا البيع افتروا عليّ، وجلدونني بأمر الخليفة، وأكرر أن يمسخني الله كلبا ولا يجعلني رجلا (تضحك خيزران من الغرفة الأخرى بصوت عال).

مهتاب: ايهم أكثر لباً ووقاراً تستطيع فتاة صغيرة أن تتدعه وتحوله الى العوبة في يديها.

خيزران: (تضحك) حقا، إنهم سدج، لكن الحياة بدونهم لا معنى لها.. الحياة رائعة مع أكاذيبهم، وخداعهم ودموعهم الزائفة، فدموعهم الكاذبة تمنح الحياة طعما أكثر نكهة. الحياة بدون رجل أقسى من الموت.. الرجل.. الرجل (تفتح الباب وتخرج، وتغلق بأصابعها الأزرار التي على قميصها، وتعيد ترتيب شعرها بها أيضاً). مهتاب تجثو على ركبتها راكعة لها.. يخرج غلام طويل القامة من الغرفة التي خرجت منها خيزران ويقف أمام خيزران ومهتاب، تمسك خيزران بكتفي مهتاب وترفعها، وتقول بجراًة) في السابق وضعت تقاليد الرجال تحت الأقدام، فأضع الآن تقاليدهم ايضا تحت قدميك.

مهتاب: كنت القدوة دائما.. كنت تعرفين ماهو الرجل، وما هي المرأة وتعرفين اين تقع عقولهم.

خيزران: هم كانوا يهدون النسوة لرجالهم الكبار لعدة ليالٍ. وها أنا أهدي الرجال لنسائنا الكبريات (تمسك بيد الغلام وتضعها بين يدي مهتاب).

مهتاب: (تضحك) هديتك على العين.

خيزران: على العين وعلى ال.. (تضحك، جميلة ومنى ومهتاب) اعطني به، لا.. كثيرا. (تلتفت نحو جميلة ومنى) افترى هذا النذل بهذه (تضع اليد على كتف مهتاب) بأنها راودته لممارسة الحب معها، أبلغ زوجي الخليفة بالأمر، وأمر بجلد مهتاب.

مهتاب: لا تزال آثار الجروح باقية على كتفي (تلمح بالعين الى الغلام



ليعري لها كتفها) تفضلوا، انظروا.. رحمه الله، كان مسكا شعري بيده اليسرى وواضعا الخنجر على رقبتى بيده اليمنى: قائلا: هل ضاجعت هذا النذل؟ قلت له باكية متوسلة كلا.. قسما بالقرآن.. وبالله.. وبالرسول.. لكن الدم أعمى بصيرته من شدة الغضب، وقال لي: أيتها العاهرة.. تحسبيني من السواد، تريدين أن أصدقك بقسمك هذا.. هل أنا كمثل السواد الحمقى لكى تجعلى من تلك الكلمات طعم السنارة وتعلقها لقنص عواطفى؟ إن لم أعاقبك على شيء سأمر بجلدك على حماقتك وغبائك هذين.. بكيت وتوسلت دون جدوى.. انظرن إلى آثار تلك الجلادات، وهذه فعلة هذا الكذاب والملفق المفتري.

خيزران: ليس ذلك فقط، إنه أيضا ابن حرام! (ابتعدت النسوة الأربع من الغلام، واضعات الأيدي فوق اكتاف بعضهن، وقربن الرؤوس من بعضهن ولفظن فقط كلمة (ليلة الجمعة) بوضوح. ومن ثم افترقن بشبه رقصة عن بعضهن).

الستار

\*\*\*

### المشهد الثالث

بداية الليل منزل الخليفة، الهادي، شقيق هارون جالس (سعيد) وهو رئيس جواسيس الدولة العباسية.

الهادي: (عابس) سعيد.. اجلس هناك.. صب لي كأساً من الشراب.  
سعيد: يملاً له كأساً (تفضل.. يا سيدي).

الهادي: (يتناول الكأس ويجرعهما إلى آخرها) ها.. قل.. ماذا تريد؟  
سعيد: أطلب من أمير المؤمنين أن يسمح لي بإلقاء القبض على بعض الخونة من العجم وايداعهم السجنون.

الهادي: (لايزال عابسا) اولاً: إعطني كأساً اخرى (يملاً سعيد الكأس له مسرعاً. يناولها للهادي، ويشربها). دع أولئك العجم لي: أعرف أي جحيم سأضرمها لهم.. قل لي، ماذا تعرف من أخبار جديدة؟  
سعيد: يا سيدي. رسول من بغداد قصد أخاك هارون الرشيد، طلب منه أن يعود إلى بغداد على وجه السرعة.

الهادي: كيف عرفت هذا..؟

سعيد: عندما عاد الرسول من أرمينيا ألقينا القبض عليه واعترف تحت التعذيب بأنه ابلى رسالة مهمة إلى هارون.

الهادي: قل لي ماذا كان جواب هارون؟

سعيد: سيدي: أنتم تعرفون أن هارون رجل كتوم.. قال لهم: زوجتي (زبيدة) حامل، لتضع مولودها، وسوف أعود معها الى بغداد.

الهادي: ماذا يعني بهذا الكلام؟

سعيد: اعتقد بأن في هذه الإجابة نوعاً من التمويه.. أنا متأكد. أنه سيعود إلى بغداد قبل أن تضع زبيدة وليدها.

الهادي: لماذا؟

سعيد: أشم رائحة شيء ما..

الهادي: مثل؟

سعيد: والدتك!..

الهادي: ولدت جاسوسا.

سعيد: ولدت للتعسس.

الهادي: لا تتحاقق اكثر.. ما عندك من أخبار قصرها هي؟

سعيد: يقولون.. آ.. يقولون: أنها منهمكة بالعبادة.. لا تستقبل احداً غير جواريتها!

الهادي: وما أخبار ذلك الحمار العجوز المجوسي؟

سعيد: تقصدون يحيى بن خالد البرمكي؟

الهادي: يا حيوان.. أ لغيره أقول (الحمار العجوز).

سعيد: لم نعبه بعد.. قمنا بتجويعه -فقط- في السجن.. وإذا أمرتم سنفتح لسانه بقلع الأظافر.

الهادي: دعه.. سواء عندي اعترف أم لم يعترف.. إنه لن يكون وحده فحسب.. اصبر.. أصدرت أمراً إلى تجاري بغداد لصنع ألف مشنقة.

سعيد: (بدهشة) ألف مشنقة؟!

الهادي: (بيروء) للمرحلة الأولى ألف.. وألف للمرحلة الثانية، وألف آخر للنساء في المرحلة الثالثة، وألف آخر لأطفالهم، سوف أنظف بغداد من العجم.

سعيد: تنجز عملاً عظيماً سوف يكتبه لك التاريخ بأحرف من ذهب. الهادي: هراء.. أي تأريخ.. أنا أريد الأمان الشخصي، قلت (إنها) لا تستقبل سوى جواريتها؟

سعيد: نعم سيدي.

الهادي: (كلامه متقطع) يعني تخلت.. وحسب زعمها. إنها تائبة..

سعيد: نعم سيدي.. يوم الجمعة الماضي وبأمر من والدتك.

الهادي: (يقاطعه صارخاً) لا تذكر اسمها وتقول والدتك، قل فقط (هي) وأنا أفهمك..

سعيد: (بوجل) تأمر.. لقد جمعت يوم الجمعة المنصرم ألفين من فقراء بغداد، وأطعمتهم.. ثم رفع الفقراء أيديهم، ودعوا بالصحة والعمر المديد للخليفة.

الهادي: عجيب!.. لماذا تفعل هذا تصرفها هذا ليس من دون سر (مع نفسه) تلك العاهرة تدعو لي بالعمر المديد!! صارت مؤمنة؟! تركت مجالس الأُنس الليلية!! (بغضب) إلى أين وصل ذلك الطبيب في تجاربه.

سعيد: سيدي. إنه يقول: تيبس القياء والتبرز فلا يصلحان للأختبار عليهما، يقول لست متأكداً أن يكون موت المهدي والدكم المرحوم طبيعياً.. ويقول كذلك: لست متأكداً من موته مسموماً.

الهادي: لكني متأكد. أن السافلة أُمي هي التي سمته.. فقد أعطته العرموط والعنب المسمومين.. هي تحسب نفسها والدتي.. وأنا موثق أنها سممت والدي.. أحذرك يجب أن يبقى هذا سراً.. وإذا انكشف سيكون عاراً كبيراً على آل عباس.

سعيد: نعم.. إنه لكذلك يا سيدي..

الهادي: ليس لدي أي دليل.. لكني متيقن بأنها (هي) التي اعطته السموم.. إنها جشعة.. ومن أجل السلطة والمال لا تتردد في الإقدام على أي شيء.. أكبر خبيثة اقترفها والدي ولن أغفرها له هي انه أعتق هذه الجارية.

سعيد: سيدي- إنها الأم..

الهادي: (يصرخ فيه بغضب) حيوان، ألم أقل لاتذكر اسمها؟ لن أغفر لوالدي، فقد مزج دمنا العربي النقي الأصيل ليتني أستطيع إخراج كمية الدم التي في جسدي والتي تعود الى تلك المرأة الأعجمية، وعشت على الكمية الباقية من الدم العربي النقي (بغضب) قل لي: هل عندك أي خبر آخر؟

سعيد: (بخوف) خبر.. خبر.. بصدد زوجتك (عزيزة).. أم أطفالك..

الهادي: (يقاطعه) وهذه المرة مع أي كلب؟

سعيد: مع ابن ربيع بن فضل لقد أزعجني النبأ.

الهادي: (بغضب وانفعال) هذه الجارية التافهة، لي منها أربعة أبناء وأعتقتها، ولا يزال في رأسها هوى عشيقها القديم.

سعيد: أعطيت الأمر إلى جواسيسي، أن يضعوها تحت مراقبة دقيقة، ليطلعوا على أي حديث يجري بينهما..

الهادي: (بغضب) ماذا تقصد بقولك (أي حديث يجري).. هيا.. صب لي كأساً من الشراب. ولك أيضا (يقدم له كأساً ويشربها دفعة واحدة قلت: صبْ لنفسك أيضا.

سعيد: سيدي. الآن ساعة عملي.. لا أريد..

الهادي: أمرك (يملاً سعيد كأساً ويجرعها) قل.. لأعرف..

سعيد: أقول: مادمننا لا نستطيع أن نحميها (بالمقلاع) فقد اخترت الطريق الأسهل.

الهادي: (بغباوة) ما هو؟

سعيد: (برود) سأمهد لهما طريق اللقاء.

الهادي: (بغباوة مثلها) عملك هذا يتجاوز عمل رئيس الجواسيس، هذا عمل تعرف ماذا يسمونه!

سعيد: (بجد) يجب على رئيس الجواسيس أن يعرف جميع الأمور (بابتسامة) مصلحة البلاد فوق كل شيء..

الهادي: في حينه ناولت كأساً من الشراب المسموم إلى ربيع والد هذا النذل.. قلت له.. أحب أن تحتسي هذه الكأس في حضوري، فشربها بجرعة واحدة، ونفق بعد عدة أيام، وجاء الآن دور ولده النذل.

سعيد: سيدي لا تستعجل.. فقد جعلنا حتى الجدران عيوناً عليهما وأذانا.. إنهما في عداد الأموات. مادام إسماهما قد دخلا في قوائم جواسيسي، فقد انتهيا.. أنها مسألة وقت لا غير.. دعنا نعرف عنهما أكثر، وليتكشفا لنا الأصدقاء والأعداء..

الهادي: لا أفهم قصدك؟

سعيد: كما عرضت عليكم، فقد جعلت من الاشجار والاحجار عيوناً وأذانا عليهما.. حتى وإن تهامسا فإنه سيصلني (يملاً كأسين من الشراب واحدة للهادي و الأخرى لنفسه ويحتسيها دفعة واحدة).

الهادي: (يجرع كأس الشراب) صب كأسين آخرين (يملاً سعيد الكأسين) أريد أن أعرف: كيف أنهما في عداد الموتى؟

سعيد: هذا السر يعرفه الجواسيس.

الهادي: قل لي كيف؟

سعيد: الجواسيس يعرفون انهما مشمولان بغضبكم، ويقصد التقرب منكم، سيسحبون الغطاء عنهما، ولا يستبعد أن يلقوا لهما تهمة كبيرة، ويحكيوا لهما أشياء فظيعة.

الهادي: كيف تعرف بأنهم يفعلون ذلك؟

سعيد: كنت جاسوساً أيضاً.

الهادي: لماذا يفعلون هذا؟

سعيد: شرابكم هذا. ليس فقط يفك اللسان، بل يعرض أيضاً ما في النفس ويكشف كل ما فيها.. سيدي هذه طبيعة الانسان السافل والدنيء.. يفعل كل ذلك تزلفاً وتقرباً.

الهادي: أكاد أفهم (يملاً سعيد الكأس لنفسه فقط ويشربها) و ماذا بشأنني؟

سعيد: (يملاً كأسين واحدة للهادي والأخرى لنفسه يشربها بدفعة واحدة) سيدي: مثلاً.. قرب أحد الأوغاد من نفسك، وأثن عليه وارتب على كتفه أمام الناس.. غدا ستصلك عشرات التقارير الجيدة حول ذلك الشخص وآبائه وأجداده الذين خدموا آل عباس بإخلاص ووفاء.

الهادي: لماذا يفعلون هذا؟

سعيد: ليضعكم في خانة كي تقتنعوا بأنكم فعلتم عملاً جيداً..

الهادي: أكاد أفهم أكثر. لكن أسأل أيضاً لماذا؟

سعيد: سيدي كما وضحت لكم، كل همهم أن يقوموا بإرضائكم، وإن فعلت أي شيء فإنهم سيزينون لك ذلك العمل. باعتباركم عالماً

ضليعا تفهمون عظام الأمور..

الهادي: حتى اذا ارتكبت عملاً شائناً.

سعيد: سوف يزينون هذا أكثر.

الهادي: ما هي أكبر خدمة لدى هؤلاء.

سعيد: فقط ألا يزعجوك.

الهادي: كيف تتكلم هذه الليلة بهذا الاسلوب؟ تقول لي أشياء تكاد تكدرني.

سعيد: سيدي شرابكم (يشرب كأساً أخرى) حتى وان تكدر خاطرکم، اسمحوا لي قبل ليلة الجمعة. حيث إنكم مدعوون لدى أمكم - بتفتيش قصرها، وتتخذ احتياطاتنا كافة.

الهادي: لا داعي أن نهتم الى هذا الحد بتلك الشمطاء. سوف تشل عن الحركة في هذه الأيام القريبة، سنوقعها.

سعيد: تفضلت ستوقعها؟

الهادي: فقد قررت ذلك منذ زمن.

سعيد: وكيف أجلته؟

الهادي: معها كثير من خفايا والدي.. أريد أن تكشف لي الأماكن التي دفنت فيها.. وقررت أن تمنحني بضع جوار كهدايا.

سعيد: هل أنتم بحاجة إلى جواربها؟.. فجميع الأقطار الإسلامية تحت سيطرتكم وتستطيعون أن تشتروا آلاف الجوارب.

الهادي: صحيح. لكن أريد أن أعرف من هن تلك الجوارب وهل يتمتعن بشهرة؟

سعيد: (دون مبالاة) الجارية.. هي الجارية.

الهادي: (بغضب) حيوان، عيونك لا ترى الجمال بسبب التجسس، كيف تزعم أن النساء كلهن سواء. هذا أولاً، وثانياً، أن جوارى قصرها نادرات ومنتقيات.

سعيد: عفوك سيدي.

الهادي: ستكون معي ليلة الجمعة، وطبعاً تقوم بتوزيع حرسى الخاص في جميع الأماكن، أحذر.. أريد أن يرتدوا الملابس المدنية، ويحملوا أسلحتهم بصورة سرية.

سعيد: امرك سيدي

الهادي: لا أريد أن يراهم الناس، ويتصوروا بأنني أخشى تلك المرأة.

سعيد: سيدي.. لقد حلفت اليمين..

الهادي: (يقاطعه) لست جاسوساً فقط بل رئيس للجواسيس، ولكن أخذت تغضبني ببعض الكلام.

سعيد: شرابكم هذا، شراب متميز.

الهادي: حيوان: أنه شراب ملوكي.

سعيد: ينسى المرء نفسه.

الهادي: ألم يجعلك ملكاً؟

سعيد: كلا.. لكن منحني جرأة ملكية.

الهادي: يعني تريد أن تقول: أنها أقسمت، وتابت ولم تبق لها أية علاقة مع الرجال الأجانب، ولفت فراش الفسق والفجور؟

سعيد: سيدي لا تحقرها إلى هذه الدرجة.

الهادي: وعدتها إن تكشف لي تلك الأماكن، ساصفح عنها. (ينهض، يترنح) عندما توفي والدي.. خيزران.. أمي خيزران، حكمت لمدة

عشرة أيام.. أخرجت آلافاً مؤلفة من الدنانير والمجوهرات من الخزينة.. أنا أحب هذا الشراب كثيراً، إذا لم أشرب منه كثيراً لا أفهم نفسي.. الآن أعرف أنا ابن أبة عاهرة سارقة..

سعيد: سيدي. وأنا أيضاً بسبب هذا الشراب اتجراً على الحديث دون خجل، مرة أخرى أطلب أن تسمح لي بتفتيش قصرها قبل ليلة الجمعة.

الهادي: اصمت ولا تتحدث عن التفتيش مرة أخرى الناس كيف يتحدثون عنها؟

سعيد: سيدي. انها معروفة بين الناس بأمر المؤمنين.

الهادي: أمير ماذا؟

سعيد: سيدي: يبدو أنك شربت كثيراً.

الهادي: (بغضب) أملاً كاسين آخرين (يملا سعيدي كأسين يقدم واحدة للهادي ويهم بشرب كأسه). مهلاً. في سلامة من تشربها؟

سعيد: سيدي في سلامة أمير المؤمنين.

الهادي: قلت: أمير ماذا؟

سعيد: (بخوف) المؤمنين.

الهادي: (بجسارة) إذا كانت هذه تصرفات أمير المؤمنين، ففي أي وضع يكون الرعية؟

سعيد: (بخوف) إنهم بخير في ظلكم.

الهادي: كثيراً؟

سعيد: نعم سيدي.

الهادي: أنا بخير أيضاً.. لكن شيئاً ما أزعجني.

سعيد: (بغباوة) ما هو ذلك الشيء؟

الهادي: ذاك النذر الخامد تحت التبن

سعيد: خيزران؟

الهادي: حيوان. ألم اقل لا تذكر اسمها! كلا.. ليس هي.. إنه هارون.

شقيقي هارون، منذ اليوم الذي سمع بأني سحبت منه ولاية العهد

ومنحتها لولدي موسى وهو غاضب وغير مرتاح، إن دم والدتي

يجري في عروقه أكثر.

سعيد: الحمد لله إنك تشبهه أباك.

الهادي: دبر لي أمر هارون.

سعيد: بنفس السلاح؟

الهادي: هل هناك أكثر فتكا من هذا السلاح؟

سعيد: كلا.

الهادي: فليؤجل إلى مابعد مقتل خيزران.

سعيد: أمرك (يمسك الهادي بيد سعيد ويرفعها إلى الأعلى إنهما ثملان

ويترنحان).

الهادي: تلك العاهرة (يقلد صوت امه ويتحدث بصوت نسوي) كانت

تقول لي: يا ولدي عين لي هذا الرجل واليا.. وهذا الشاب هو ابن

مخلصنا فلان عينه قائداً للجيش.. وعين هذا قاضيا (سعيد لا

يستطيع الوقوف، الهادي يمسك به كي لا يقع، ويؤشر الى مكان

مجهول في الغرفة وبنفس الصوت النسوي) احذر.. احذر.. هذا

عربي صحراوي.. عنيد.. جاهل.. لا تنصيه في منصب مهم.. هذا

جيد.. ليس عربيا.. إنه أصيل (يقف فجأة).. حسنا.. بعد عدة

أيام سأجعل من بغداد جحيما لك.. سوف أجعل منك ومن نجلك

هارون ذلك المشعل الذي يشعل تلك الجحيم (يضع يده حول رقبة

سعيد كلاهما يترنحان).

سعيد: أنه أكبر عمل لأمير الم..

الهادي: (مقاطعاً) أمير ماذا.

سعيد: سيدي.. المؤمنين.

الهادي: ماذا؟

سعيد: أحسن ما تفعله هو إشعال الجحيم (يترنحان ويقعان على

ركبهما).

الستار

\*\*\*

## المشهد الرابع

(مساء يوم الجمعة.. الغرفة الخاصة لخيزران.. خيزران ومهتاب).  
خيزران: بأي ثمن كان.. يجب أن لا يخرج هذه الليلة من هذا القصر  
سالما، وإلا سيقتلنا جميعا.. ربما يربطني بجذائلي الى ذيل حصان  
جامح ويتركني في الصحراء.

مهتاب: مشاركتي لمصلحة ذات بعدين: الأول: لمصلحة سيدتي العظيمة  
والدولة العباسية، والثاني: لذلك اليوم الذي انتظرته من أعماقي،  
كي آخذ منه بثاري.

خيزران: إنه اصدر أمره بقتلي منذ شهرين، وصلني الخبر في اليومين  
الأخيرين، سيجعل بغداد جحيما للعجم.. وكتلتانا لسنا من  
العرب. قبل شهر التقينا وقلت له: امنح المنصب الفلاني للشخص  
الفلاني، فأجابني: هذا المنصب خصصته لرجل مناسب، وتواصلت  
مع واقع الأيام الخوالي. قلت: صرت قليل الأدب لا تنفذ طلباتي.  
وبدلاً من أن ينكس رأسه ويصمت. قال: قولي لذلك النذل أن لا  
يلجأ إلى الوساطة، وإذا وصلني الخبر بأن أبا من قادتني جاء إليك  
طالباً منك التوسط سأقطع رؤوسهم.

مهتاب: إنه يعاني من نفس مرض والده (المهدي). فقد كان سفاحاً  
مرعباً، وزيراً للنساء كان يعري عشرات النسوة ويأمرهن ليسبحن  
في حوض عاريات أمام عينيه، بعض المرات كان يكتفي بالنظر  
إليهن، وأحياناً كان يسابحنهن. كان يحبك.

خيزران: لاتكوني حمقاء، هؤلاء لا يعرفون أن يحبوا أحداً.  
مهتاب: عندما كنت جارية عندك، وقبل أن تُهديني اليه. قال لي: يجب  
ان لا تطلع خيزران على ما بيننا.

خيزران: ألم أقل. لا يعرفون ان يحبوا سواهم؟  
مهتاب: المرحوم زوجك المهدي.

خيزران: يبدو أنك حمقاء.. أي مرحوم هو؟.. هل نسيت.. أنه كان ينام  
بين اثنتيننا.. وعندما غلبنا الكرى، كان يتركنا ويتفقد الجوارى  
واحدة تلو الأخرى؟ أي مرحوم هذا..

مهتاب: انه ميت غير موجود.

خيزران: ميت.. مقتول.. مسموم.. وماذا حصل له.. فقد خلف لنا هذا  
اللقيط.

مهتاب: وأي لقيط!.

خيزران: في حفلاته الليلية يجلب إلى مجالسه حتى زوجات الوزراء  
وكبار رجال الدولة.. وإن ظهر في الصباح معطاء لأي من أولئك  
الرجال، فذلك لأن زوجته منحتة لذة اكثر. فقد تعلم أيضا. أن  
يزوج بنفسه النساء لرجال الكبار..

مهتاب: يشيع من احدى النساء ثم يزوجهما لأحد كبار رجاله. (تغيير  
الحديث).. أريد أن اعرف. هل أنت متأكدة من نوعية السم؟  
خيزران: متأكدة جدا..

مهتاب: أخشى أن لا يكون السم خالصاً.

خيزران: وأقول: اطمئني..

مهتاب: اقول: من الأفضل أن نختبره.

خيزران: لا تقلقي. فقد جربته بطريقة اخرى.

مهتاب: كيف؟

خيزران: أول الأمر اتفقت مع مدير السجن أن يجلب لي رجلا عجوزا.. فأعطيته السم، وفارق الحياة بعد نصف ساعة..

مهتاب: لكن هذا ليس عجوزاً.. إنه شاب.

خيزران: أحسنت.. ملاحظتك دقيقة.. لقد أرسلوا لي شاباً في السادسة والعشرين من عمره أي في سنه.. ولفظ أنفاسه بعد ثلاثة ارباع ساعة.

مهتاب: أكان عربياً؟

خيزران: أحسنت مرة أخرى لذكائك.. أنا أيضاً كنت مترددة.. طلبت أن يجدوا لي شاباً في عامه السادس والعشرين، ويكون أبوه عربياً وأمه أعجمية، فقد أرسلوا شاباً جد وسيم.. وقبل أن أجري عليه اختبار السم، أجريت عليه اختباراً آخر.

مهتاب: من المؤكد أنه كان ناجحاً كأى هجين آخر..

خيزران: أحسنت.. فقد منحني أهناً لذة.

مهتاب: وأنت؟

خيزران: أما أنا فقد منحتة عمراً.

مهتاب: يعني لم تجربني عليه السم؟

خيزران: حسبتك أذكى من ذلك.. إذ تسألين هذا السؤال بتلك السذاجة.

مهتاب: لا أفهم كيف تعادل مضاجعة ساعة واحدة عمراً كاملاً؟!

خيزران: لو بقي لما وجد تلك اللذة، ولكان يقضي حياة مثل المحيم في الانتظار كذلك أخدمت له ذلك المحيم بذاك السم.. كان يحتضر

وهو يحدق في عينيّ يستجدي لذة أخرى..

مهتاب: هل أشفقت عليه؟

خيزران: الشفقة؟. تحدثني عن شيء أفهمه، وأنت هل تفهمين الشفقة؟

مهتاب: كلا.. رايت فقط: أن الرجال تظاهروا بالشفقة علي. كلهم كانوا يبغون اللذة مني فحسب.

خيزران: أنا أيضاً لم تكن حياتي أقل تعاسة من حياتك..

مهتاب: أقصد. تنقصني تلك التجربة.. في لحظة واحدة. يمنحني لذة ويتخبط صاحب تلك اللذة امامي في عذاب الموت!. كنت دائماً مانحة اللذة وصاحبها..

خيزران: قلت للشباب ستكون حياتك المقبلة أكثر صعوبة، قال أدري، قلت له: تذوقت طعاماً لن يتكرر مرة أخرى.. قال أدري.. قلت.. اذا لم يتكرر لك الطعم فهل يبقى للحياة أي معنى؟ قال: تتحول حياتي إلى انتظار العيب.. قلت: اذاً، لو كانت حياتك هكذا، فهل ستكون اصعب من حياة شخص مسموم. وحينما سمع هذا الكلام تقياً ووقع على وجهه ومات.

مهتاب: أنا الآن اشفق على ذلك الشاب.

خيزران: قلت: انك لاتفهمين للشفقة من معنى.

مهتاب: اجل: تجاه الذين كانوا يحلبون مني اللذة.. الى الآن لم تكن لدي مثل تجربتك هذه أي أن أختار حسب رغبتني.. انا دائماً كنت المختارة.. كنت المعطاء دائماً.. ولم أتلق العطاء.. أقصد. أن احداً لم يمنحني اللذة.. انا وحدي كنت المانحة والرحيمة والمعدبة..

خيزران: يعني لو كنت في موقعي. لم تكوني لتقتلي ذلك الشاب..

مهتاب: نعم: لم أكن لأقت..

خيزران: (تقاطعها) عليك بالتفكير في مصلحة الدولة.. وإلا يؤخذ الشاب منك، ولن تحصلني على مثيل له.



مهتاب: (تتحامق) لا أفهم!

خيزران: المصلحة هي أن تحافظي على السلطة.. فلو لم أقض على ذلك الشاب وأشفقت عليه، ولم احوله إلى عيئة للتجربة، كان يجب أن أتخلى عن أصل العمل والاختبار.. حينئذ كنت قد فرضت مصلحتي الآتية الخاصة على مصلحة الدولة..

مهتاب: (بدهشة) الدولة؟

خيزران: (بجد) نعم.. الدولة.. أتعرفين ماهي الدولة؟ إنها تعني تلك المائدة المعمورة التي عليها ما لذ وطاب.. اريد أن أذوق المأكولات كافة.. أن لا أتضجر من أي منها.. لذلك اضع ابداً مصلحة الدولة فوق مصالحتي.. هل تفهمين؟

مهتاب: (بغباوة) نعم..

خيزران: (ماكرة) قللي لي أضعه فوق أي شيء؟

مهتاب: (تعود إلى وعيها وبابتسامه) فوق مصالحك!!  
خيزران: احسنت.

مهتاب: يا مولاتي.. يجب أن أقول لك أحسنت مئة مرة.. أنت تفهمين الحياة، وتعطينها حقها.. (تغير الحديث) ما هي الإحتياجات بعد تنفيذ التسميم؟

خيزران: (بابتسامه) لأجل هذا العمل تتطلب مصلحة الدولة ألا نكون فقط هذا العدد الضئيل من النساء، تحدثت مع عدد من كبار رجال الدولة الذين هم موضع ثقتي، لينتظروا نبأ موت هذا السافل خارج القصر، ومع تنفيذ العمل سوف يصلون الى هنا.. يصلون الى أين؟

مهتاب: (دون إرادة) يصلون إلى هنا.

خيزران: هنا.. أين؟

مهتاب: القصر..

خيزران: يا غبية.. هنا المائدة وعليها المأكولات.. وهم يذوقونها واحداً واحداً.

مهتاب: مولاتي لقد فهمت.

خيزران: (باطمئنان) يحيى بن خالد البرمكي - وهو الآن في السجن بأمر من هذا الحيوان.. لديه نفوذ كبير ومعارف داخل الجيش. اتفقت مع ابنه موسى، وهياً ثلاثة افواج من الجيش سيتضامنون معنا.. وكلهم يرتدون الازياء المدنية.. أحد الأفواج لسجن بغداد الكبير، والفوجان الآخران لتطويق المنطقة.

مهتاب: مولاتي.. لاريب في ذكائك، انا متأكدة بأنك حسبت الحساب لأدق الأمور.. اقول اين (عتبة) و(عبادة)؟

خيزران: لا تستعجلي انهما هنا.. انهما مثلك تريدان أن تنتقما لنفسيهما منه.. هذا السافل يحب كثيراً معاشره النساء اذا رآكما سوف يقرر ان تبقيا هذه الليلة.. يجب هذه الليلة نعم.. أن لا يخرج حيا.

مهتاب: يجب أن تكون ليلته الأخيرة.

خيزران: وغدا.. سيكون أول بداية لخلافة هارون، في الصباح الباكر سوف يحضر كبار رجال الجيش والتجار ويبايعونه، (هذا) الحقيير أبعد هارون بتبريرات سخيفة وأرسله الى مكان قصي.

مهتاب: وكيف يصل من تلك الارض القصية الى هنا غدا؟! ويبايعونه ايضاً؟

خيزران: قلت لا تستعجلي.. فقد حسبت لكل شيء، منذ اليوم الذي

سجن بنتي في قصره، من ذلك اليوم وانا منهمة في التخطيط.  
مهتاب: قلت. سجن بناتك في قصره؟  
خيزران: اجل. وقال لبنتي: أمنا خيزران سيئة الاخلاق، زانية، ينبغي ان  
لا تقتربا منها، لكي لا يؤثر خلقها السيء فيكما.  
مهتاب: إنه يحسدك، لانك موضع تقدير واحترام أكابر رجال الدولة  
والتجار، وبعض الشعراء يمدحونك في قصائدهم  
خيزران: إنه يرتاب فيّ، بحجة ان لدي علاقة غير مشروعة مع أولئك  
الشعراء، قبل سنة ونصف تسلمت الحكم الكامل للبلاد الاسلامية  
لمدة عشرة أيام. وخلال تلك الأيام العشرة. نصبت عددا من الوجوه  
والأشخاص، ولكنه عندما تسلم الحكم طردهم جميعا.. قبل عدة  
أيام جاءني طباخه الخاص، لا أعرف بأية مناسبة وكان يحمل معه  
إناءً من أكل خاص وقال: هذا هدية، وكانت معه رسالة كتبت إلي:  
أكلتُ من هذا الطعام، انه لذيذ جداً، وبدوري ارسلته إلى عزيزتي.  
اتمنى ان تتناولي منه وتتلذذي به.. يبدو ان الله يحبني.. تلك  
ارادته ان أبقى حية واستمر في أعمال الخيرة وأقف بوجه الظالمين  
(تضحك مهتاب مقهقهة). ألا تصدقين؟

مهتاب: بماذا؟

خيزران: بان الله يحبني.

مهتاب: بدون شك، (اضحك) لأنه في وقت واحد يحاول كل من الطرفين  
القربيين من بعضهما أن يقضي على الطرف الآخر، أضحك لأن  
الطرفين عبارة عن ذكر وأنثى، الذكر دائما يتصرف بغباوة، لكن  
الأنثى تتدبر جميع جوانب الأمور، وتقيّمها.  
خيزران: هؤلاء خفاف العقول أمام الأنثى.. ذلك ديدن آبائهم وأجدادهم،

انهم ورثة غباوة الذكور أمام الأنثى.. لا أمان لهم تجاه أحد.. ولا  
سيما للذين يخدمونهم..  
مهتاب: لم أفهم.. فقد اختلط الحديث.. كنت أتحدث عن الرجال.  
خيزران: انت على حق.. انا ايضا كنت اتحدث عن رجال آل عباس. الذين  
لا امان لهم تجاه أحد، ان الذين يخدمونهم لن يكون مصيرهم  
بأفضل من مصير (أبي مسلم الخراساني). (تفكر) عماذا كنا  
نتحدث؟ هذا الولد المجنون شوش فكري طالما هذا النذل حي هكذا  
أنسى الأمور.

مهتاب: كنا نتحدث عن إناء الطعام.

خيزران: كدت ان أتناول الطعام.. لكن جاريتيه -عزيزة- التي هي أم  
أطفاله الأربعة، دخلت الغرفة ورأت الملعقة في يدي. تقدمت مني  
وزعقت وأخذت الملعقة مني، وقالت بصوت عال: ألم تأكلي شيئا  
من هذا الطعام؟ قلت بدهشة: كلا. لكن انوي الآن أن أكل منه..  
امسكت (عزيزة) يدي وصرخت لا تأكلي منه فقد رأيت بأمر عيني  
أنه دعا أحد الأطباء اليهود.. ودس ذلك الطبيب شيئا في الطعام  
أشبه بالدقيق وخلطه بالملعقة وقال له باطمئنان: اذا تناولت ملعقة  
من هذا الطعام فانها ستنام نومة لن تستيقظ منها إلى يوم  
القيامة. فوضع كيسا من الذهب في يد الطبيب وقال له: أمل أن  
تثمر جهودك، وأصبح شاهد احتضار تلك الفاجرة اللعينة.

مهتاب: كما قلت. أن الذكور خفاف العقول في مثل هذه الأمور.. عندما  
ينسج الرجال خيوط انقلاب ما أمام النساء، فلن ينجح ذلك  
الانقلاب أبدا.. لذلك فاني متأكدة من انتصارنا.. لأن أي ذكر لا  
يشاركنا في هذا الأمر.

خيزران: (كأنها لم تسمع هذه الملاحظة، واستمرت) و أكملت عزيزة

حديثها .. كنت اعرف ان (عزيزة) لا تحب زوجها، قلت في نفسي لعلها تريد أن تلتفك عليه تهمة. قلت: لنجربه. جلبوا كلبا وأكل قليلا من الطعام، ولم يزل فمه في الأكل حتى بدأ بالعواء، ووقع على الأرض.. وكان يتلوى، وتقياً، ثم هلك. عندما رأت عزيزة ذلك احتضنتني وقالت: كان كلامي صحيحا.. انت لا تدري أي وحش أصبح بعلي.

مهتاب: (عزيزة) أتعس مني.. فقد منحوها له كهدية..

منى: (تدخل وتلقي التحية) مولاتي، ها قد وصلت عزيزة وارمانوسة.. خيزران: لتدخلا (عزيزة وأرمانوسة تدخلان، وتلقيان التحية، تشير خيزران عليها بالجلوس، توجه كلامها إلى عزيزة) أتيت على حديثك. أردت أن أتحدث عن هاتين الفتاتين (المهتاب) العزيزة. مادمت آتية بنفسك.. تفضلي وتحذثي عنهما.

عزيزة: (تلتفت نحو مهتاب) لم ولن يوجد وحش وسفاح مثله.

مهتاب: انا اعرفه ايضا.

عزيزة: ربما لا تصدقين أي وحش هو، في احدى الليالي كنا معه مع عدة نساء أخريات، جاء احد الخدم وهمس في اذنه شيئاً ما، نهض، قائلاً: ابقين هنا، ولا تبرحن هذا المكان. خرج، ثم عاد بعد قليل، وانهار فوق مندره، وكان يتنفس بسرعة. وطلب الشراب، جاء خادم ويده صينية عليها صرة، وقال للخادم: (اقلب الصينية فوق الارض)، ثم قال لي: ارفعي الصرة وافتحيها، كانت الصرة مبللة وعندما فتحتها صرخت صرخة تصورت أن بغداد برمتها قد سمعتني. فقد رأيت رأسين مذبحين. وقال دققي فيهما بصورة جيدة تأكدي من هما هاتان.. سقط الرأسان من الصرة ووقعا فوق

البساط.. كانت لدي جاريتان، وكان الرأسان رأسيهما.. كنت أحبهما كثيرا لم ار أنظف وأجمل، واكثر وفاءً منهما، لم تكونا عربيتين، كانتا مهذبتين ولبقتين ونادرتين، (تدخل عتبة وعبادة وجميلة ويقعدن بهدوء).

مهتاب: ذبحهما زوجك؟

عزيزة: (بحزن) أجل.

مهتاب: لماذا؟

عزيزة: سألت زوجي: لم ذبحت هاتين الجاريتين؟ أجابني: (أما تعرفين)؟ قلت: كلا.. قال: أخبروني. بأن هاتين الجاريتين تمارسان العشق بعضهما مع بعض. تنامان في فراش واحد ليلا وتمارسان الحب. وعندما أخبروني قلت لهم: أخبروني أن دخولهما في الفراش الواحد، وأنبأوني بذلك ورأيتهما في الفراش الواحد.. وذبحتهما دون تردد؟.. ولما أكمل زوجي المجنون هذا الحديث أخذت اصرخ وأبكي.. قلت له: لماذا لم تسألني عن سبب تنويم الفتاتين في فراش واحد؟ لو سألتني ولم تصغ الي كلام الخادم السيء، كنت اقول لك، إن الكوابيس تجثم على صدر الفتاة الصغرى في الليل، وكانت تنزعج منتصف الليل، وتستيقظ من الخوف وتبدأ الصراخ، فطلبت من الفتاة الكبرى أن تنام معها بضع ليال كي لاتدعها تصرخ وتزعج سكان القصر.. تينك الفتاتان كانتا شقيقتين والذي دفعتك لتفعل ذلك جعلك عصاً في يده وقضى بك على خصومه.

مهتاب: عندما علم انهما شقيقتان وأن أصغرهما كانت مريضة، أقصد ألم يندم على ذلك؟

عزيزة: لم يعرف الندم أبدا، واذا لم يسفك الدم يوما فان الكرى لن يجد

طريقاً الى عينيه حتى تطلع الشمس ويوماً ما حيث لم يسفك فيه دمًا.. أفضّ السهر مضجعه، وقتل أجمل جواريه ليلاً لأنها أكلت ثوماً. كما قتل جاريتين أخريين لنفس السبب وبعد أن شاهد الدم وسمع الأنين هداً.. ثم نام.. والغريب في أمره انه في الصباح نسي لماذا قتلهن! (تلتفت الى خيزران) أشارككن هذه الليلة باعتزاز..

خيزران: (تحدق في جميعهن وتلتفت إلى مهتاب) أولاً: سيكون لك الدور الرئيس. كيف روضت والده، كيف جعلت ذلك الوحش دملجاً معصمك. كوني نفس الشيء مع هذا أيضاً. وإذا انفرد بك ودخلتما معاً غرفة واحدة، عند ذلك تعرفين من أي باب ترسلينه إلى الجحيم..

مهتاب: (بابتسامة) أغلب الرجال الذين قُدمت لهم كهديّة، كانوا يركعون على ركبهم، ويسجدون لي ويقولون: طريق الجنة من هنا.

خيزران: الحمقى من الرجال يحسبونهم باب الجنة، والنساء الذكيات الطوامح في السلطة يحسبنهم باب الجحيم (تضحك وتلتفت إلى منى وجميلة) انتما: بالمداعبة، وإذا احتاج الأمر قوماً بممارسة العشق مع ذواق الأكل وغررا به..

منى: (يضحك) ذواق أكله مخصي!

خيزران: (بغفلة) أصنعاً له!

جميلة: بماذا؟

خيزران: (تنتبه عم تتحدث ثم تضحك مقهقهة) ارمانوسة وعزيزة تعرفان عملهما بدقة.. تقف هؤلاء النسوة قبالة شيطان واحد.. عليكن أن تثبتن أن النسوة من امثالكن يستطعن دفن شياطين الأقاليم

السبعة برمتهم.

مهتاب: (بابتسامة) يجب ان يتعلم الشيطان بنفسه منّا هذه الليلة.

خيزران: عندما تنهمكن بأعمالكن. سوف انسحب وأنزل إلى الطابق الأسفل إلى الوزراء والقادة ومساعديه، وأتحدث معهم، وأهيء لهم المائدة الملكية، رغم أن بعضاً من قادة الجيش وكبار رجال الدولة مودعون في السجون بأمر (هذا) الحيوان، لكن الذين سألتقيهم هذه الليلة يتربصون لي بأمل أن يستفيدوا. لكنني سأطيل أحاديثي وأعدهم أن أعمل لهم هذا أو ذاك. أو في الأقل أشفع لهم لديه (و سوف أطيل الحديث أكثر. بينما تتدبرن عملكن.. انه لا يسمح أن يأتي الوزراء والمسؤولون إلى الحرم، لذا يكون عملكن اسهل.. بقدر المستطاع أعطينه الشراب الكثير.. حان الآن وقت وصوله إلى هنا.. (تلتفت نحو منى) اذهبي إلى الشرفة انظري بدقة.. (تخرج منى).

منى: (تعود بعد قليل) ها.. لقد ظهر موكبه من بعيد.

خيزران: اذهبي إلى الشرفة (تخرج منى إلى الشرفة).

منى: (من الشرفة) انهم يتجهون نحو القصر.

خيزران: وماذا ترين أيضاً؟

منى: انهم يقتربون.

خيزران: انظري جيداً.. ماذا ترين ايضاً؟

منى: بعض فرسان فوجه الخاص يمشون خلف الموكب..

خيزران: أمّا هو؟

منى: فممتط جواده، محاط ببضعة من قادة الجيش من طرفيه، وبعضهم

من الخلف.

خيزران: ماذا يحمل الفرسان؟

منى: الرايات السود .. ها .. هم يقتربون من بوابة البستان ..  
(في هذه اللحظة ترتفع اصوات الطبول والأبواق).

الظلام

\*\*\*

## المشهد الخامس

(خارج بوابة قصر خيزران .. خيزران و بضع من الجوّاري في استقبال الخليفة).

الهادي: (يلتفت إلى جارية) اين امي؟ (قبل ان تجيب الجارية تظهر خيزران وسط حشد من الجوّاري، تلبس كل واحدة منهن خمراً شفافاً يغطي وجهها. ويتقدمهن. خيزران تحني رأسها إلى أن بدأ الهادي الكلام).

الهادي: سلاما يا امي .. جئت لزيارتك، لكي لا تعاتبيني، ولا تقولي أنه لا يأتي لزيارتي، ولا ينفذ واجب الولد تجاه الوالدة .. (شيء من الصمت وينظر إلى جانبيه) سيمقى جيشي خارج القصر .. أنا والوزراء والأمراء ضيوف لديك هذه الليلة ..

خيزران: (للخليفة) ولدي الاعز لنخطّ نحو الحرم.

الهادي: أنا وحيد الليلة .. وليست معي زوجاتي .. وتلبية لرغبتك، جئت من المعسكر مباشرة الى هنا .. أفضل أن أتناول العشاء هنا مع رفاقي عوضاً من الذهاب إلى الحرم (يلتفت نحو الأمراء) انتم ماذا تقولون؟ أتناول العشاء معكم أم أذهب واجلس إلى مائدة والدتي؟

أحد الوزراء: الذي يراه الخليفة العظيم امراً حسناً .. فهو مقدس.

الهادي: (يدير وجهه دون أن ينظر الى عيون والدته) من المؤكد بعد الصلاة، وعند تناول الفواكه والحلويات سوف نتحدث .. لكن

لتناول العشاء اريد أن اشارك الوزراء والأمراء المائدة.. لأن لدينا امور إعداد الجيش - الروم بحاجة إلى درس آخر.. هنالك أيضا أمور كثيرة تقتضي تنفيذها هذه الليلة..

خيزران: (بحبور) ولدي العزيز ايها الخليفة العظيم ارادتكم فوق الرؤوس. الهادي: (ببرود) هل هناك شي آخر جدير بالكلام؟ خيزران: (تهمس في أذنه) بصدد خزينة والدك المرحوم. وهناك بعض الأمور الأخرى يقتضي عرضها على مقامكم.

الهادي: (بلا مبالاة) وقتي قليل، لا أعتقد هذه الليلة وقتا مناسباً لهذا العمل من الأفضل أن أرسل إليك موظفا في ديوان المال.. بغية تصفية الأمور المتعلقة بخزينة والدي.. لقد رجعت من الموصل منذ مدة قريبة وأنا تعب.

خيزران: (بعطف) أنا قلقة بشأن تداول هذه الخزينة من يد إلى أخرى، تضيع أو يحدث لها شيء، ويلاحقني العار إلى الأبد..

الهادي: قلقك في غير محله.. اذا كانت الثروة لوالدي فإنها ستصلني شئت أم أبيت. أنا لا أحب أن تقلقي من هذا الجانب.. يجب أن أعود بعد تناول العشاء.. في نيتي التوجه غدا نحو الصحراء بقصد الصيد.

خيزران: انت تدير الظهر الى أمك وتحرمني من حنان وعطف الأمومة.. لكنني أحبك، ومن أجل هذه المحبة.. حاولت عدة أسابيع لكي ترضى وتنكث بيمينها وتأتي إلي هنا وتنير قلبك ودخيلتك.. ولكي تكون لك إلى الأبد..

الهادي: (لا يفهم قصد أمه بلا مبالاة) كما قلت، يجب أن أعود إلى قصري بعد تناول العشاء. وقتي قصير وأعمالي كثيرة (يتجه مع

والدته على مهل نحو الحرم.. يقترب سعيد من الخليفة)

الهادي: (لسعيد) يا حيوان أرجع إلى الوراء ألا تعرف هنا حرم والدتي؟ سعيد: (كأنه يتوسل) مولاي: أسمحوا لي أن بعض المخضيين..

الهادي: (بغضب) ليس ضروريا.. هيا اخرج.. (يبتعد سعيد قليلا).

خيزران: (بحنان الامومة) يا ولدي العزيز، يا فلذة الكبد، تقدم.. لتعرف ماذا ترى.

الهادي: ماذا تقصدين؟.

خيزران: (تشير بإحدى أصابعها إلى احد الأدرج.. هناك امرأة تدرت بوشاح من حرير تظهر فقط عيناها السوداء وان هي تهبط من الدرج.. ينظر الهادي إلى المرأة بدقة والمرأة ترفع الغطاء من على وجهها رويدا رويدا). هذه إحدى إمارات عطفي وحببي لك.. أهدي إليك تلك الهدية الثمينة، أعرف وأؤكد ليس في هذا العالم الشاسع اعز عليك من هذه (تمسك بيد مهتاب وتضعها في يد الهادي ويضحك الهادي بغباوة من شدة الفرح). هذه جارية معتقة. بعد وفاة المرحوم والدك اختارت لنفسها زوجا، ومات الزوج. ودعوتها الآن لكي أهديها لك.. (ينظر هادي إليها مشدوها وبدون ارادة يمد يده يحك كتفه.. تلك هي مهتابك المدللة، وهي لك لن تعود إلى (المدينة) مرة أخرى.. ترغب في أن تقضي حياتها بجانبك إلى الأبد.

الهادي: (بغباوة) انت؟.

مهتاب: (بغنج) نعم. أنا.

الهادي: كنت سمعت أنك تودين أن تقضي الحياة في (المدينة المنورة).

مهتاب: صحيح. ولكن تراجع.

الهادي: كيف؟

مهتاب: نفذت أمر السيدة والدتكم.. كتبت لي رسالة، طلبت مني أن آتي إلى هنا.. لكي أفرح قلب أعز الناس لديها.. ورغم أنني أغلظت اليمين ان لا أنظر إلى الرجال بعد وفاة زوجي.. لكن لا استطيع مخالفة كلام والدتك.. فقد كتبت إلي بأن مصلحة الدولة تتطلب ذلك.

الهادي: ماذا تريد الوالدة؟

مهتاب: تريد أن لا أعصي أوامرهم.. ولن أترك الدنيا مثل الراهبات. والآن إسمح لنفسي أن ابتعد عن الرسميات وأنا أناديك باسمك، واقول يا ايها الهادي العزيز والحبيب. كما أحببتك في السابق، ولم أجرؤ البوح لك بحبي (تحكّ كتفيها عمداً) و الآن ابوح به لك من كل قلبي وبصوت عال.. أحبك أيها الهادي..

الهادي: هل تتذكرين.. عندما أمر والدي أن يجلدوني بسببك؟

مهتاب: (بغنج وخجل) اجل: أتذكر، وكيف انساها؟!

الهادي: أشفقت علي؟

مهتاب: اجل.. لكن لم يكن بيدي حيلة.

الهادي: كيف لم يكن بيدك حيلة؟

مهتاب: كنت جارية امك.. وأهدتني الى والدك، وهل تستطيع الجارية عمل شيء ما؟

الهادي: كنت تستطيعين فعل الكثير.. كان جمالك يلهب القلب والروح معا..

مهتاب: أنا آسفة لأنهم جلدوك.

الهادي: (بغباوة) كان بسببك.. فقد طلبت من والدي ان يتخلى عنك ويهديك إلي..

خيزران: (بحبور تتدخل في حديثهما) كان المرحوم والدك على حق.. لأنك ماذا طلبت منه؟ أنك طلبت منه روحه.

الهادي: (كمن تناسى أن أمه واقفة معها. يقلب لها ظهره، وينظر إليها وينظره خاطفة ويقول بهدوء لأمه): أغربي عن عيني، دعيني ابقى معها وحدها.

خيزران: ليكن كما تشاء.. ها أنا ذاهبة الآن.. أريد أن اعرف ما أن نعد المائدة في الطابق العلوي في جناح الحرم.. أم في الطابق الأسفل في القصر العام؟!

الهادي: طبعاً في الطابق العلوي.. مهتاب.. موجودة هنا وتريدين أن أتناول العشاء مع أولئك الاوباش والسفلة.

خيزران: اذاً تتناول العشاء معنا؟

الهادي: معك لا.. ولكن مع مهتاب فنعم.

خيزران: وأرمانوسة أعدت لك الذّ الأظعمة الأرمينية.

الهادي: هل هي هنا ايضاً؟

خيزران: (بغنج) وكذلك منى.. جميلة.. عتبه.. عبادة..

الهادي: اللاتي ذكرتهن هن من الجوّاري الموسيقيات والمطربات والراقصات الحسان كأنهن حوريات لكني أجعلهن خادماً لأحذية مهتاب.. (يتوجه إلى أمه).. أدعوا لي سعيداً..

خيزران: (تصفق، يدخل غلام راكعاً) انزل بسرعة وادع سعيداً وقل له: أمير المؤمنين يطلبك.

الهادي: (عند سماعه عبارة أمير المؤمنين وهي تخرج من شفتي أمه.. يلتفت نحو أمه باندهاش.. وتنظر مهتاب إلى هذه الالتفاتة بدقة، وتتدارك الأمر بسرعة.. وتمسك بيد الهادي).

مهتاب: أمير المؤمنين العزيز (تسحبه نحوها) من الآن أنت أمير مؤمني،  
انت جمال ومروءة وجود أمير مؤمني، يجب أن يدوي في جميع  
أنحاء العالم. (يفرح الهادي بهذا الشناء كثيرا.. يدخل غلام..  
يتوجه إلى خيزران راعها).

الغلام: ها.. هو سعيد.

الهادي: ليدخل.. (يخرج الغلام، وبعد هنيهة يدخل سعيد)

سعيد: مولاي.. سلاماً.

الهادي: (لايرد على سلامه) ليبق الوزراء والأمراء ويتناولوا العشاء في  
القصر العام. وليبق من رجالي الحرس الخاص عشرة فقط.. دعوا  
الآخرين يعودوا إلى القصر.. وإذا لم أعد عند منتصف الليل  
فليعودوا إلى المعسكر.

سعيد: (بخوف) ربما غيرتم قراركم.. تريدون أن تبقوا هذه الليلة في هذا  
القصر.

الهادي: (بلا مبالاة) نعم.

سعيد: هل لي أن أسأل لماذا؟

الهادي: (بغضب) حيوان،.. لا تكن ساذجاً إلى هذا الحد.. أعرف حدود  
بساطك.. هيا أخرج.

سعيد: (يركع.. ودون أن يرفع رأسه ينسحب وهو منحن) أمركم.. مولاي  
الخليفة.

مهتاب: (ممسكة بيد الهادي تأخذه إلى مكان مهيباً، عتية وعبادة ومنى  
وجميعة يقفن لهما، ويهيئن لوازم الحفلة). منذ مدة لم ير بعضنا  
البعض، تنتظرنا ليلة جميلة، لنجعلها ليلة الثأر، ثأراً لرغباتنا  
المكبوتة. ثأر اللهفات التي كبتها الخوف.. ثأر..

الهادي: (يقاطعها) لم احب قرار والدي بمعاقتك بالجلد أيضا.

مهتاب: (بدلال): انا فرحت لذلك.

الهادي: لم؟

مهتاب: العشق الذي لا يصحبه العذاب.. ليس عشقا، بل لعب أطفال،  
واللعبة مهما كانت مثيرة، لا بد أن يشبع منا المرء ويضجر منها..  
وحينما يدخل الضجر في ثنايا العشق، فذلك يعني أنه لم يكن  
عشقا صحيحا في الأساس. بل كان نوعاً من خداع النفس وخداع  
الآخرين، لكن عشقا خنقه الخوف، وتلعلع بصمت، وزرع كلمات  
غير منطوقة في قلب المعشوق، تأكد بأن تلك الكلمات الصامتة  
ستنطق في مثل هذا اليوم.. قال لي المرحوم والدك (تتصرف  
كالمهدي، تغبّر صوتها تقلد صوت المهدي، وتمسك جديلة الهادي  
بيدها اليسرى وتحني رأسه وتنهض على ركبتيها وبغضب) عاهرة!  
كيف تغررين بابني، جعلته يتجرأ، ويطلبك مني ويقول لي: (تغير  
صوتها وتقلد صوت الهادي) مولاي.. أمير المؤمنين.. تخل عن  
مهتاب.. مهتاب تحبني.. انها مفتونة بي، ومتلهفة علي.. وأنا  
أيضا أحبها. (تمسك بيد الهادي وتضعها على جداولها، وتقرب  
رأسها بدلال من صدر الهادي وتتضرع، بصوت نسوي رقيق)  
مولاي.. الذي تحدثون عنه، ليس لي به علم.. (تقع على الأرض  
وتلف شعرها حول ذراع الهادي، كأنها تسحب من شعرها.. تقلد  
المهدي) عاهرة! تتصوريني غيبا إلى هذا الحد. بأن الثمل والمتيم  
يستطيعان أن لا يظهرأ أنفسهما كما هي - أي أنهما عاشقان -  
عيناهما تشهدان عليهما.. أحدق في عينيك، أرى فيهما صورة  
ذلك النذل.



الهادي: (يقاطعها) كان والدي معروفاً بذكائه وبأنه خبير بالنساء (يضحك ببلادة).

مهتاب: (بمثل صوت المهدي) والآن أفهمك ما هو جزاء الخيانة.. فاسقة.. فاجرة. (تضطجع على ظهرها وشعرها في يد الهادي، مع نشيج البكاء والصوت النسائي.. (مولاي.. أحلف بما هو مقدس عندكم.. لم أحنكم أبداً، والذي قيل عني كذب كله) الهادي منزع، مهتاب تنهض وتحني رأس الهادي وبصوت المهدي) حقيرة، كاذبة، مفضوحة، غررت بولدي (ينتبه) انت غررت بولدي العزيز والحبيب. (الهادي يضحك ببلادة مهتاب مضطجعة على ظهرها، وظهرها على ركبتي الهادي مباشرة. بصوت نسوي) هذه تهمة يا سيدي، لم أرئلكم سوى مرتين، ومن بعيد، ولكن كنت أعرف أن ابنكم كان ينظر إلي بعين أخرى. فقد بعث إلي مرتين برسائل الغرام، طلب مني إن وافقته ستكون لديه الجرأة ليطلبني منك ولم ارد عليه.

الهادي: (عصبي المزاج، يفك يديه من جديلة مهتاب، ويفك يدي مهتاب من شعره ايضاً). لم لم ترد علي؟

مهتاب: (بدلال) هل يمكن خيانة الخليفة؟

الهادي: (دون صبر) احببتك.. والآن كذلك..

مهتاب: إذا ظهر شخص ذو سلطة وأحبني. هل يجوز.. لأنه يحبني (تضع يدها على رأس الهادي) أن أخون مولاي الخليفة؟

الهادي: (ينشرح.. يضع رأس مهتاب على صدره، منى وجميلة تقلدان حركات مهتاب والهادي بصمت وبرقصة رتيبة، تنظم عتبة وعبادة إيقاع موسيقاهما حسب الحركات المكونة للرقصة، وخيزران كأنها ضابط إيقاع تحرك وشاحا بيدها إلى الأعلى والأسفل).

مهتاب: (بصوت المهدي) تعرفين أنني أحبك (تمسك شعر الهادي، منى وجميلة تفعلان مثلها) أحبك.. اثق بك، وها.. أنا ذا قررت أن لا أقتلك. لأنك بلهاء وترعرعت في هذا القصر ولم تتفهمني. لذلك ينبغي ان يجلدوك أربعين جلدة بسبب بلادتك، هذا بسبب البلادة وعدم الفهم، تتصورين انا نصدق أيمانك أو تضرعاتك أو تشير شفقتنا من أين لنا الشفقة، لن يكون عرش الخلافة مصوناً إذا لم نقتل شفقتنا اضربوها عشرا أخرى.. هذا لكي لا تفكري بالخيانة حتى في الحلم (ضاحكا). و اضربوا مئة وخمسين جلدة ابن الكلب ذاك.. حتى يصبح جسده الملطخ بالدم عبرة للآخرين (بصوت نسوي) مولاي.. روجي لك وحدك انت مولاي، يا امير المؤمنين، لم أنظر بعين الهوى إلى ولدكم المحبوب أبدا.

الهادي: (كأن هذا التمثيل شيء حقيقي، يغضب ويعطي الإشارة باليد إلى مهتاب، يفهمها لكي تأتيه بالشراب، تنهض مهتاب تعطيه كأساً مليئة بالشراب، يجرعها الهادي بدفعة واحدة، مهتاب تضع قطعة من اللحم في فم الهادي، الموسيقيون يعزفون الألمان، جميلة ومنى ترقصان، مهتاب تناوله كأسين آخرين من الشراب.. وفي الكأس الرابعة. بدلا من أن يأخذ الكأس من يد مهتاب، يمسك الكأس مع يدها ويسحبها نحوه ويلصقها بصدره، يشربها بحيث تنساب بضع قطرات من على حنكه، شبه ثمل). مهتاب مهتاب الحبيبة.. كنت أولى امرأة احببتها، احببتك (تسحب منى جميلة نحوها بمثل تلك الحركة، وتلصق صدرها. يتسارع إيقاع الموسيقي) لا تمتلك اية امرأة اخرى مثل طعمك. إضافة إلى أنني تعذبت بسببك على أيدي أعز الناس لدي الى حد الموت. حصل لي كل ذلك بسبب جمالك. كنت هدفاً بعيد المنال، والآن انت بقربي في

سويداء قلبي وبؤبؤتي عيني.

مهتاب: أنا مثلك أيضاً.. كنت مشتاقة، لكن متى كانت للجارية إرادة، متى استطعنا أن نقول نحب هذا.. أو لا نرغب في ذلك الشيخ..  
(تنساب الدموع من عينيها) نباح ويمتص رحيقنا أصحاب الأموال، وتذوب رغباتنا بين دفء نقودهم. أنفاس يأسنا ساخنة تبخر رغباتنا وترفعها الى سماوات لامتناهية نحو العرش العظيم.

الهادي: (يمسح دموعها) بكم ابتاعك والدي؟

مهتاب: كنت جارية امك، كاد أن ينكشف سر عشقنا انا ووالدك لدى أمك.. امك شهمة، أهدتني إلى والدك.

الهادي: أمي كانت ذكية دائماً.. أقول قبل هذه الحالة. لو كنت خليفة في ذلك الوقت لكنت على استعداد أن أدفع نصف بيت المال ثمننا لك.

خيزران: يا ولدي العزيز: وأمك أيضاً لم تدفع أقل من ذلك الثمن مقابل هذه الحورية. وشعرت بالحب الذي كان بينك وبين مهتاب. لكن أيضاً كنت خائفة أن اتحدث عن هذا مع والدك (في يدها كأس من الشراب المخلوط ترجها عدة مرات وتناولها مهتاب يتسلمها الهادي من يد مهتاب ويشربها رشفة واحدة).

مهتاب: (بدلال) الليل طويل.. وما اعجلك.

الهادي: (يد مهتاب في يده ويتوجهان نحو المائدة المعمورة) مادمت معك، يجب أن استمتع بأصغر لحظات هذه الليلة، يجب أن ارتشفك مع كل رشفة من هذا الشراب حتى تمتزج مع دمي.

مهتاب: (تضع لقمًا من الطعام المسموم أمام الهادي) لا تستعجل.. الليل طويل. أنا أيضاً أريد تعويض الليالي التي قضيتها بدونك،

الليالي المليئة بالشوق والحرمان.. أريد أن أرتوي، أن أطلق العنان لذلك العشق الصامت ليصرخ، لكي تعرف بغداد والبلاد الإسلامية برمتها. بأن الهادي هو خليفتي وروحي، أريد أن ترقص رغباتي هذه الليلة وتأخذك في أحضانها (يرتفع صوت وصخب الرقص أكثر).

خيزران: (تنزل إلى الأسفل وبعد قليل تعود إلى الأعلى، يدخل سعيد مباشرة بعد خيزران).

سعيد: مولاي: كيف حال أمير المؤمنين؟

الهادي: (ينهض غاضباً ويصفعه) اخرج ايها الحيوان، هذا أولاً، ثانياً هل أنت أعمى؟ ألا ترى في أي رفة ونعمة أمير المؤمنين؟ الشراب.. شراباً طهور.. والخور حور عين. ثالثاً كيف تجرأت أن تدخل إلى حرم والدي دون استئذان، أول عملي غدا إرسال رأسك إلى زوجتك (يتجشأ) القذرة.

سعيد: (شحب لونه) تأمر يا مولاي.. قصدي هل تحتاج إلى شيء.

الهادي: (غاضباً يأخذ بخناقه) أيها السافل، هل أنا تائه في الصحراء (يطلقه - يسقط سعيد على ظهره، ينهض). هيا اخرج (يخرج سعيد متقهقراً).

خيزران: يا ولدي العزيز ليس جيداً أن تنفعل بهذا الشكل بوجه رئيس جواسيسك.. فقد جاء معبراً عن إخلاصه لكم..

الهادي: (يذهب نحو إحدى الجرار المليئة بالشراب المخلوط، يستمر في احتساء الشراب من الجرة، ويأتى على آخرها، لأمه..) كلام سخيف، إخلاص رئيس الجواسيس، هؤلاء.. هؤلاء الرجال (يتجشأ) يعملون لأمر واحد (يتجشأ) وهو إرضائي. (يتجشأ) ويعملون

شيئا آخر، لا يدعون أن أعرف الحقائق.. يخفونها عني، ويعملون أشياء أخرى. لا يدعون أن يصلني المظلومون. ويعملون شيئا آخر، القوادة (ينتابه الغثيان) رئيس الجواسيس.

خيزران: قصدي: ليس الغضب جيدا لصحتك.

الهادي: هؤلاء الحيوانات لا يفهمون الكلام بدون الغضب واللكزات (يتجشأ).

خيزران: لو سمحتم فقد تعلمت تلك الراقصات نوعا من الرقص يمنح لذة أكثر..

الهادي: (بشمالة قصوى) ماهو هذا الرقص؟

خيزران: (تحدق في عيون الهادي) رقص شبه عار.

الهادي: بشرط أن ترقص مهتاب أيضا (ينتابه الغثيان مرة أخرى) رأيت رقص مهتاب مرة واحدة عندما كنت أعشقها.. فضربوني مئة وخمسين جلدة..

مهتاب: (تمد له كأسا من الشراب) وانا خمسين جلدة!!

الهادي: (يترنح يكاد يسقط واستند إلى صدر مهتاب) كلانا متتان.

مهتاب: يعنى ستندمل اثارها هذه الليلة بمثتي قبلة!

الهادي: نتقاسمها، انا مئة وخمسون وانت خمسون قبلة.

مهتاب: حسب شريعة أمير المؤمنين تحصل المرأة هنا أيضا على الثلث.

الهادي: (ثمل جدا) احسنت (يغني بصوت عال).

خيزران: (تفهم الجوارى بالعين، يرسلن صفائهن تمسك مهتاب خاصة الهادي، يقع كلاهما في وسط الراقصات، ولكي يزداد مفعول

السم أكثر دارت به بشدة، يسقط الهادي، ترفعه مهتاب)

مهتاب: كنت اعتقد، بأن أمير المؤمنين يقدر أن يشرب عشر جرار،

ويضاجع عشر جوارى.. لكن.. (الهادي حديثه مشوه) رقصت لك كل هذا الرقص الجميل، لن أترك يدك إلى أن ندور معاً عدة دورات أخرى، أن نرقص ومعا هذه الرقصة.

الهادي: أية رقصة؟

مهتاب: رقصة الموت.

الهادي: (ينتبه) أي موت؟

مهتاب: موت ليالي اليأس.. لتذهب تلك الليالي ولا تعود.. الليالي التي كنت في خيالي اضع اليد في جيد (تضع اليد في عنقه) أميري.

الهادي: هيا.. هيا (يرقصان بجنون).

خيزران: (للجوارى): ارفعن صوت الموسيقى هيا غنين، غنين بصوت عالٍ (الجوارى ينفذن الأمر، للهادي) لا تكسر خاطر مهتاب.

مهتاب: (تترك يد الهادي عمدا، يترنح الهادي، بحيث لا يستطيع أن يقف على قدميه إلا بعناء. تشد ذراعها حول خصر الهادي وتديره بسرعة، هذه المرة ترخي نفسها عمدا بحيث يقعان سوية على الأرض، تنهض مهتاب. الهادي لا يستطيع النهوض، ترفعه مهتاب، وفي خارج القصر قامت جاريتان مصريتان بإسكار ذواق الأكل بحيث كان يغني بصوت عال).

الهادي: هذه الأغنية التافهة.. من هو صاحب هذا الصوت النكير؟

خيزران: أنه صوت ذواق طعامكم.

الهادي: (ممسكا بطنه بيديه) آه.. آه.. بطني تؤلني.

خيزران: ربما بسبب تلك التوابل الهندية في الطعام.. لأعطك كأسا من الشراب (تملاً كأساً تناوله.. ويأخذها منها ويجرعها).

الهادي: (تضييق انفاسه ويعاوده الغثيان) الشراب.. الشراب..  
 خيزران: (تمد له كأساً من الشراب المسموم، يهم بأخذها منها لكن لا تناوله) سأشربك بيدي.  
 الهادي: (يتمدد على ظهره، فاغراً فاه، تقطره خيزران في فمه قطرة قطرة) تكاد تحترق أحشائي.  
 مهتاب: (تناوله كأساً) اجرع هذه التي في يد حبيبتك.. ستتعافى مباشرة.  
 الهادي: (يمد يده للكأس، ولا يستطيع الإمساك بها، تضع مهتاب يدها تحت رأسه وترفعه وتفرغ كأس الشراب في حلقه). أحشائي.. أحشائي.. ناولينني الماء.. الماء.. الماء..  
 خيزران: (للجوارى) ارفعن صوت الموسيقى أحميناً حلقة الرقص (تزداد حمى الرقص، الجوارى يرقصن رقصة جنونية حول الهادي، والهادي ينظر إليهن من مكانه باندهاش، ويهز رأسه مع رقصاتهن، ومهتاب ترفعه على قدميه يقف على قدميه بعناء..)  
 مهتاب: (في يدها كأس من الشراب وممسكة الهادي بقوة من خاصرته). هاك.. اشرب هذه أيضاً لأجل عيونني (تشربه وتتركه، ويسقط الهادي، يحاول ان ينهض، يترنح مرتين ويسقط).  
 الهادي: (كأنه يشعر بما يحدث له، يلتفت نحو أمه) ايتها العاهرة، العاهرة.. (ينهض ثم يسقط).  
 مهتاب: (للخيزران).. صوته عال.. الحرس.  
 خيزران: لا تهتمي. إنهم اربعة حراس، وارسلت لهم ثمانى جوارى، فقد شربوا مع ذواق الأكل قدرا بحيث انهم يحسبون أنفسهم خليفة.  
 الهادي: (ساقطاً على ركبته، ويده على بطنه يريد أن يتجه نحو الباب

جاثيا على ركبته، ولا يستطيع، يصرخ ولا يخرج صوته بشكل جيد سوى صوت الأنين والألم، مع هذه الكلمات من فمه).  
 العاهرة.. فعلا.. ت.. بي.. أيضاً.. مثل.. ما.. فعلا.. لت بالمهدي.. وا.. لدي.. يا.. عاهرة (يسقط على بطنه يهم بالتوجه نحو الباب زاحفاً على بطنه، تقطع خيزران الطريق عليه.. تغطيه بسجادة وتقول للجوارى (تعالى) تجلس الجوارى على السجادة مهتاب تضرب ما تحت السجادة).  
 مهتاب: هاك.. خذ جزء تلك الإهانات التي وجهتها لي (عندما تتأكد الجوارى أن الهادي قد لفظ أنفاسه الأخيرة، يرفعن السجادة عنه، يقعدنه ويمسحن فاه، تشعل خيزران مشعلاً وتحركه يمينا ويساراً مرتين في الشرفة ويسمع صفير طويل)..

الظلام

\*\*\*

## الفصل الثاني

هارون: (يحمر وجهه) انت دائماً أرشدتنا إلى الطريق القويم.. أمرك..  
ولأن زوجتي زبيدة حامل فسوف أؤجل الأمر مدة..

يحيى: المهم أن لا تنساها.. لولاها لما بقيت أمك الآن على قيد الحياة،  
ولما أصبحتم - أنتم - خيلفة، وأنا بدوري لم أكن لأتحمر من  
السجن، ولتخطمت عظامي.. لذا يجب..

هارون: (يقاطعه بسداجة). أبداً لن انساها.

خيزران: ليست عزيزة وحدها.. بل يحيى أيضاً.. الذي كان العقل المدبر  
والحقيقي لنا.. كان يخطط في سجنه ويرشدنا.. (لهارون)، كل  
انتصاراتنا مدينة لعقل (تضع يدها على كتف يحيى) هذا الشيخ  
الجليل النادر.

هارون: طبعاً لأجل هذا. منذ اليوم أسلمه (مهردارية- ختم) ديوان الخلافة  
(ليحيى) من الآن. هيئوا أنفسكم لإدارة شؤون الدولة الاسلامية.  
وسأمنحك جميع السلطات، وكما قالت أمي فإني مدين لعقلكم.

خيزران: (لهارون) ليلة أمس قامت قوات خراسان بقيادة موسى (تمد يدها  
إلى يحيى) ابن هذا الرجل بتطويق بغداد، وصل موسى نفسه مع  
قواته الخاصة قصري ونفذ الخطة بحذافيرها..

هارون: (يضحك فرحاً ويلتفت نحو يحيى) يا أبي العزيز، لديكم الآن  
جميع الصلاحيات. لتعيين أو فصل أي شخص ترتأون.

يحيى: (يتحدث مع هارون وينظر إلى خيزران) سيدي.. الحمد لله  
العظيم، ولفطنة وذكاء هذه المرأة - أمكم - المخلصة جداً.. وبدلاً  
من أن اشنق في هذا اليوم كانت ارادة الله أن أتحمر.. فقد أمر  
شقيقك الهادي جميع تجاري بغداد بصنع ألف مشنقة.. وأن يشنق  
ألف شخص من اسرة البرمكي هذا اليوم (يضحك).

## المشهد الأول

بعد موت الهادي بيوم واحد، حيث اليوم الأول من خلافة هارون  
الرشيد.. ديوان الخلافة. هارون جالس على العرش، ويحيى  
البرمكي جالس إلى جانبه.. الحاضرون في تلك الجلسة جميعهم  
فرحون مبتسمون).

يحيى: اليوم يوم مبارك، اليوم الاول من جلوسكم على العرش.

هارون: في الليلة الماضية فارق الهادي شقيقي الحياة بسبب إفراطه في  
الشرب والأكل.. كان يحب الأكل والشراب والنساء كثيراً..

يحيى: كان شرها وزيرا للنساء. وأنا اليوم أول ايام حريتي، فقد أطلق  
سراحي من السجن فجر هذا اليوم..

هارون: (بخجل) مولاي.. أنت في مقام والدي.. مركزي ومقامي هذان  
مرتبطان بتدابيرك الذكية.

يحيى: كذلك ذكاء والدتك الحبيبة الخارق، سيده السيدات.. خيزران الفذة  
في العالم.. شكراً لتقديركم هذا، وأتمنى أن لا تنسى الآخرين.

هارون: أيهم تقصد؟

يحيى: عزيزة.. زوجة الهادي.

هارون: بم أكافئها؟ (تدخل خيزران مع مهتاب ومنى وجميلة وعزيزة  
وأرمانوسة.. يسمعن كلام هارون الذي قال فيه: بماذا أكافئها).

خيزران: تزوجها.

الغلام: مولاي - إنه هنا منذ أكثر من ساعة، أنتم تفضلتم: لينتظر في الخارج.

هارون: (غاضبا) أدخلوه (يخرج الغلام، ويدخل آخر ويهمس في أذن هارون). مولاي لقد أنجبت جاريتك مرجان ولدأ.

هارون: (ليحيى ضاحكا) في اليوم الأول من خلافتي وفي مثله من حريتك تنجب (مرجان) جاريتي الايرانية ولدأ.. جاريتي هذه ايرانية مثلكم. أريد أن تجد له اسما.

يحيى: لقد ولد في يوم ميمون.. أطال الله في عمره وسلمه.. أتمنى أن يكون موضع الإطمئنان سمه مؤمنا، أي (المأمون).

هارون: لافض فوك.. سوف نسميه عبدالله المأمون.

يحيى: أطال الله عمره وحفظه.. (غلامان يدفعان شخصا إلى الداخل.. ويقف جاثيا على ركبتيه أمام هارون، اسمه عمر).

عمر: يا أمير المؤمنين: أهنتك بمناسبة جلوسك على عرش الخلافة، كذلك أهنتكم بمولودكم الجديد الذي ولد هذا اليوم.

هارون: كيف عرفت. أتأ رزقنا بولد؟

عمر: في الخارج، سمعت من الغلمان.

هارون: متى؟

عمر: منذ أكثر من ساعة.

هارون: إذا أنت عرفت الخبر قبلي!

عمر: لأعرف يا مولاي: لكن أعرف أن النبأ إذا بلغ الحاشية. أقصد العبيد والخدم سينتشر بسرعة وحسب رغبة أولئك الذين ينشرونه، فهذا يضيف اليه، وذاك ينقص منه..

خيزران: (ضجرة) لا أريد أن أسمع بعد الآن اسم ذلك السفاح.

هارون: (مع نفسه) كان سفاحا رهيبا.. وكان لا يقدر له قرار دون أن يسفح دماً (تخرج خيزران والجواري).

يحيى: قال حفارو قبره هذا الصباح: عندما طمرنا جثة الهادي في القبر.. انفتحت ثغرة من القبر وكأنها ترسل نارا من الجحيم إلى القبر.. وأضافوا قائلين: إن الهادي قد نطق قائلا: الجحيم.. من الآن؟!.. ولكن النار نطقت مجيبا.. أني لست نار جهنم، بل نار تلك الأرواح التي أزهقتها.

هارون: (بدهشة) هل يجوز مثل هذا الشيء؟!..

يحيى: في دين أجدادي.. هناك عدة أساطير على هذا المنوال. حيث إن القبر ينطق ويتكلم، وأحيانا يبدو القبر غير راض أن يضم رفات الميت.

هارون: (دون قصد): لذلك.. فالزرادشتيون - أي اتباع دين أجدادك - لا يدفنون موتاهم..

يحيى: ليس الزرادشتيون وحدهم الذين لا يدفنون موتاهم، بل البوذيون والهندوس واليونان القدامى كانوا يحرقون جثث موتاهم.

هارون: (باستخفاف) إنهم أعداء الزواحف لدرجة يحرقون أرزاقها.

يحيى: (يشعر بأنه في موقع المسيطر) لكن كرم الهادي وصل إلى درجة أراد أن يضع ألف شخص من اسرة البرامكة على مائدة تلك الزواحف.

هارون: (لكي يتملص من الحديث يصفق ويدخل غلام وينحني) اين، ألم يجلبوه؟!..

هارون: (يقاطعه) أنت تهنتني؟

عمر: أجل. سيدي.

هارون: (بابتسامه) لكن أنا أواسيك!

عمر: وأنا أعزيكم بمناسبة الموت المفاجيء لأخيكم الهادي هذه الليلة.

هارون: انا لا أواسيك بمناسبة موت شقيقي.

عمر: (يتغير صوته رهبة) أنا خادم صغير خدمت ابن اخيك. أتمنى من

اليوم أن لا تغضب علي انا لا أفهم لماذا يعزيني أمير المؤمنين،

وإذا كان بسبب موت الهادي فكلانا مفجوع.

هارون: أعزيك لأن هذا اليوم هو اليوم الأول من خلافة هارون الرشيد.

حيث يرسل أحد خدمه إلى الجحيم.

عمر: (يلتفت حوله بغباوة) نعم سيدي.

هارون: (بصوت عال) ايها الجلاد.

مسرور: (زنحي عملاق) أمركم سيدي.

هارون: (لعمري) ايها العجوز الماكر الخسيس، هل نسيت كيف تصرفت

معني عندما كنا معا انا وابن أخي اليافع؟ كنت تويخني، وعندما

نكون على المائدة كنت تقول: أحذر لا تمدّ يدك إلى الطعام قبل

ولي العهد. وعندما نهم بالدخول من أحد الأبواب كنت تقول قف

يا هارون ليتقدم ولي العهد، كنت ترمقني بغضب وترفع صوتك

علي!.. وعند أي أمر آخر كنت تحذرنني: دائما ولي العهد أولا

وأنت بعده.. أهنتني أمام ابن أخي عدة مرات. لذا أعزيك الآن.)

عمر يقع على الأرض ويقبل رجلي هارون ويركله هارون على صدره

يتهاوى إلى الخلف) أيها اللعين الكنود. أنهض لأعرف كم لديك

من النساء والجواري وعدد الغلمان.. وكم هو عدد اولادك؟

عمر: (ينهض، يرتجف من الخوف) أربع نسوة، ست جوار وعشرة غلمان،

وأربعة عشر ولداً، ستة أبناء والبقية بنات.

هارون: كم منهم أصلاء وكم منهم أبناء الجواري؟

عمر: خمسة منهم أصلاء والآخرين من الجواري.

هارون: جواريك شابات، أم عجائز؟

عمر: اثنتان منهن عجوزان، والأربع المتبقيات شابات.

هارون: هل ورثت ثروتك من أجدادك أم كسبتها في خدمة أجدادي؟

عمر: (يتوسل) كنت رجلا معدما، وجمعت هذه الثروة في خدمة والدك

المهدي وجدك المنصور، بلطفهما وعنايتهما..

هارون: كم من الأملاك لديك، وكم مبلغ من النقود تملكه؟.

عمر: لدي منزلان، وبستان خارج بغداد، ولدي ثلاثة آلاف من القطع

الذهبية المسكوكة.

هارون: (يلتفت نحو أحد خدمه) اكتب.

الكاتب: تفضل سيدي.

هارون: قررت (يكتب الكاتب) ضم الجاريتين العجوزين إلى مطبخ

القصر، والجواري، الأربع الأخريات سوف يرتبطن بي، وكذلك

المبالغ النقدية ستكون لي. تحوّل بناته إلى جوار ويتم بيعهن.

وارسلوا أبناءه إلى سفن البحر للتجديف. ويعود المنزلان وبستانه

لي أيضا.

عمر: (يبكي) لا اعرف أي ذنب اقترفت؟

هارون: ذنبك: إنك لم تقدّر النعمة التي أغدقها عليك أجدادي.

عمر: (متذللا) أشفق علي.



هارون: يا وضيع الأصل. هل نسيت كيف عذبتني، وتبكي الآن وتطلب الشفقة؟ ودموعك مثل دموع الشمع توهج غضبي أكثر، (بصوت عالٍ). ليدخل ذلك الصبي (يدخل صبي اسمه جعفر انه ابن اخ هارون، ابن الهادي، شحب لونه من الخوف يلجأ إلى عمه هارون، يركع أمامه، وهارون بدوره لكي يهينه أكثر يمد له رجله، ويلثم جعفر رجلي هارون).

هارون: (ببرود) يا ولد.. قل كيف وضعك؟

جعفر: (بخوف وارتعاش) أدعو لأمير المؤمنين.

هارون: من أنت؟

جعفر: انا جعفر ابن اخيك الهادي، أحسب نفسي غلاما وعبداً لكم..

هارون: (يشير إلى عمر) أتعرف ذلك الرجل؟

جعفر: نعم.

هارون: أدعه باسمه.

جعفر: عمر..

هارون: أبصق في وجهه (يبصق جعفر عليه). أركبه أيضا كالحمار..

(يمتطي جعفر ظهر عمر). دعه ليعدو (يلكز جعفر خاصرتيه

بركبتيه، ويحثه على العدو متراوح) قف.. لا تترجل من على ظهر

ذلك الحمار.. قل لي. كيف كان يتصرف معي.

جعفر: (يبكي) فقط لكي يرضي والدي المجنون، كان يحثني أن أتقدمكم

في السير، وأمد يدي للطعام قبلكم.

هارون: ماذا بعد؟

جعفر: لاشيء..

هارون: ألم يحرضك لتقتلني؟

جعفر (يبكي) بلى.

هارون: ألم يقل لك إن عمك هارون يطمح أن يصبح هو الخليفة؟

جعفر: بلى.

هارون: حسنا: ماذا افعل به الآن؟

جعفر: (يبكي) اقتله.

هارون: أنت مستعد لقتله؟

جعفر: إذا أمر الخليفة؟.

هارون: (المسرور) ناول جعفر ذلك السيف لنرى أي رجل هذا.

يحيى: (يريد أن يتكلم، يرفع هارون يده اليمنى، يسكت يحيى، يقتل

جعفر عمر بضربة سيف واحدة، لا يتمالك نفسه) سيدي لقد اودعت

باكورة يوم خلافتك للدم.. الناس ينتظرون أن تستقبلهم أمام

القصر، لعلكم تزيلون آثار الدماء المراقبة فيما سبقكم.

هارون: (يقاطعه) سأستقبلهم في وقت آخر..

يحيى: (شبه معاتب) تسرعت.. ينبغي عدم إصدار القرار في لحظات

الغضب.. اليوم قررتم بغضب.

هارون: (كأن لديه سراً ولا يريد البوح به) أعرف أمراً لا يصلح للإفشاء..

الستار

\*\*\*

تحت تصرفه.. يظهر وجهه الحقيقي.. في هذا اليوم بالذات تصرف  
ضد دينه.. وما سرده بصدد تاريخهم كان للاستذكار فقط، أنا  
أعرف آباءهم وأجدادهم.

محمد: أبي.. نحن رأينا المهدي والد هارون أيضا..

يحيى: أود أن تفهموا قصدي.

جعفر: (يقاطع أباه) أعرف هذا. إنه يختلف كثيرا عن المرحوم شقيقه  
المجنون. كان الهادي شبه متعلم، ويكره الذين يعرفون حروفا  
أكثر، كان يعتقد بأنه أعقل الناس ويعرف كل شيء.. لكن هذا  
الأخير متعلم وله ثقافة واسعة، لبيب، وله نفس وقلب معطاء..

فضل: أبي.. أنا مع رأي جعفر.. فهارون عطوف إلى درجة انه اذا جلس  
في مجالس الدين والعزاء يبالي في العبادة، يصلي بعض الأحيان  
مئة ركعة.. وعندما يرتاد مجالس الطرب والشراب يفقد إرادته  
تماما. وينقاد لنزواته.. وأحيانا يغني.

يحيى: وهذه الإشكالية.. هي المعضلة الصعبة، إن جميع مشاكل أولئك  
العباسيين أنهم لا يستقرون على حالة واحدة.. إنهم أصحاب  
امزجة غريبة، لذا احذركم.. أن لا تقربوا منهم كثيرا لأنهم  
سيحرقونكم.. هارون نار، لا تبتعدوا عنه كثيرا أيضا وإلا  
ستعيشون في الظلام.. يجب أن تكون بينكم مسافة انتم البشر  
وهارون النار.

موسى: أبي. هذا الرجل جد محظوظ، عندما أخبرتني خيزران ماذا كانت  
تنوي، أنا وجيشي كنا على وشك أن نطير فقد وصلنا الى بغداد  
في الموعد المحدد.. اعتقد أن هذا النوع من المحظوظين لن يحالفه  
الحظ إلى مالا نهاية، أنا أقول أيضا يجب أن تكون هناك مسافة  
بيننا وبينهم.

## المشهد الثاني

(الوقت هو الليل.. قصر يحيى، قاعة لا تقل كثيرا عن قاعة

الخليفة، يحيى مع أبنائه الأربعة: فضل، جعفر، محمد، موسى).

جعفر: (كأنهم منشغلون بالحديث منذ فترة، يلتفت إلى والده) الأمور  
التي تحدثت عنها تدخل كلها في خانة التاريخ.. صحيح أنهم  
كانوا سفاحين.. لكن ليس من المفروض أن يكون هو أيضا  
مثلهم.. أي مثل أجداده..

يحيى: بلى، مثلهم، وربما أكثر دموية منهم، فقط هذا الصباح الذي هو  
اليوم الأول من خلافته، اقترف عدة جرائم، أهان ابن أخيه، ثم  
جعله قاتل أستاذه، استحوز على أموال و ثروات (عمر)، حول  
الفتيات الحرائر جوارى، أرسل بالفتيان إلى السفن، فعل كل هذا  
في اليوم الأول من حكمه.

جعفر: أبي أنت تعرف، كبرنا أنا وهارون معاً منذ الصغر، أعرف أي ولد  
هو، أعرفه صاحب أي قلب ونفسية.

يحيى: أنت على حق بالنسبة لتلك الفترة، لكني الآن أنا على حق، في  
ذلك العهد لم يذق بعد طعم السلطة. ربما أشفق على فقير، أو  
بكى لأجل شخص منكوب، ربما كان يصبو أن يكون في حوزته  
مال أكثر ليشتري جارية ويعتقها، وربما قال لرفاقه. إذا حصل لي  
النفوذ والمال فلن أسمح بأن يظلموا هذه الجوارى الجميلات، ربما  
وربما.. لكن الآن حيث استولى على السلطة.. وبيت المال بكامله

يحيى: هذا حظه أكبر من صفاته، تهيأت له الدنيا، فقد منحته فضائل الآخرين.. عندما ادارت الدنيا ظهرها لنا، سلبتنا حسناتنا أيضا.. عندما كنت في سجن الهادي كنت أعلم بأن هناك أناسا خدمناهم وساعدناهم، لكن كانوا يحبون أن نشنق ويثنوا على أولئك الذين انتصروا علينا!.

جعفر: (يغير الحديث عمداً) «أبي لقد قضينا جل طفولتنا معاً. لكنكم تفضلتم أن نحاذر، سنضع أوامرهم فوق رؤوسنا. يحيى: غرضي الأساس هو أن نعرف من هم أصدقاؤنا الحقيقيون ومن هم اعداؤنا.

موسى: خيزران من أخلص الأصدقاء.

محمد: لأنها غير عربية.

فضل: تستغل جمالها لأشياء أخرى أيضا.

يحيى: (يقاطعه) نحن كنا بحاجة إليها، وهي من جانبها كانت بحاجة إلينا، ولا تزال بحاجة إلينا كما نحن.. لذا ينبغي أن نحثها أكثر لتقضي على أولئك الذين يقفون في طريق رغباتها.

محمد: إنها واعية ولا تتورع.

يحيى: أريد أن تعرفوها أكثر إنها مستعدة أن تقتل أي شخص يقف في طريق شهواتها، أو كان عائقاً في طريق ثرائها أكثر.. صحيح. إنها غير عربية لكن فيها بضع صفات من العرب. أو الأصح أثرت فيها بضع صفات عربية.. عندما اشترى (المهدي) هذه الجارية كانت جميلة وذكية جداً. وأدركت بسرعة مكامن أسرار الدولة العباسية.. فهمت سريعاً الدور المصيري للسم، لذا علينا أن نخاف من صديقتنا هذه أيضاً.

محمد: نخاف؟

يحيى: الأبله هو الذي لا يخاف من أصدقائه بقدر خوفه من أعدائه.

جعفر: في جميع الاوقات؟

يحيى: نعم.. خاصة في أمور الدولة، الأصدقاء يعرفون أسرار بعضهم، وخوفاً على عدم كشف تلك الأسرار يتحولون إلى أولئك الأعداء المستترين الذين يرتاحون فقط بافناء المقابل.

محمد: أدركت الآن ماذا تقصد بتلك المسافة، تريد أن تقول، إياكم أن تعرفوا أسرارهم.

يحيى: نعم أكثرية أسرارهم.

جعفر: ماذا عن خيزران؟

يحيى: نفس الشيء لكن بشكل آخر.. نتجاهلها.. نتظاهر بأننا لا نعرف شيئاً.. غير منتبهين..

جعفر: خيزران ليست ساذجة إلى ذلك الحد.

يحيى: كل شخص انهمك أكثر من اللازم في مصالحه الشخصية يصبح ساذجاً.. ويخطو أكثر نحو السذاجة، يجب أن نتستر على أسرار خيزران وان نشجع هارون على بناء قصر للحريم، وتجلب إليه أجمل نساء الدنيا، فاذا انشغل بالنساء الحسان فلن يفكر بعد ذلك في (زبيدة) التي هي العدو الرئيسية لأسرتنا، اذا استطعنا أن نبعد هارون عن زبيدة فسنسيطر على أمور الدولة بسهولة.

جعفر: خيزران تتدخل في الأمور.. أخاف أن تصبح مدبرة لها.. أبي إنها جشعة جداً، لا يشبعها أي شيء.. تملك ثمانية عشر ألف ثوب حريري وتطمع إلى أكثر.. علينا أن نلهيها أيضاً.

محمد: ماذا لو بنينا لها قصرًا للرجال؟

يحيى: لديها.

فضل: فجلب لها - كهدية- أجمل فتیان خراسان.

يحيى: لديها هذا أيضا.

موسى: إنها تحب الغلمان الأتراك.

يحيى: اعرف ذلك..

محمد: لنفكر في حيلة شرعية.

يحيى: مثل؟

محمد: نفهمها.. أن تتزوج بعض الليالي زواج المتعة من شخص ما ونعقد قرانها عليه.

يحيى: أحسنت.. كيف لم أفكر في هذا الأمر؟

محمد: اذا اقتنعت بهذا فذلك يعني أنها تنفذ خطواتنا المذهبية الاولى، وبعد ذلك نستطيع استخدامها كدرع في الحرب المذهبية ضد أعدائنا.

يحيى: كلا: يستخدم المرء الدرع عندما يكون في حرب قتالية، وحرنا هذه ليست حرب السهام والرماح حتى نحتاج الدرع.. الأصح ان نجعلها شرنقة نخفي أنفسنا فيها عند الخطر.

فضل: بالنسبة لزواج المتعة لدينا مشكلة.

يحيى: ماهي؟

فضل: بعد كل زواج لا بد أن تنتظر العدة ثلاثة أشهر.

يحيى: هذه معالجتها سهلة.

فضل: ماهي؟

يحيى: قلت بسيطة، وافهم..

جعفر: الأهم أن نعرفهم جيدا.. أبي أنت رأيت منهم كثيرا من الأشياء، وتعرف جيدا. من هؤلاء.

يحيى: في صميمي صوت ينبهني بين فينة واخرى، ويحذرنى أن أكون دقيقا وأفهم، أعرف أن أي شخص خدم هذه الأسرة قد قتل بيد هذه الأسرة أيضا.. عبدالله السفاح كان له وزير من الموالي، وكان ايرانيا واسمه ابو سلمى الخلال.. لقد عمل كثيرا لوصول العباسيين إلى الحكم، ثم قتل بيد غير عربية، لقد قتله أبو مسلم الخراساني، وعندما تسلم ابو جعفر المنصور السلطة عمل له والدي (خالد) كثيرا، حتى إنه تسبب في انهيار ثورة الكرد في الموصل.. كان من رأي أبي جعفر المنصور حتى في عهد شقيقه عبدالله السفاح الاستعجال في قتل ابي مسلم الخراساني.. لكن عبدالله لم يأبه لكلامه.. وبعد موت السفاح قتل أبو جعفر أبا مسلم بنفسه، الأتكي من ذلك هو أن جيش أبي مسلم ما برح باب القصر بحجة أنه يريد الإطمئنان على سلامة قائده، لكن ابا جعفر المنصور وضع الرأس المقطوعة داخل سجادة ووضع معا ثلاثة آلاف دينار ذهبي ورماها اليهم من الشرفة.. فكان همّ هذا الجيش جمع الذهب اكثر من همه بقطع رأس قائده وتبيان سبب مقتله.

جعفر: كان ابو جعفر سفاحاً كبيراً..

يحيى: كان سفاحا ومكّارا.. قتل جميع أعمامه.. تمرد عليه أحد أعمامه مع جيش كبير، ارسل إليه ابا مسلم، وكان يقول لدى مقربيه: ما أفضله، أن ترسل عدواً خفياً لمحاربة عدو مبین.. وفي النتيجة سيقضى على أحد هذين العدوين.. ويبقى الآخر ضعيفاً.. وقهر جيش أبي مسلم جيش عم المنصور.. وفر العم إلى شقيقه الذي كان واليا على البصرة وحصل الوالي على وثيقة الأمان لدى أبي جعفر، وبعد وثيقة الأمان ألقى القبض على عمه وسجنه في بغداد سبع سنوات، ثم بنى له سجنا كان أساسه من الملح، وفتح جدولا

من الماء على السجن وذاب الملح وانهار السجن على رأس عمه ومات.

محمد: أو لم يُمنح الأمان؟

يحيى: هكذا تفهم هذه الأسرة مضمون (الأمان) إلى الحد الذي يلائم مصالحتها، وعندما تسلمت الخلافة من الأمويين، وعندما سفك غزير من الدماء منحت الأمان لسبعين شخصا من بقايا الأمويين، وهيات لهم وليمة.. وأثار شاعر عباسي العباسيين عليهم بالقاء شعر حماسي.. فقتلوا جميع الأمويين على مائدة الطعام.

فضل: حدث هذا كله بعد (وثيقة الأمان)؟

يحيى: نعم.. وهذا نوع من المرض، باختصار، ابتلينا بهؤلاء المرضى.. أنهم ورثوه وينقلونه إلى أحفادهم. يجب ان نعرف ما نفعل بدقة، نحن الآن متفوقون على أن نشجع هارون لكي يبني قصراً للحريم.. هذا لا يكفي يجب أن نشكل مؤسسة خاصة بنا تكون سرية بحيث لا تكشف مهما كان الأمر..

جعفر: هذا صعب جدا.. لأنه إذا اكتشف أحدهم فسوف تنهار المؤسسة برمتها.

يحيى: صحيح.

فضل: سنبنى المؤسسة بعلم هارون، ونقدمها وكأنها تكون في خدمة الدولة الاسلامية وشخص الخليفة.

محمد: وهذه المؤسسة موجودة في الدولة الإسلامية.

يحيى: كانت مؤسسة الهادي، ونحن نشكل مؤسسة هارون. وبعد عدة أيام سوف نجعل هارون يأمر ببناء قصر الحريم..

\*\*\*

## المشهد الثالث

(هارون مع كاتبه الخاص - حسين).

هارون: لا أصدق.. هذا العدد الذي تذكره فيه شيء من الإفك والمبالغة.

حسين: مولاي.

هارون: (يقاطع) اين سمعت هذا الكلام؟

حسين: مولاي. أنا أجد اللغة البهلوية.

هارون: هناك مئات يجيدون تلك اللغة.

حسين: من يجيد البهلوية سيقراً في كتبهم مئات القصص والاساطير

والروايات عن ملوك المجوس.

هارون: (يصفق، يدخل غلام، ينحني).

الغلام: أمرك مولاي.

هارون: اذهب وتأكد لماذا تأخر يحيى البرمكي مع ابنه جعفر وشقيقتي

(عباسة)، منذ هنيهة أرسلت في طلبهم (ينحني الغلام ويخرج)..

يحيى البرمكي وابنه جعفر يجيدان اللغة البهلوية أيضا، وأختي

عباسة تجيد اللغة الفارسية، أريد أن يطلعوا أيضا على إفككم

هذا.. (بغضب) ألا تخجل أن تكذب في حضرة الخليفة، ليأت

يحيى وجعفر، وإذا لم يؤيدا كلامك فسارسل بك إلى كنف الذين

تلفق عليهم الأكاذيب.. ارسل بك الى جهنم.. هل فهمت؟

حسين: أمرك مولاي.. ربما أنا أعرف القليل..

هارون: القليل؟

حسين: أجل مقارنة به (يحيى وولده جعفر).

هارون: تعني انهما يعرفان أكثر منك.

حسين: بالتأكيد (يدخل غلام، ينحي لهارون).

الغلام: مولاي إنهم في الخارج..

هارون: ليدخلوا (يدخل يحيى، جعفر، عباس، يحنون ويجلسون، عندما

يرى حسين عباس يغض طرفه، لحسين) انت يا رجل، لا تضطرب

في حضرة شقيقتي عباس الحبيبة، ولاتنكس رأسك، اريد أن تعيد

كلامك لأعرف ماذا كتب في الكتب المجوسية، حدث لنا عن الذي

دوّن فيها.. عن ملكهم ونسائهم..

حسين: مولاي.. الأشياء التي قرأتها طويلة وعريضة.

هارون: قلت ليسمعوها هم أيضا.. قلت (خسرو پرويز) ملك المجوس

كانت في قصره الحريمي ثلاثة آلاف امرأة.

حسين: أجل، مولاي.

هارون: قلت عدد خدمه وحواشيه اثنا عشر ألف فرد.

حسين: أجل، مولاي. ذلك ما عرضته لمقامكم.

هارون: يقهقه، لعباسة) يا اختاه ها ترين هؤلاء العجم كيف يببالغون؟

يودون ان يجعلوا من أجدادهم اساطير (ينتبه إلى أن يحيى وجعفر

جالسان) لا أقول كلهم، لكن أكثرهم، لديهم أناس جريئون -

بحيث يهجوننا بالشعر. ذلك الشاعر الفارسي الضرير بشار بن

برد.. كم مرة هجا والدي..؟

يحيى: (منزعج قليلا) نحن أسلمنا، والكذب في الإسلام خطيئة.

هارون: ماذا؟ (يقهقهه) لا أقصدكم، أقصد (يشير إلى حسين) إن كلامه

ضخم وغير معقول.

يحيى: صحيح.. أن بشاراً هجا والدك..

هارون: (يقاطعه) لم يمت تحت الجلد بسبب الهجوم.. بل (يضحك) لأنه

كان زنديقا..

عباسة: (تشعر بعدم الإرتياح وتغير الموضوع) أنا أيضا سمعت بعض

الأشياء حول ملوك المجوس (ترمق جعفر).

هارون: (لجعفر).. وماذا تقول انت..؟

جعفر: ما يأمر به أمير المؤمنين هو الذي سيحل.

هارون: (يضع اليد على كتف جعفر) لا اريد ان تجاهلني.. اريد أن أعرف

هل يبالغ هذا الرجل أم لا.

جعفر: كلا، لا يبالغ.. أنا ايضا قرأت في عدة كتب، أن خسرو پرويز -

ملك ايران - كانت عنده ثلاثة آلاف امرأة، واذا اراد التغيير، كان

يكتب الرسائل لولاته أن يطلبوا له النساء والفتيات الحسان من

قيصر الروم، وفغفور الصين وخاقان الترك، وحتى من أمراء

العرب.

هارون: (يضحك بشكل يكاد أن يسقط إلى الخلف، يضحك جعفر

وعباسة أيضا) حسنا.. قل لي أية امرأة كانت مرغوباً فيها لدى

خسرو پرويز..

حسين: (كأنه يقرأ كتابا.. وبصوت جهوري بعض الشيء) أفضل امرأة

لديه.. أن تكون جيداً، خيطاً الحاجبين، كحلاء العينين، حمراء

الخددين، دقيقة الأنف، مرتخية الشعر ناعمة، هيفاء الخصر، لطيفة

العشرة، مغناجاً، عذبة الحديث، من النسب الأصيل، مهذبة،

صموت - قليلة الكلام -، رخيمة الصوت.. تلك المرأة التي تصيح

زينة البيت وتعمي الأعداء..

هارون: (باندهاش) أحقا.. أن خسرو پرويز كانت تعيش في قصر حريمه  
ثلاثة آلاف امرأة واثنان عشر ألف خادم؟.

جعفر: (ينظر إلى عباسه خلسة) نعم.. هذا صحيح.

هارون: إذا كان نصف هذا العدد صحيحا.. فذلك يدل على أن (خسرو  
پرويز) عرف كيف يعيش.. كنت أعتقد: أن أكابر رجال العجم  
كانوا دائما في الحروب ومنشغلين بسفك الدماء.. وجبناء ضعفاء  
مثل قياصرة الروم.. لكني اليوم وضحت الصورة لدي بأنهم كانوا  
أصحاب الذوق الرفيع، وفهموا كيف يستفيدون من عمرهم.. حقا.  
إن ملوك المجوس أوفوا الحياة حقها. (يلتفت نحو يحيى) أريد أن  
تنجز لي أمرين في وقت واحد.

يحيى: أمرك مولاي.

هارون: أولاً. افعل شيئا لكي تقتنع زبيدة.. ثانيا: أخبر ولاة الدولة  
العباسية ليرسلوا بجميع الجوارى الحسان والفريديات إلى بغداد..  
وابن قصرًا للحريم.

يحيى: أمرك مولاي.. أنتم كونوا ليلة غد مع زبيدة، وأنا سأدبر أمراً  
لكي تقتنع زبيدة.

هارون: إذا اقتنعت ابنة عمي (زبيدة) أو أقنعتها، فسأكون مدينا لك.

يحيى: لا تهتم.. يا مولاي..

هارون: يعني أكون مطمئنا؟.

يحيى: مولاي.. لقد عرضت أمامكم، سأدبر حيلة ما، لكي تشتري  
السيدة زبيدة بنفسها الجوارى لك.

هارون: أنتم دائما. تجعلونني مديناً لكم (يلتفت إلى جعفر) أريد أن  
تجعل لي من بغداد عاصمة ليس لها نظير.

جعفر: أمرك مولاي.. سأجعل من بغداد عاصمة ذات شهرة فقط ذكر  
اسمها يعطي معنى الثقافة والعلم والفن.. سوف ابني فيها قصورا  
بديعة.

يحيى: تتسع لآلاف الجوارى.

جعفر: وابني فيها احواضاً للسباحة.

يحيى: تستحم فيها مئات الجوارى بالحليب.

جعفر: سأبني فيها حدائق.

يحيى: لتصبح مئات الجوارى حورياتها.

هارون: (يلتفت بضحكة إلى يحيى) ستريني غدا بأية حيلة ستقنع زبيدة.

يحيى: لا تهتم. يا مولاي (ينظر جعفر وعباسه بعضهما الى بعض).

\*\*\*

هارون: (يضرب قارون بقبضة يده على فم قارون ويجرح خاتمه شفتيه ويسيل الدم منهما) اخرس.

قارون: يا امير المؤمنين، أو تضربونني لأجل قول الصدق؟! الكذب خطيئة في دينكم، هل أستحق انا اليهودي أن تعاملوني هكذا بسبب قول الحق؟.

هارون: (يضحك) احك لسيدة السيدات الأشياء الغريبة والعجيبة التي تعرفها عن الجواري.

زبيدة: (بغضب) لا أريد.

قارون: (يضحك وكأنه لم يسمع زبيدة) إنها ثلاثون سنة كاملة، وأنا أمتهن هذا العمل، والوحيدة التي لم أبعها خلالها هي -أمي- فقط.

زبيدة: يا عديم الحياء.

قارون: عوقبت مرة أخرى بسبب القول الصادق.

هارون: لا تهتم.. استمر.

قارون: أنا دائم السفر.. من الهند والصين وبلاد الترك ويران إلى افريقيا وزنجبار ونوبا والحبشة، والروم وأرمينيا.. لذلك يا مولاتي، أعرف شعوب العالم، ولا سيما نساءها.

زبيدة: عديم الحياء.

قارون: لا أستطيع أن اكذب (يدخل يحيى، يلقي تحية، لا تجيبه زبيدة).

هارون: تفضلوا..

يحيى: مولاي جلبت هذه الهدايا للسيدة زبيدة، إنها بعض الجواهر القديمة، تعود للملك ايران.

زبيدة: كيف عرفت أنا هنا؟!

## المشهد الرابع

"غرفة هارون الخاصة، وقارون النحاس"

غلام: (ينحني) إنها السيدة زبيدة.

هارون: (لتدخل) تدخل زبيدة ترى عملاقا أعور عصب إحدى عينيه بعصاية سوداء. تهم زبيدة بالرجوع، لكن هارون يدعوها ضاحكا) تعالي.. يا سيدة زبيدة، سيدة السيدات، انظري الى هذا النحاس ماذا يقول: (ينحني قارون).

هارون: (لزبيدة) هذا الرجل نحاس، شاهد الدنيا، قليلة قصور أكابر الرجال التي لم يدخلها، اسمه قارون ويهودي، إنه من أكبر نحاسي بغداد.

زبيدة: (ضجرة) اللعنة عليه وعلى أمثاله.. حتى شراة جواربه أيضا.

قارون: (بهقهقة) مولاتي.. أنا خادمكم أية إساءة اقترفت بها بحقن حتى تلعنني؟!

هارون: الحق مع سيدة السيدات.. وإذا وعدتني بأنها لن تغضب علي مرة أخرى، فسأضعك تحت تصرفها لتفصل رأسك عن جسدك. وتشطر جسدك العفن هذا إلى نصفين وتعلق كل نصف على واحدة من بوابات المدينة.

قارون: (باطمئنان) قبل أن تقتلني سأهمس في أذن مولاتي وأخبرها على أي صنف من الجواري أوصاني خليفة الإسلام، أمير المؤمنين، لقد طلب مني أن أجد له الجواري ولو كن في أقاصي الدنيا.



يحيى: مولاتي.. جلبت لك هذه الهدايا، وذهبت إلى قصر كركن الخاص، قالوا: إنها مع أمير المؤمنين، فجلبتها إلى هنا، أعرف أنها جديرة بك، لا لأحد سواك الحق في تزيين الجيد والمعصمين بها..

زبيدة: (تتناول منه الصندوق دون مبالاة، وحينما تفتحه تصرخ منهدشة) الله.. الله.. لم أر أبداً شيئاً جميلاً كهذه.. الله.. كيف صنعت هذه؟ أي صناع مهرة صاغوا هذه.. الله..

يحيى: كانت تلك في قصر حريم خسرو پرويز.. هذه تليق بك ومبروكه عليك.

زبيدة: (فرحة جدا) أشكركم.. لإهدائكم إلي هذه الحلوى الجميلة (تشير إلى قارون) لكن انظر إلى هذا البشع. هارون: (يضحك) اعتبره شبحاً، ولا ترينه..

زبيدة: وهل يأتي الأشباح إلى مجالسكم؟

يحيى: وإذا لم توجد فسنبعث في اثرهم.. مجلسنا ومجالس جميع ملوك الدنيا بحاجة إلى الرجال ذوي المهن المتعددة والأعمال الخاصة، بعض الأحيان يجب أن يكون مجلسنا مزداناً..

زبيدة: (بحذر) قلت مجلسنا وجميع مجالس ملوك الدنيا؟

يحيى: (ينتبه) أقصد مجلس أمير المؤمنين ونحن الخدم.

زبيدة: (باستخفاف) هكذا..؟ ومبروك عليكم جميع أعمالكم، أحذر أن لا تحاول أن يؤول مصير الدولة العباسية إلى ما آل إليه مصير الأمبراطورية المجوسية.

يحيى: (يشحب لونه) مولاتي.. نحن الخدم ونخدم خليفة الإسلام.

زبيدة: (باستهانة) قلت خليفة من؟

يحيى: مولاتي.. الإسلام.

زبيدة: إن خليفة الإسلام يعتبركم بمثابة أبيه، فانصحو خليفة الإسلام أن لا يقلد المجوس، إنه ينوي بناء قصر الحريم، ويريد أن يقلد خسرو پرويز المجوسي.

يحيى: (كأنه أمسك برأس خيط النصر) كما أسلفت لك أنا أخدم الإسلام وأخدم خليفة المسلمين.

زبيدة: (بغضب) في الإسلام.. في الشريعة، في السنة، في أي مصدر جاءت سيرة قصر الحريم.. في أي فتوى اسلامية أحل احتلال الجواري. مضاجعة الجارية تعني الزنا.. نعم إنها الزنا، لأن الجارية تباع وتشتري في الاسواق دون المهر والطلاق لا تغضبني لكي أقول: جميع أولاد الجواري أنذال.

هارون: (بأقصى الغضب) أخرسي.. أنا أيضا ابن خيزران التي كانت جارية.

زبيدة: (يشحب لونها وبالتوسل) أطلب المعذرة.. سامحني.. فقد أخطأت خطأ فادحاً سامحني.. مولاي.

يحيى: (مطمئن تماما بان فريسته في الفخ) بالتأكيد أن خليفة الاسلام.. سميح وسيسامحك، دين الإسلام دين الفضيلة والتسامح.. (يلتفت إلى هارون) بسبب حبكم المفرط تنفعل سيده السيدات. (يلتفت إلى زبيدة) وأنت أيضا نسيت شيئاً، أو بالأحرى اختلط لديك وهو نبأ الحريم.. إنه عمل سياسي، إمارة جلالة وعظمة الخلافة العباسية. وفي نفس الوقت انه التعارف والصداقة مع الشعوب التي تحت سيطرة الخلافة العباسية بناء قصر الحريم يعني بناء جسر السلام بين العرب والأمم التي تحت سيطرة الخليفة. وهذا العمل قطعاً ليس معناه أن أمير المؤمنين لا يحبك أو لا سامح الله قد ينسأك أو يتناساك.

هارون: إني أهتدي بسير إجدادي، فاذا ولد لي ولد من اية جارية فياني ساعنتقها، أولا يشجع الإسلام المسلمين على تحرير الجوّاري والغلمان؟

زبيدة: (مازالت مرتبكة) أطلب المعذرة. أقصد أكثر ما أقصد الدين والشريعة الإسلاميين.

يحيى: (كمنتصر) أنا لست عربيًا.. أو بالاحرى لست مطلعًا على دقائق أمور الدين، وهذا العمل كان رائجًا قبل الإسلام ومن الأفضل أن توجهوا هذا السؤال إلى علماء الدين، واسألوهم: لماذا لم يحرم الإسلام الجوّاري.. ولم يعتق العبيد والغلمان.

هارون: (بغضب) دعك من علماء الدين الكبار، ولا تشرهم.. دعهم ينشغلوا.. بماذا يصلح الطلاق، وبماذا يبطل الوضوء، وأين توضع الهمزة الأخيرة. دعك من هذا.

زبيدة: (بجراًة) وإذا لم يفعل علماء الدين ذلك.. فيجب أن يمنع خليفة الإسلام- أمير المؤمنين. تلك المساويء وان يشطب اسم الجارية ويحرر الجوّاري والغلمان. وأن لا يسمح أن يخصوا الرجال بعد الآن.

يحيى: إن لم يكن الغرض من كلام السيدة زبيدة مصلحتها الذاتية ولم يأت من الغيرة على أمير المؤمنين لكي تستأثر به لنفسها وحدها.. فياني الآن أسمع أحسن الكلام وأكثره جرأة.

قارون: (بصوت نكير) أعتقد أن السيدة زبيدة تنوي قتلنا جوعاً.

هارون: (يضرب لكمة أخرى على فم قارون) احرص أنت.

قارون: لقد عوقبنا مرة أخرى بسبب قول الحق، إن قول الحقيقة يثمر مثل هذه العقوبات.

هارون: هذه (الف باء) وينبغي أن تتعلمها.

قارون: (بضحك) لقد أصبح قول الحقيقة مهنة بين زملائي في المهنة.. على سبيل المثال أغلب الأحيان لا نبيع الجارية على أنها بكر.. رغم أن بعض المرات تقول الجارية أنها بكر.. لكن لا نبيعها على ذلك الأساس.. نقول للمشتري مقدما. أن لدى هذه الجارية احابيل كثيرة لانبيعتها بشرط البكارة. كي لا نخجل أمامكم هنا وتسودّ وجوهنا يوم القيامة!!

هارون: دعك من هذا الكلام.. تحدث لنا عن أجمل جوّاري الدنيا.

قارون: (كأنه في سوق النخاسة ويروج لجوّاربه بصوت عال) إذا اردت السعادة الدائمة، وإذا ابتغيت الراحة والفرح، فهذه الفتاة ذات العيون الزرق،.. اشتر هذه الشقراء الرومية.. وإذا اردت المتعة والعاطفة اللامتناهية فاقتن هذه الجارية الهيفاء القامة، ذات الجيد الفارسي الرفيع والوقار.. وإذا اردت صوت الحورية الجياش وغزالة الصحراء المتمردة والحفيضة الظل، وصفاء المحبة.. فاشتر هذه الجارية العربية اليمنية، هذه الحزيرة المشوقة ذات الصوت الشجي المتدربة على الرقص، والمثيرة، والتي تحوّل البيت إلى أضواء.

زبيدة: (بغضب) كفى.. كفى.. ها أنا مغادرة (تنهض وتغادر).

يحيى: (لهارون) لقد نجحت، إني متأكد أنها ستقتنع، وها أنا ذاهب أيضا لأنفذ الجزء الثاني من الخطة (يذهب).

هارون: (غاضب قليلا) لا أعتقد بأن زبيدة ستقبل.

قارون: مولاي، لا تغضب، أنا خبير بطبيعة النساء، أعرف أدق شرايينهن، عندما يقلن (لا) أعرف أي (نعم) يردن، وعندما يقلن (نعم) أعرف أي (لا) يقصدن.

هارون: لا تبالح.. يقولون حتى الشيطان نفسه لا يفهم (نعم) المرأة وأي شيء تقصد.

قارون: مولاي إن مهنتنا علمتنا أشياء كثيرة، أولاً يجب أن يتعلم الشيطان منا، ثانياً. نحن ولدنا قبل الشيطان بعدة أيام، ثالثاً. لا تشبه أية امرأة امرأة أخرى، رابعاً انهن أدم طعم يوقعن بأكثر الرجال دهاءً، يروضن اشرس الوحوش ذات الرجلين.. خامساً: اكبر بلاء للرجال ان لا يرضوا بهن وأود أن أعرض لمقامكم. أن غضب السيدة زبيدة هذا زيد الفوران يهدأ بنفخة.

هارون: لا افهم قصدك.

قارون: عندما يغلي الحليب سيفور ويزيد ويخمد ذلك الفوران بنفخة واحدة.

هارون: يعني - أنفخ في السيدة زبيدة!.

قارون: إذا نفخت فيها اليوم فستخمد مثل الحليب الفائز، وإذا تصرفت معها في الغد وبعد الغد مثل هذا اليوم فستصبح خادمة لأحذيتك، وإذا أهملتها لعدة أيام. فقط لكي تعرف لماذا أهملتها فإنها ستجلب لك أجمل جوارى الدنيا وتقدمها لك كهدية.

هارون: وماذا بعد؟.. أقصد أي شيء آخر يشبهه؟

قارون: إنهن مثل الخلفاء والملوك والأباطرة، عليك ألا تقترب منهن كثيراً.

هارون: لماذا

قارون: إنهن محرقات.

هارون: وإذا اقتربت مني أكثر- أقصد حول مسألة الجوارى- ان تقترب مني كيف ذلك؟

قارون: مولاي.. ليس في صالحني.

هارون: لماذا؟

قارون: ألف عطاء منك لا يساوي غضبة واحدة.

هارون: كيف؟

قارون: اذا كرمتني بمنحة فأنت وحدك فقط صاحب هذه المنحة، لكن اذا عبرت عن اشمئزاز ما فستقلدك حاشيتك وحتى الكلب الذي أمام دارك.

هارون: من علمك هذا؟

قارون: أنا أتجول عبر الدنيا منذ ثلاثين سنة، دخلت الكثير من قصور الأباطرة والحاكمان والسلاطين.

هارون: ماذا تعلمت من أولئك الرجال الكبار؟

قارون: شيئاً واحداً.

هارون: ما هو هذا الشيء؟

قارون: لا أجرؤ على قوله.

هارون: أعطيك الأمان.

قارون: لا أجرؤ أيضاً.

هارون: قلت أعطيك الأمان.

قارون: (يضحك) أغبى الناس هو الذي يثق بأمان أصحاب السلطة.

هارون: لماذا؟

قارون: صحيح.. اليوم منحتني الأمان ولن تقتلني.. بعد عدة أشهر وسنوات آخر ستقضي علي بحجة أخرى.

هارون: أحسنت.. قد أؤيدك في هذا.. لكن لم تقل لي: ما هو الشيء الذي تعلمته؟

قارون: لا أجرؤ.

هارون: إذا لم تقله سأدق عنقك.

قارون: حقا؟

هارون: (ينادي مسرور الجلاد. مسرو (يدخل وييده سيف مسلول).

مسرور: أقتل من؟

هارون: تريث قليلا.

قارون: مادمت مصرا على قتلي. فلأبوحنّ بالشيء الذي تعلمته لكي لا

يبقى في مكانن نفسي.

هارون: هيا.

قارون: الشيء الذي تعلمته. أعني الشيء الذي تعلمته في قصور خلفاء

الإسلام، وأباطرة الروم وخاقانات الأتراك ونجاشيبي الحبشة، هو أن

عملي أفضل من عمل الخلفاء والملوك والأباطرة.

هارون: (بغضب) تعني أن عملي (النخاسة) باختصار (القوادة) لا

تستبدله بأعمالنا المقدسة نحن الخلفاء والأباطرة والملوك

والنجاشيون الوقورون؟

قارون: نعم مولاي لن استبدل عملي بأعمال الذين ذكرتهم.

هارون: إذا قلنا ليكن قارون الخليفة وهارون النحاس..

قارون: (يقاطعه) ورأسك لن أقبل!

هارون: (يضحك) حيوان.. لماذا؟

قارون: وحق موسى، إني سوف أخسر حينئذ ولن أقبل.

هارون: (يضحك) وكم تخسر؟

قارون: (يمد يده نحو مسرور) أولا أبعده عني هذا الجلاد.

هارون: (لمسرور) أغرب عن وجهي.. وأنا أيضا لا تسرني رؤيتك كثيرا.

مسرور: إذا لماذا تنادينني يوميا عشر مرات؟

هارون: تسع مرات لتخويف الذين من حولي، ومرة واحدة تنفذ مهامك.

مسرور: مرة واحدة.. قليلة.

هارون: لماذا؟

مسرور: لو جعلتها تسع مرات لكانت احسن.

هارون: لماذا.

مسرور: لكي أرهب أناسا أكثر ويرتعدوا من سماع اسمي.

هارون: وما انت؟ لم يخافون منك، يجب أن يخافوا مني، من الخليفة، أن

يخشوا هارون الرشيد، لا من زنجي عملاق مثلك. والذي كل عمله

هو تنفيذ الأوامر.

مسرور: (كأنه صديق هارون) ورأسك.. بقدر ما يخافون مني، لا يفكرون

فيك إطلاقا.

هارون: قل لي كيف؟

مسرور: حتى وزراؤك يحترمونني أكثر من اللازم.. وأنا أسأل نفسي.

زنجي قبيح مثلي لماذا تقدم له كل هذه الهدايا؟ اذا لم يكن هناك

الخوف والرعب.. كيف يقدمون كل هذه الجوارى الحسان كهديّة،

وبعض المرات معها الألوف؟

هارون: (باندهاش) ألف جارية؟

مسرور: كلا.. مولاي.. الدينار الذهبي.

هارون: تأخذ الرشواى ايضا؟

مسرور: كلا..

هارون: ها.. إنك قلتها بلسانك: إنهم يرسلون إلي بالجوارى كهديا

ويعطونني الذهب ايضا.

مسرور: مولاي: الرشوة هي أن تساوم حول الكمية والنوعية، لكني لا أطلب أي شيء من أحد، إنهم يعطونني الهدايا بمحض رغباتهم.

هارون: (بغضب) من هم؟

مسرو: (يمد يده إلى قارون) هذا النحاس وهو أثري أثريا بغداد. واحد منهم.

هارون: (يلتفت إلى قارون) أصحيح كلامه؟

قارون: نعم مولاي.. إنه الحقيقة بعينها.

هارون: أنت أثري من جميع تجار بغداد ما حاجتك لدفع الرشوة إلى مسرور؟

قارون: مولاي. إحدى مهمات الثراء الصعبة، هي البقاء ثريا.. اذ لا يوجد منبوذ أكثر مهانة من غني يصبح فقيرا. وهي محاولة صعبة قدر استحصال المال؟

هارون: كيف؟

قارون: مولاي.. كيف احمي ثروتي؟..

هارون: استأجر عشرات العملاء، وسلّحهم. أمنّ عيشهم ليحموا ثروتك.

قارون: مولاي.. حتى لو استخدمت جيش الطائف وخراسان لن يستطيع أن يدخل الخوف في قلوب كبار رجال الدولة قدر ما يدخله (مسرور) في قلوبهم.

هارون: هل تخاف من اللصوص، أم من كبار رجال السلطة؟

قارون: من كليهما.

هارون: وضّح كلامك.

قارون: الذي ينفذ السرقة هو الأجير، إنه اللص الأصغر، اما مخطط العملية فهو اللص الأكبر.

هارون: أمتيقن من كلامك؟

قارون: نعم.

هارون: اذاً.. لم لا تأتيني وتخبرني؟

قارون: مواجعتكم ليست سهلة إلى هذا الحد.

هارون: حسنا.. اكتب إلى رسالة.. قدم شكوى.. (يضحك قارون) لماذا تضحك؟

قارون: اقدم الشكوى لترسلوا بها إليّ الشخص الذي اشتكيت منه ويحقق في شكواي؟

هارون: (لمسرور) اخرج ايها المرتشي (يخرج مسرور ويبيده السيف المسلول). دعك من هذه الترهات رغم أن أغلبها صحيح.

قارون: إن كانت صحيحة فلم لا تعاقبني؟

هارون: (صامت).

قارون: إنها المرة الأولى التي لم اعاقب بسبب قول الحقيقة.

هارون: إذا نصبوك الآن خليفة ألا تقبل؟

قارون: لا.. مولاي.. النخاسة عمل عظيم ولايستطيع كل شخص أن ينجزه.

هارون: وماذا عن الخلافة؟

قارون: إنها سهلة وكل واحد يستطيع القيام بها.

هارون: لو ما استدعيتك شخصيا لعذبتك بسبب أحاديثك التافهة هذه.. لكن ليس في يدي حيلة. انا استدعيتك.

قارون: كنت تعاقبني بسبب أحاديثي الصادقة.. لكن لاتنسى النفخة..

(ضحك هارون)

\*\*\*

## الفصل الثالث

يحيى: مولاي.. ربما هو صوت عمر.. سفكنتم دمه في اليوم الأول من خلافتكم.

هارون: قلت: منذ اليوم الذي عرفت فيه نفسي.. هذا الصوت. عمره تقريبا عشرون سنة. ولم يمض على خلافتي أكثر من أربع سنوات.

يحيى: مولاي.. أنتم تتحدثون عن أمر لا أفهمه بأي حال.

هارون: قلت هناك في أعماقي صوت يضايقني. ويزرع في داخلي خوفاً عظيماً.. أخاف الوحدة.. لشدة خوفي ترتعد فرائصي.. إنه صوت قبيح جداً، يشبه صوتي..

يحيى: يشبه صوتك؟!

هارون: اجل.. عندما أكون وحيداً لحظة، أسمع صدى هذا الصوت في داخلي.

يحيى: ألم تتحدث عن مرضك هذا لأي طبيب؟

هارون: هذا ليس وهماً.. إنه الحقيقة.. في الأيام الأولى من خلافتي تحدثوا عن قصر الحریم.. إضافة إلى أنني أحب النساء، أحب الصخب والزحام والحفلات الليلية أيضاً كل هذا لكي لا أكون وحيداً.. لكنني أصبحت وحيداً مدة أربعين يوماً منذ أن توفيت والدتي، وأنا وحيد.. يزعجني ذلك الصوت كل ليلة، لذلك تراني هزيباً ونحيفا وتظنني سقيماً.

يحيى: أجل.. مولاي.. وإضافة إلى طبيبك الخاص (أبي قريش) جلبت لك طبيباً شهيراً آخر. إنه مسيحي.. اسمه (جبريل بختيشوع)، ينتظر في الخارج.

هارون: أنا لا أحب (أبا قريش) لأنه كان طبيباً خاصاً لأبي عدة سنوات. ولم يستطع أن يكتشف هل أبي مات مسموماً. أم مات ميتةً

## المشهد الأول

(بعد أربع سنوات من خلافة هارون.. غرفة هارون الخاصة.. هارون مريض..)

يحيى: (جد حزين) مولاي يمر اليوم أربعون يوماً على وفاة والدتكم المحترمة، وأنتم خلال هذه المدة لم تنبسوا ببنت شفة، وانه اليوم الأول لمبارحتكم فراش المرض..

هارون: (هزيل جداً).. مرضي.. ليس الذي تتصورونه أنتم.. إنه ليس الحزن.. بل هو (الصوت)..!

يحيى: (باندهاش) الصوت؟! لأول مرة وأنا في هذا العمر أسمع ذلك النوع من المرض!

هارون: معك الحق.. حتى إنني لم أذكره عندك.

يحيى: (بنفس الأندهاشة السابقة) قلت لم تتحدث عنه.. وهذا يعني أن مرضكم قديم..

هارون: أجل.. إنه قديم.. يعود عمره إلى اليوم الذي عرفت فيه نفسي.

يحيى: لأول مرة أسمع بمرض اسمه (الصوت)..!

هارون: لا تعجب.. إنها الحقيقة..

يحيى: أصدق.. لكن لا أفهم!

هارون: إنه صوت في أعماقي.. يضايقني.. ومتى ما أصبحت وحيداً ولو قليلاً يواجهني ذلك الصوت.. يطالبني بدمه.

طبيعية.. لذلك لا تبح بماقلته لك لدى الأطباء.. وسأجرّبهم..  
اذهب وأدخلهم.. (يخرج يحيى ويدخل معه أبا قريش وجبريل -  
ينحني الطبيبان لهارون)

هارون: اجلسا. (ينادي غلاما ويهمس شيئاً في أذنه، يغادر الغلام،  
ويعود بعد قليل، ويناول هارون قارورة) منذ أن توفيت والدتي  
فقدت النوم والشهية.

ابوقريش: مولاي.. انكم فقدتم شخصاً عظيماً، وحتما تملّكم حزن كبير،  
وعندما يكون الحزن كبيراً يسيطر على جميع حواس الإنسان،  
مرضكم هو الحزن، وحزنكم هذا مقدس، نطلب من الله عز وجل أن  
يكون حزنكم الأخير.

جبريل:.. أمير المؤمنين أكبر من أن يهزمه الحزن. انه يعرف جيداً أننا  
ولدنا جميعاً لكي نعيش ونرى ونموت. والحزن لا يحيي الموتى.  
لذلك أعرف أن الحزن ليس سبب مرضكم.

هارون: ماهو إذا؟

جبريل: لم أفحصك بعد ولا أعرف.

ابوقريش: مولاي.. المرض باد على ملامحك.. إنك شاحب ونحيف،  
يجب أن يعرف الطبيب الخبير من النظرة الأولى ماهو المرض وماهو  
علاجه.

هارون: (يناول ابا قريش القنينة). اذاً لنعرف ماهو هذا السائل؟

ابوقريش: (يأخذ القارورة من يد هارون، ينظر إليها بدقة، يشمها،  
ويتذوقها باللسان). مولاي. هذا السائل هو بول، بول امرأة، وبول  
قديم..

هارون: ما مدة قدمه؟

ابوقريش: عمر هذا البول أكثر من أربعين يوماً.. ولا استبعد أن يكون  
بول المرحومة والدتكم.. وأعتقد أنه احتفظ بهذا البول حتى  
يفحصه أطباء مهرة من امثالنا ويشخصوا مرض المرحومة  
والدتكم.. لتتأكدوا هل الطبيب الخاص لوالدتكم قام بعلاجتها  
باخلاص ام لا.. وإن لم أخطئ ففني نيتكم بعد ملاحظتنا.. هل  
ستكافئون طبيب والدتكم الخاص أم ستعاقبونه..

هارون: أحسنت: (يأخذ القارورة من يد أبي قريش ويناولها لجبريل)،  
لنعرف. ماذا تقول انت.. هل نكافيء الطبيب الخاص لوالدتي أم  
نعاقبه؟

جبريل: (يأخذ القنينة ويعاينها بدقة ويشمها قليلاً.. يضحك) مولاي  
عجبا..!

هارون: ماهو العجيب؟

جبريل: إذا كانت المسألة هي العقوبة والمكافأة. فيجب أن (يؤشر إلى أبي  
قريش) يعاقب زميلي حسب ذلك. هذا السائل الذي عاينه أبو  
قريش بدقة ثم اشتمه وذاقه وشرب منه. هو بول فرس وليس بول  
الإنسان.

هارون: (يقهقه، ينهض ويضع يده على كتف جبريل ويلتفت إلى أبي  
قريش) اخرج انت.. (يخرج أبو قريش بهدوء). أوكل إليك رئاسة  
أطباء بغداد. عليهم جميعاً أن يقفوا أسفل منكم.. وتصبح طبيبي  
الخاص. تفضل ماهي علتني؟

جبريل: (ينظر اليه بإمعان) ان مرضكم من نوع الأمراض المجهولة التي  
لا تظهر آثارها في جسدكم، لكن الذي تسبب في استفحاله أو  
الأصح يقوم بإثارته أكثر، هو الحزن.



هارون: لا تؤلم جرحي.

جبريل: غطى هذا الحزن الألم.. والحزن نفسه كشف الألمين أيضا.

هارون: ما هما؟

جبريل: الخمر والمرأة.

هارون: هاتان الاثنتان. فقط؟

جبريل: قلت: إن هاتين العلتين قد سترتا ذلك المرض المجهول. أي كلما كنت مع المرأة وشربت الخمر فأن العلة تزداد تسترا بشكل أوفى.

هارون: اذًا. بموجب ذلك. تنصحونني بالإكثار منهما.

جبريل: تزهد فيهما رويدا رويدا إلى أن تقلع عنهما نهائيا.

هارون: وحسب قول العامة: اذا تركت هاتين المحرمتين فهل يبقى للحياة أي نكهة؟

جبريل: (يجد). لقد سترت اللذتان علة واحدة فيكم. وما استمرت تينكما اللذتان فلن تكشف تلك العلة عن نفسها. يجب أن نقتل الم لذات. لكي نواجه العلة.

هارون: الحياة. تعني الم لذات. فكيف تريد أن نقتلها؟!

جبريل: تلك الم لذات وقتية، والعلة ترسخت جذورها، وجعلتم الم لذات ماءها وغذاءها. أنتم تغذون تلك الجذور بنفسكم..

هارون: لا أفهم.

جبريل: إنكم لا تريدون أن تكتشف تلك العلة وتخافون منها.

هارون: الخوف؟

جبريل: نعم.. الخوف.

هارون: من ماذا؟

جبريل: لا تريدون أن تعرفوا كنهه.. حتى تجابهوه.

هارون: إذا لم أدر ماهو.. فكيف وبأي وسيلة أواجهه؟

جبريل: إذا اردنا أن نعرف ماهو فنستطيع أن نتعرف عليه، وهذا ليس هيئنا.. أول الأمر ينبغي أن نرفع الأغطية. ومن جانبك تقلل من الشراب والنساء، ثم تقلع عنهما نهائيا.. فتكشف العلة عن نفسها.

هارون: أنتم تطلبون مني أن أترك الحياة.

جبريل: الحياة. ليست هذين الشيئين فحسب.

هارون: هما أساس الحياة ونكهتها.

جبريل: هذه العلة ليست علتكم فقط.. بل هي علة جميع الخلفاء والملوك والسلطين والأباطرة وحكام العالم.. تعرف هذه العلة في علمنا به (الخوف النائم)، اولئك الرجال الكبار الذين ذكرتهم يخافون أن يستيقظ ذلك الخوف النائم. لذا يغطونه بالم لذات. يحاولون أن لا يستيقظ، تراهم جميعا يخافون الوحدة، لذا ترى مجالسهم حامية، لأنه إذا استيقظ الخوف النائم فسوف ينطق ويقول: تغطيني بالم لذات لكي أغطي بدوري ضميرك وأخلاقك.. ها أنا استيقظت من النوم ومن بعدي سيسستيقظ ضميرك وأخلاقك، لكن -مع الأسف- الوقت متأخر جدا.

هارون: (يشحب لونه، كمن عرف عنه سر كبير.. ويتغافل عنه).

يحيى: (الجبريل) الذي تحدثت عنه له علاقة ببعض الأمور الطبية والفلسفية.. لكن عمل الخليفة هو السياسة.. والسياسة بحاجة إلى لقاء الناس، أن الشعوب الخاضعة لسلطة الدولة العباسية ليست من العرب فحسب، والسياسة يجب أن تضمن استتباب

الأمن قبل كل شيء والأمن مع الشعوب غير العربية يتعزز عن طريق القرابة.. ومن المستحسن أن تفكروا في علاج يعزز قرابة الخليفة مع الشعوب الأخرى.

جبريل: يمكنه أن يقللها.. دينكم بشركم بما هو أكثر وأجمل.

هارون: (بغضب) يبدو أنك تتحامق.

جبريل: مولاي.. هذا ليس كلامي.

هارون: أعرف أنه ليس بكلامك.. اقصد أنك لست ساذجاً، لكن ربما تتصورني أحق، أو تكذب مع مبادئك وتجاهلني.

جبريل: مولاي.. أعني أن الأخريات لسن مثل ما لدينا الآن.

هارون: أتعجب مع كونك عالماً. لاتفهم هذه المسألة!

جبريل: مولاي أنا نصراني فحتى لو تحدث الرجال المسنون الكبار بهذا الاسلوب فسوف يتهمونهم بالزندقة ويقضون عليهم.. فكيف استطيع أن أتفوه بمثل هذا الكلام وان الله وحده يعلم أية تهمة سيلصقونها بي.

هارون: (منزعج) مع من تتحدث الآن؟

جبريل: مولاي مع الخليفة.

هارون: هل الخليفة بحاجة إلى ان يلصق بك التهمة؟

جبريل: لا.. يا مولاي.

هارون: انت تعرف. إن شئت في أي وقت سأقطع رأسك بتهمة (براءتك).

جبريل: مولاي.. تستطيعون ذلك.

هارون: اذاً: لم لا تتكلم بأسلوب رزين ومن دون رياء ومجاملة، لم تظهر ما في دخيلتك بصورة معكوسة. ماهو الزنديق؟ وما هي الزندقة؟ هذه كلمات ليس لها معنى. إذا اردنا أن نتخلص من شخص ما

فسنقوم بإثارة سواد الناس عليه، ونحرضهم على المطالبة بالتخلص منه، هذه الكلمة (الزنديق) تفعل فعلها بيسر.. وأصبحت أنجح وافتك سلاح في ايدينا.. وأحدس إنك تتكلم معي بنفس اللغة التي نتكلم بها نحن مع سواد الناس أو بالأحرى نخدعهم بها.. وإلا مامعنى قولك: (ان الأخريات لسن مثل اللواتي هنا)؟

جبريل: مولاي.. أنا طبيب وأفهم بعض الحالات النفسية وماقلته كان بدافع الخوف.

هارون: قلت.. الخوف؟

جبريل: نعم..

هارون: تحدث الآن عن خوفي بدعوى أنني لا أريد أن أعرف ماهو لكي لأواجهه.

جبريل: أجل.. مولاي. امتزج الخوف بحليب الأم، نحن تربيينا على الخوف، وعندما يواجهني لن تبقى لدي قدرة السيطرة على كلامي، فأتكلم بدون إرادة وبالشكل الذي سمعت.. بهدف المحافظة على حياتي.. اطلب المعذرة.

هارون: (بابتسامة) اطلب الدواء. أنت الآن مريض وانا طبيب، هذا اولاً.. ثانياً: لن أغفرك إلى أن ننتهي من كلامنا بصراحة.. ان تخليت عن هذين الشيين. سوف أتعافى وسيكون الأحسن والأجمل من نصيبي في العالم الآخر.. هل أنت مطمئن بأنني بعد مماتي سوف أدخل ذلك المكان الذي فيه الأحسن والأجمل والأنظف من الذين هم هنا الآن؟

جبريل: مولاي.. ذلك المكان جدير برجال من أمثالكم.

هارون: تكذب.. هل تعرف الغيب حتى تحدد المكان الجدير بي من الآن؟  
جبريل: أقصد أنكم شخص طيب ونزيه معطاء.

هارون: طيبتي وعطائي مع الذين - لأستخدم لغتك أيضا- أخافهم،  
أخاف لسان بعضهم، وأخاف منطق واستقامة وصدق البعض الآخر،  
أخاف تصرفات ونفوذ الآخرين، وعطائي يشمل الذين أخافهم..  
وهل ذلك المكان يخص النزيه والمعطاء.

جبريل: كان قصدي أن أقول: إن هذه الأشياء من شأنها أن تمهد الطريق  
إلى ذلك المكان.

هارون: أنا أريد أن تصيح رفيقي، رفيقا صادقا بعيدا عن المجاملات،  
تعرف جيدا أنني لا أصدق كلامك التافه هذا.. وتعرف جيدا كيف  
جلسنا - نحن واجدادنا - على هذا العرش.. أوصلنا إلى هنا بحر  
من الدماء.. حتى إننا قتلنا الأشخاص الذين خدمونا ومهدوا لنا  
الطريق لتسلم السلطة.. تعرف جيدا لا أنا ولا أي امبراطور أو  
ملك أو صاحب سلطان آخر لن ندخل ذلك المكان، وأن ذينكما  
الشيئين الطريفيين لن يكونا لي.. لذلك لا تمنعني عن الأشياء  
الموجودة هنا، شراباً طهوراً ليس لي.. وحوراً عيننا لسن لي. لأن  
ذلك المكان ليس لي.. سأجرع الشراب ما استطعت، ولن تشبيني  
جميع نساء العالم. (يضع يده على كتف يحيى). لذلك فأني  
شاكر هذا الرجل الداهية مادمت حيا. انا أربعون يوما ووالدتي  
متوفاة، وقد صنع لي في مدة الاربعين يوما هذه عشرات الأحواض  
من المرايا، تغتسل الجوارى فيها. (متوقفاً) أترى كيف -أنا وأبي  
وجدي- نبني الجنات المصطنعة.. وبرأيك أليس هذا لأننا متأكدون  
من أننا لن ندخل ذلك المكان؟

جبريل: اشرب هنيئاً.. سوف أحضر لك دواءً لن تياس بعده جوارى الدنيا  
من عطفك ورحمك.

يحيى وجبريل: (يتبادلان النظرات ويطمئن يحيى أن خطته قد نجحت).  
يحيى: (يضع يده على كتف جبريل) أنتم تنجزون عملاً لتعيش الدولة  
العباسية إلى الأبد، في الأمن والسلام، عوضاً عن الرمح وسيف  
الحرب وسفك الدماء.. سنرفع رمح العقل ورحيق الحب، وبعد ذلك  
لن تحارب العشائر والطوائف والشعوب بعضها بعضاً.

جبريل: الذي يرضي الخليفة.. وأنا الخادم لن أتوانى عنه قدر المستطاع.  
هارون: يعجبني هذا: وأنا أهديك دناً من شراب معتق عمره سبعون سنة  
مع أربع جوار.

جبريل: هدية الخليفة فوق الرأس.. الشراب ممتاز واقبله، إلا اني نصراني  
وديننا يحرم مضاجعة الجوارى.

هارون: تريد أن تقضي حياتك كلها مع زوجتك العجوز؟  
جبريل: نحن راضون ببعضنا، في ديننا لانكح إلا زوجة واحدة وإلى نهاية  
العمر، ولا يحق لنا أن نتزوج امرأة أخرى أو نطلق الزوجة.

هارون: دعك من الدين. استحسن أن تفكر مع يحيى في صنع عقار  
يخدر جميع الناس من رعايا الدولة العباسية بحيث يبتعدون عن  
العلويين.

يحيى: مولاي.. هذا سهل جداً.

هارون: كيف؟

يحيى: ينبغي أن نشغلهم..

هارون: بماذا؟

يحيى: بعض العلماء.. بضعة آلاف من الدنانير وبعض الفتاوى، ثم يصبح الأمر حالاً.. ويزول خوف الطرفين.. فلاهم يخافون نار جهنم، ولا نحن نخاف غدر وعدم وفاء أعدائنا.

هارون: (يلتفت إلى جبريل)، وأنت ماذا تقول؟

جبريل: مولاي من يستطيع أن يفتح فاه أمام (يؤشر إلى يحيى) هذا العقل الكبير؟!

هارون: أحسنت.. (ينظر يحيى وجبريل بعضهما الى بعض مبتسمين)

## المشهد الثاني

(غرفة هارون الخاصة، هارون ويحيى وجعفر).

هارون: (معتاباً) أحس أن ابنك فضلاً قد أهمل قراراتي منذ فترة، قلت له أن يهيء ميداناً للفروسية في بغداد، لكي ينشغل الناس به، لا اعرف هل نسيه.. أم..؟

يحيى: مولاي من المحتمل أنه مجرد النسيان حال دون أن ينجز شيئاً، وحول مسألة إلهاء الناس لكي لا يلقوا السمع اسفل جدران المساجد إلى مواضع العلويين، فقد عملت شيئاً، إذ بنيت في بغداد في أكثر المناطق المزدحمة أسواراً حول عشرات البيوت تعمل فيها مئات الجوارى والنساء اللاتي يمارسن تلك المهنة.

هارون: أعرف هذا.. أعلموني بأن أكثر الشباب يرتادون تلك الأماكن، التي استفتزت العلويين بحيث أصبحوا ناراً حامية.. أخاف أن لا نصيب الهدف في هذا العمل.

يحيى: مولاي: أبشرك بالنصر.. فكل الأعمال مرتبطة بتربية الأشخاص الذين ينفذونها لم يعد العلويون الآن يستطيعون استقطاب الشباب، ومن طبيعة العلويين. أنهم في البداية متحمسون باللسان وإذا دخلوا الحرب وحققوا نصراً ضئيلاً يتملكهم الغرور. لكن إذا رأوا قد قتل بعض أفرادهم تنهار معنوياتهم، وينهار قادتهم ويفرون، لذلك اقول باطمئنان: أننا منتصرون في عملنا هذا..

هارون: أنا متردد.. أتمنى لو كنت مطمئناً مثلكم.. لم تقل لماذا لم ينفذ (فضل) أوامري؟

يحيى: مولاي قلت ربما نسي ذلك.

هارون: لماذا ينسى أمر الخليفة.

يحيى: مولاي.. تفضلت أنه أخوك في الرضاعة.

هارون: صحيح.. انا وفضل أخوان في الرضاعة، لذلك يجب أن تكون أخوتنا هذه عاملاً يحثه على تنفيذ أوامري أكثر من أي شخص آخر بصورة أسرع وأفضل.. انا ساخط على فضل.

يحيى: مولاي إنه في أكثر الليالي يعمل تحت ضوء الشموع في حسابات الدولة، حتى أنه لا يقبل من جباة الضرائب أن ينقص دينار واحد من حسابهم.. أعتقد أنه لم يخالف.. بل هو تقاعس لا أكثر.

هارون: التقاعس جريمة أيضاً.

يحيى: لا يجرؤ أحد أن يقترب جريمة حيالكم.

هارون: لأنه أخي في الرضاعة سأجعل عقوبته من مئة جلدة عشر جلدات. يحيى: مولاي.

هارون: نحن نقول: اضرب الكلب وخوف به الأسد.

يحيى: لكنكم تضربون الأسد لتخوفوا به الفأر.

هارون: أحسنت.. ستكون سياستي في المستقبل.. أن أضرب الأسود لأرعب بها الفئران.

يحيى: أغلب المحيطين بكم هم من الأسود.

هارون: وفيهم الفئران أيضاً..

يحيى: بالنسبة لي.. إن الأمر صعب كثيراً.

هارون: أسد إليه النصيحة.

يحيى: أمركم.. مولاي.

هارون: أسامحه لأجلك.. طلبت منه أن يعلمني هل نستطيع أن نشيّد ميداناً للفروسية، قلت له: أرغب في أن يكون رعاياي مثل أهل القسطنطينية. أريد أن تجعلوا ميدان النخاسة مثوى للسياح، وأن تعمّره بشكل توجد فيه المقاهي والحمامات والنزل، والملاعب الرياضية وكثير من الأماكن العامة، ويجب أن لا تكون لها مثيلات في أية مدينة أخرى في العالم.. ينبغي أن لا تبقى بغداد راکدة مثل الآن.

جعفر: مولاي أمركم.. سوف نجعلها أكثر جمالا، ومنذ اليوم سنباشر العمل. وبالنسبة لميدان الفروسية سوف نبني ميداناً فريداً.. ونبعث لجلب أحسن الخيول العربية الأصيلة والایرانية لنروضها، ونقوم بتوسيع حريمكم إلى أن يستوعب ثلاثة أضعاف القصر الحالي.

هارون: (ليحيى ببلادة) إلى كم وصل عدد الجوّاري في قصر الحريم؟

يحيى: أكثر من ألفي جارية، وفيه ألف غلام وخمسمائة خواجه وعشرات الطباخين!

هارون: ما العدد الذي في نيتك أن يبلغه عدد جوّاري؟

يحيى: (بقصد) يجب أن يكون عدد جوّاريك أكثر من عدد جوّاري خسرو پرويز بمئة جارية في الأقل.

هارون: تقصد إِبصال العدد إلى ثلاثة آلاف؟

يحيى: نعم. وأكثر.

هارون: كما قلت لك. هل ستختار منهن مثلما طلبت؟

يحيى: أجل مولاي فقد أوعزت إلى جميع الولاة أن يرسلوا الرسل حسب طلبكم ويتجولوا من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى أخرى.

هارون: ما تحدثنا عنه حول قصر الحريم.. هل عملت له شيئاً؟

يحيى: وضعت عشرات الدرجات للإختيار، يجب أن تمر الجوارى بتلك المراحل ويتعلمن.. الأمر الأول أن تُغسل أجسادهن بالعطور أربعين يوماً. ثم يكون لهن شرف أن يخدمنكم ليلة واحدة.

هارون: من هم الذين يعلمون الجوارى.

يحيى: بعثت إلى خراسان والري وقرمسين وجلبت الخواجات من هناك (يضع يده على كتف نجله جعفر) انا وجعفر، كبار وصغار أسرة في خدمتكم.

هارون: جعفر صديقي، توجد سنة أو سنتان من العمر بيني وبينه إنه صديق طفولتي، ونديمي في ليالي الأتس حالياً.. لا أتذوق طعم أنس الليالي، إذا لم يكن فيه جعفر وشقيقتي (عباسة) إن جعفر يعرف عن تجارب ملوك إيران حتى لم يعد ينقصه شيء.. وعباسة إضافة إلى عذوبة صوتها فإنها تقرض الشعر أيضاً ولها من الأشعار ماجعلها لا تقف عند أي حديث إلا وتسعفه بقصيدة ما.. إنهما ركنا ليالي.

يحيى: نحن خدام الخليفة والدولة.

هارون: أضع جميع كلامك موضع الإخلاص، لقد كان في ذهني أن أجعل دمشق عاصمة، وتخلت أيضاً عن تلك الفكرة. عاهدني بأنك ستجعل بغداد أجمل، ومكتظة بالسكان وأكثر دلالاً.. يجب أن تجعلها أكثر جمالاً من القسطنطينية.. أقصد أن تساعد جعفر..

يحيى: لا أستطيع أن أعطيك مثل هذا الوعد.

هارون: لماذا؟

يحيى: سافرت في شبابي إلى تلك المدينة، ورأيت فيها أشياء اخجل ان اتحدث عنها.

هارون: لا تخجل.. مثل ماذا؟

يحيى: نساؤها ورجالها يشربون الخمر علناً.

هارون: ونحن هنا -رجالاً ونساءً- نشرب سرا.

يحيى: هنالك النسوة شبه عاريات في الدروب والأزقة.

هارون: إنهن عاريات هنا تماماً داخل قصور حريمنا.

يحيى: هناك. تغتسل النساء والرجال معا في الحمامات.

هارون: وهن عاريات النسوة يغسلن واحداً منا.

يحيى: أقول تلك المدينة.

هارون: تحدث لي كيف هي تلك المدينة؟

يحيى: نساؤهم.

هارون: (على عجل) عاريات؟

يحيى: شبه عاريات في سوق النخاسة.

هارون: ثم ماذا؟

يحيى: (يكرر هذه العبارة عمداً، ويرمق بدقة عيون هارون ليعرف إلى أي

حد تؤثر فيه) حماماتهم..!

هارون: نعم.. قلت النساء والرجال يستحمون فيها معا.

يحيى: ليس هذا فقط، انما.

هارون: (بعجالة) ماهو.. قل بسرعة.

يحيى: لديهم نوعان من الحمام.

هارون: كيف؟

يحيى: انهما فقط لكبار رجال الدولة.

هارون: كيف؟

يحيى: حمام النساء وحمام الرجال.

هارون: لا افهم

يحيى: حمام النساء فيه مئات النساء الفريديات.. انهن جميعا مستعدات أن يغسلن في يوم واحد رجلاً واحداً فقط.

هارون: من هو ذلك الرجل؟

يحيى: حاكم المدينة الأكبر.

هارون: هو وحده فقط؟

يحيى: ثم بعده، حسب الدرجة والمرتبة.

هارون: كيف يغسلنه؟

يحيى: جميع جدران الحمام مغطاة بالمرايا.. في البداية يقوم بعض النسوة بنزع ملابسه، ثم يدلكه بعض آخر بلطف.. والنسوة الأخريات يدهن أطرافه بنوع من المراهم، ثم تأتي مجموعة أخرى ويجعلن من شعورهن ليفا ويغسلن به جميع جسده.

هارون: بالشعر؟

يحيى: (مبتسما) يغسلن بعض أماكن الجسد بشعر منطقة معينة!

هارون: كذلك الوجه؟

يحيى: أجل.

هارون: هؤلاء الروميون.. من أين تعلموا هذا؟

يحيى: أكاسرة المجوس عندما كانوا يشعرون بالضعف من الناحية العسكرية.. كانوا يلجأون إلى سلاح آخر أكثر فتكاً.

هارون: تقصد ذلك السلاح الذي يحكم دول العالم كافة ولا أحد يستطيع ان ينبس ببنت شفة أمامه؟

يحيى: لافض فوك مولاي.

هارون: اكمل حديثك.

يحيى: كانوا يهدون جوارى المتمرسات على العشق. بهدف إلهاء كبار

رجال العدو بالهوى حتى أنسينهم الحرب.

هارون: أو يعود أصل هذا الفن للمجوسيين أيضا؟

يحيى: عرضت لمقامكم مسبقا. كان جميع أنحاء الشرق تحت حكمهم.

هارون: والآن؟

يحيى: إنهم خدمكم.

هارون: أليسوا موضع الخوف؟

يحيى: مادمننا موجودين. فلا تظنوا شراً.

هارون: ماذا تقصد بـ (نحن)؟

يحيى: البرامكة.

هارون: (الجعفر) قبل كل شيء إجمع جميع مهندسي البناء، أريد أن بينوا لي أكبر حمام في الدنيا، بحيث لا يكون الحمام الذي يتحدث عنه والدك سوى غرفة صغيرة من الحمام الذي أريده (بابتسامه). قال والدك: لديهم نوعان من الحمام، وتحدث عن أحدهما فقط.

يحيى: مولاي.

هارون: (يقاطعه) أعرف أن النوع الآخر، فيه مئات الشباب الوسام، يغسلون امرأة واحدة، نحن لانريد ذلك النوع من الحمام، أعرف أنه سيبنى ايضا، ولكن لن يكون في عهدي (الجعفر) اكرر.. اجعلوا من بغداد الجحيم والحامدة هذه اكبر واجمل عاصمة على سطح الأرض.

جعفر: أمرك مولاي.

يحيى: (كأنه أصاب أكبر الأهداف.. يجيب بسرور) أمركم مولاي.. أمركم..

\*\*\*

عبدالمملك: سيدي أطلب المعذرة.

جعفر: ماذا حدث؟

عبدالمملك: أفسدت وضعكم.

جعفر: كلا.. ليس ذنبك.

عبدالمملك: هل تسمحون لي بالجلوس؟

جعفر: تفضلوا. كما أعرف أنكم رجل زاهد ولا تشربون الخمر ولا تحبون حفلات الرقص والغناء.

عبدالمملك: صدقت. أنا في الظاهر متزهّد، لكنني في الحقيقة شيء آخر، استأذّنكم أن تُصب لي كأس من الشراب.

جعفر: (يلتفت نحو جارئة) هيا.. (تصب الجارية كأساً من الشراب، ويشربه بجرعة واحدة، ثم يطلب كأساً أخرى، ويشربها بنفس الصورة).

عبدالمملك: سيدي.. مرهّن؟.. ليعطينني كأساً أخرى..

جعفر: هيا (الجارئة تملأ له كأساً) يبدو أنك شارب خمر قهار.

عبدالمملك: لا.. هذه هي المرة الأولى. - أشرب الخمر إجلالاً لعظمتكم..

جعفر: (بدهشة) انها المرة الأولى.. اسلوبك في احتساء الخمر يشبه عياري وحنالات بغداد وانت تجرع الخمر بدفعة واحدة.

عبدالمملك: سيدي.. ألا تشرب الخمر بدفعة واحدة؟

جعفر: نعم.. لشخص صعلوك وسكير.. لكنك قلت هذا أول مرة لك.

عبدالمملك: سيدي.. لا أكذب.

جعفر: إنك لم تشرب بعد كمية توصلك إلى مرحلة الكذب.. الكأسان الأولى والثانية تدفعان المرء نحو الصدق، والثالثة والرابعة فنحو الأكثر صدقاً.. والخامسة والسادسة تدفعانه نحو التبجح وحب

## المشهد الثالث

(غرفة جعفر اليرمكي الخاصة، بضع جوار يحملن الناي والعبدان والدقوف واخريات مستعدات للرقص)

جعفر: (في وسط الجوّاري يصفق ويدخل غلام).

الغلام: (ينحني) أمركم سيدي.

جعفر: لا أريد أن أرى أحداً هذه الليلة إذا جاء أي شخص وكان لديه عمل عندي: فقولوا له: إنه في حضور الخليفة، وليأت غدا.

الغلام: امرك سيدي.

جعفر: قل لجميع البوابين والحرس.. يجب تنفيذ أمري هذا بحذافيره. صديقي عبدالمملك فقط لا يشمل هذا الأمر.. هل فهمت؟

الغلام: نعم سيدي.

جعفر: (يعطي بيده اليسرى إشارة لذهاب الغلام ويمد بيده اليمنى كأساً للساقية، جارئة شبه عارية تصب له الخمر.. مع الجرعة الأولى يرتفع صوت الموسيقى، وتبدأ الجوّاري بالرقص حول جعفر، ويشرب الكأس الثانية، يدخل غلام ويهمس في أذن جعفر؟).

جعفر: ليدخل، ألم أقل لكم انه لا يشمل ذلك القرار: (بعد قليل يدخل عبدالمملك الصالح، وينهض جعفر مندهشاً ويعطي الإشارة للجوّاري، ويقفن عن عزف الموسيقى)..

عبدالمملك: سلاماً سيدي.

جعفر: (بيرود شديد) سلام.



الذات.. والسابعة والثامنة نحو الكذب الفاضح.. لا تسرع لكي أفهمك حسب عدد الكؤوس.

عبدالمملك: حسنا.. سيدي. أنتم كم كأساً شربتم؟ اقص في أي مستوى ودرجة؟ أعذرني هاتان الكأسان جعلتاني اتكلم دون خجل..  
جعفر: انا في مرتبة الصدق وقول الصدق.. لم أكن أنتظر. ولم أحب لقاءك هذا.. إنه غباء وحماسة حراسي ويوأبي.. أنت وصديقي عبدالمملك متشابهان في الأسم فقط.. عندما قلت للحراس (اسمك عبدالمملك) وظنوك عبدالمملك صديقي، وليس عبدالمملك هذا الذي هو ابن عم الخليفة، اجعلها الكأس الثالثة وتكلم.. وأنا أسمعك.  
عبدالمملك: ساشربها دفعة واحدة.

جعفر: لم لا.. (لجارية) املاي كأساً ملوكية لأبن العم الجد.. اللا.. اللا.. حبيب الخليفة (يلتفت إلى الراقصات والمطربات) لماذا أنتن صامتات؟ (الجواري.. يشرعن في الرقص والغناء.. عبدالمملك في يده كأس ويتجه نحو إحدى الراقصات).

عبدالمملك: رقصتك الجميلة هذه لطيفة جدا، وتخلب اللب أحب أن أرقص معك.. (يتبختر بشكل قبيح. ويضحك مقهقهة) انا متأكد بأن الله تعالى سيغفر لي، لأنك جميلة جدا..

جعفر: (يوقف الرقص والأغاني بإشارة) ايها الرجل العظيم الموقر.. هل حدث أمر خطير لكي تحضر إلى هنا؟

عبدالمملك: (وهو واقف وفي يده الكأس وشربها دفعة واحدة) لزيارتكم أنتم.

جعفر: (يشرب كأسه) اشكرك على هذه الزيارة.. أحب أن أعرف هل تحتاجون شيئاً أو لديكم غرض خاص حتى تضايقني هذه الليلة من

أجله؟. (يتظاهر بالثمالة) تستطيع أن تتكلم كما تريد حتى استطيع أن أخدمكم. (جارية تناول جعفر كأساً وتقرأ كأس عبدالمملك، يدور عبدالمملك حول جعفر والكأس بيده).

عبدالمملك: نخب أحب وزير لدى ابن عمي العزيز (يشربها دفعة واحدة) يا جعفر العزيز جداً.. لا أعرف لماذا ابن عمي العزيز ساخط علي؟ ولا يقبل أن أزوره منذ فترة.

جعفر: (للراقصات) ارقصن.. ارقصن.. أكثر سخونة أثبتن بالحركة أن الحياة تعني الحركة.. وأنها بدونها تعني الموت (يرقصن بحرارة، يلتفت إلى المغنين) وأنتم نسقوا أصواتكم مع بعضها.. واشدوا.. وأثبتوا: أن أتعس الناس في الدنيا هم الذين لا يعرفون أن يجعلوا من أحزانهم غناءً أو صوتاً يبده أحزان الآخرين ومن خلال تبديدها تذوب أحزانهم أيضاً.. واثبتوا كم هم تعساء أولئك الذين اصواتهم غير جميلة.. (للجواري) أن ابن عم الخليفة يسألني لماذا ليس لدى الخليفة لطف تجاهه (لإحدى الراقصات) هيا.. تعالي.. افهميه بالرقص (إحدى الراقصات وهي تتحرك وتنحني بحيث يسقط شعرها على الأرض). (لعبدالمملك) هاهي بالرقص تقول: إن جواسيس ومخبري الخليفة كتبوا عنك التقارير وقد أعلموه بأنك قلت بعض الأشياء ضد مصالح الخليفة والدولة.

عبدالمملك: (يشحب لونه) صدقوني.. وأقسم برأس الخليفة. أنه لم يخرج من فمي مثل ذلك الكلام..

جعفر: (يمسك ذقن عبدالمملك) الجسد لا يكذب ولاسيما جسد المرأة (ينادي راقصة أخرى) افهميه بالرقص ماذا قال: تدور الراقصة حول نفسها وتقع على ركبتيهما وتنحني الى الخلف) هاهي تقول.. إنه في

إحدى الولايم قد قلت: (لو لم تكن خيزران أم هارون لما اصبح خليفة، إذًا.. لماذا تقسم اليمين كذبا برأس الخليفة)؟!  
عبدالمملك: اية حماقة ارتكبت.. ماذا فعلت بنفسي، ليقطع لساني، يا جعفر أنجذني..  
جعفر: (يتجه نحو إحدى الجوارى ويأخذ منها كوز الشراب.. ويذهب صوب عبدالمملك مثل الساقى) ها.. سيدي قد جئت لأنقذك. (يأخذ الكأس من يده ويملؤها له) تفضلوا (يمد عبدالمملك يده للكأس، يسحب جعفر يده إلى الخلف، ويرفع الكأس إلى فمه ويشربها الى آخرها.. ثم يملأ الكأس ثانية ويناولها لعبدالمملك) خذ، واشربها.  
عبدالمملك: (يأخذ الكأس ويشربها) أي حمار كنت، ماذا فعلت بنفسى، ليقطع لساني.  
جعفر: (يملاً كأسه وكأس عبدالمملك) من الخسارة أن يقطع اللسان. خذ (يمد له الكأس) تذوقه باللسان.. اللسان للتذوق.. للتقدير والشتيمة.. للحس. تفضلوا تذوقوا هذا الشراب.. التقدير لي.. والشتيمة لابن عمك.. لي قول (بارك الله) (يترنح) ها.. لقد سمعت شيئاً.. سمعت إحدى أذني تقديراً.. ولم تسمع الأخرى الشتيمة.. عندما تثني علي فتعال إلى أذني اليمنى، وعندما تسب فتعال إلى اليسرى (يترنح) هل فهمت. قد خصصت كل أذن لشيء، لا أريد أن تسمع إحدى أذني شيئين متناقضين في آن واحد.  
عبدالمملك: ليقطع لساني.  
جعفر: (كأنه لم يشرب شيئاً. يقول ببرودة) عفا عنك الخليفة.. ونسى جسارتك هذه اذهب واطمئن. سأبدد هذا الضباب في رأسه المبارك.. والآن قل ماذا تريد؟ (ينادي إحدى الجوارى، تملأ الكأس) املائي كأسه أيضا ولتكن معمرة.

عبدالمملك: (يركع.. يضع كأسه على الأرض) سيدي.. أنا الآن جد معوز.. كل ما كان لدي من الثروة صرفته على القصر وأحجاره المرمرية، صدقني.. لن تجد في بغداد أكثر بؤساً منى.  
جعفر: (بغضب) ارفع كأسك من الأرض (عبدالمملك يرفع كأسه خائفاً) قبل الكأس بشفتيك.. (يقبل عبدالمملك الكأس) قل قسما بهذا الشراب لا أكذب..  
عبدالمملك: (ترتجف شفثاه). قسما بهذا الشراب لا أكذب. لكن يحتاج إلى الوقت حتى يعتاد لساني على قول الصدق، هذا اللسان تحول إلى مبرد يبري سكاكين لسان الناس أيضا ضد الخليفة..  
جعفر: (يباغته) أنت يا.. انت سوى زوجاتك الأربع لديك إحدى عشرة جارية أيضا. مصاريفهن كثيرة.. قل لي لأعرف كم من النقود تريد؟  
عبدالمملك: (متلعثماً) سي.. سيدي.  
جعفر: تعهد لي بانك لن تشتري جارية أخرى.  
عبدالمملك: أقسمت بالشراب أن لا أكذب.. لن أعذك بهذا.. إلى اليوم الذي أموت أحب النساء.. حين أرى جارية جميلة في سوق النخاسة تشل حركتي.  
جعفر: يسعدني انك تبجل الشراب إلى ذلك الحد، ويسعدني أيضاً أنك قلت حقيقة كانت ضد نفسك ومادمت تقول الحقيقة.. قل كم تريد..  
عبدالمملك: عشرة.. عشرة.. آلاف دينار أنا مدين.. اريد أن تسددوا لي هذا الدين وسوف ارده لكم على مهل عندما يمنحني حضرة الخليفة مبلغ ذلك الدين.

جعفر: (مقهقها) أتعرف كم هي سنك؟ أنا اعرف أنك في عمر حمار هرم.. سمعت أنك بنيت قصرا جديدا في مكان جميل من بغداد.. تنوي أن تسكن فيه أرملة صديقك الحميم الذي مات قبل ثلاث سنوات..

عبدالمملك: (يندهش حائراً وتسقط الكأس من يده) سيدي.. هذا سرّ جد شخصي لي.

جعفر: سوف يصنعون لك يختا كبيراً لنزهاتك وتهديه إلى تلك الأرملة أيضا.

عبدالمملك: (منهدشا) هذا سرّ يخصني جداً أيضا.

جعفر: (يلاحظ عيونه بدقة) خديجة زوجتك الصغيرة حامل وفي شهرها الثالث.

عبدالملك: سي.. سي.. سيدي.

جعفر: تمهل.. في وسادتك الخاصة مئة واربعة وعشرون من لباس المرأة الداخلي..

عبدالملك: (يجثو على ركبتيه) س.. س.. سيدي.

جعفر: والألبسة.. كلها شفافة ومن الحرير الأسود، مئة وعشرون منها لقربياتك اربعة منها فقط لغربيات.. لقد غررت بقربياتك. وقبل الممارسة كنت تلف رأس قضيبك بتلك الملابس وتقول: انظروا إلى راية آل عباس.

عبدالملك: (يرتجف ويسقط على صدره، يمسكه جعفر من ذراعه ويرفعه) لا اعرف.. لا.. لا استطيع أن أقول ليقطع لساني.. لم ابح بهذا السر لأي شخص حتى زوجاتي وجواري لا يعرفن سر هذه الوسادة.. ففي النهار أضعها في خزانة مغلقة، وفي الليالي انقلها من غرفة إلى أخرى.. كيف عرفتم بهذا؟!

جعفر: الآن.. فهمت أن جميع مؤسسات الخليفة السرية وحتى شخص الخليفة يعرفون أي فراش هو دافي.. أعني أنا والخليفة أيضا نعرف ماهو لون البسة زوجات رجال الدولة الكبار والنبلاء؟ (الراقصات والمغنون يتركون المكان بإشارة من جعفر ويشعر عبدالمملك بالاطمئنان).

عبدالملك: سيدي.. الذي تفضلتم به كله صحيح تماما.

جعفر: ليس عتبي على ما فعلت. بل على كيفية استحصال هؤلاء النسوة.. وكيف غررت بهن؟

عبدالملك: سيدي.. لم اغتصبهن..

جعفر: (غاضبا) ألم تنظر الى نفسك التي أجمل من القرد إلا قليلا.. ان النساء اللاتي غررت بهن بعضهن زوجات اولئك الجنود والقادة الذين قتلوا في جبهات الحرب مع الروم وهم شهداء حسب قول الخليفة وبعضهن زوجات كبار رجال الدولة والنبلاء العرب.. بعضهن جد جميلات لا أريد أن أذكر اسماء هن إنهن قريباتك وقربيات الخليفة.

عبدالملك: سيدي كما عرضت لكم.. لم اغتصبهن.. هن بأنفسهن..

جعفر: انه قدر تلك الخمرة.. تعتقد أن هؤلاء النسوة يحبنك. إذا اعتقدت ذلك فأنت غبي وحمار كامل.. إنهن يحبن جيوبك، يحبن علاقات القربى بينك وبين الخليفة.. يعتقدن ان أحوالهن ستتحسن عن طريقك.. ويعتقدن..

عبدالملك: سيدي إنه لكذلك، وتفهمته كذلك ايضا.. كنت أعرف أن أقربائي الآخرين يفعلون نفس الشيء.. وقلت لنفسني إذا لم أفعل فإنهم سيفعلون. فلم أتوان..

لدى ابن عمي.. وتتمتعون بقدرة كبيرة، فهل أستطيع أن أمل في طلب يد إحدى بنات المرحوم (الهادي) لإبني؟  
جعفر: (يهز رأسه) كلا ابنته هو.. كلا.. لكن إذا كانت لدى هارون بنت في الثانية عشرة من عمرها، فلماذا لا تكون كنتك وتتزوج من ابنك؟ إنَّ (غالية) جديرة بأن تكون سراج بيتكم وتصبح زوجة لابنك.

عبدالمملك: (دون أن يصدق) يعني.. يعني.. أنت تسمح لي بطلب يد (غالية) كريمة الخليفة، لولدي العزيز؟.. اطلب يد ابنة الخليفة؟!  
جعفر: افرض. أنك طلبت يدها من الخليفة وقبل بذلك. وسيكون عقد القران غداً أو بعد غد.. (يترنح) عبدالمملك. أنت أثقلت عيبي أكثر، قبلت أن يكون ابنك صهر الخليفة وفي هذه الحالة. سأتحمل مصاريف المهر والجهاز الجديرين (بغالية) وهذا يحتاج إلى عشرين ألف دينار في الأقل.

عبدالمملك: (يكاد يصدق) ولدي ابراهيم الذي سيصبح صهر الخليفة ليس له عمل منذ مدة.

جعفر: وهذا سهل أيضاً.. تعرف.. أنني حاكم مصر بالاسم. فقد اسندت إلي أعمال تلك البلاد.. وتعرف أن حاكمها قد توفي. وبعد يوم أو يومين أصدر الأوامر لإسناد الحكم هناك إلى ولدك ابراهيم..

عبدالمملك: (يضع كأس يده ويذهب بنفسه ليجلب كوزاً من الشراب). في صحتكم انتم. (يجرع من كوز الشراب ويشربه إلى آخر قطرة، ويسقط إلى الخلف، وترتفع ساقاه إلى الأعلى. وتأتي الجوارى وهن يقهقهن ويرفعنه ولا يستطيع الوقوف ويسقط مرة أخرى).

\*\*\*

جعفر: اسكت. أريد أن اساعدك.  
عبدالمملك: أصير التراب الذي تحت قدميك.  
جعفر: أعطيك بعض النقود.  
عبدالمملك: مادمت حيا.. فأنا وعبدكم..

جعفر: بشرط أن تلجم لسانك.. واعلم أنك إذا ذهبت إلى أي مجلس فإن بلغ عددكم عشرة - و أنت منهم - فاطمئن بأن التسعة الآخرين هم جواسيس ويكتبون التقارير الي وإلى الخليفة..

عبدالمملك: صدقت.. سيدي.. أنا الآن أشك في زوجاتي، وفي جوارى، وفي أطفالي، حتى أشك في عشيقتي الأرملة. لأنها فقط تعرف أن في نيتي أن أصنع لها يخبأً.

جعفر: (باشتمزاز) إذاً.. ألا تشك في نفسك، أقصد ألا تهذي.. ألا تحلم؟..

عبدالمملك: (بغباوة) بلي.. ولم لا.. لقد رفعت التقارير الشفوية ضد هذا وذاك مرات عديدة..

جعفر: (فجأة) غداً.. ستتسلم عشرة آلاف دينار مني، وعشرة آلاف أخرى من الخليفة..

عبدالمملك: (يرتجف) سيدي.. هل تسخر مني؟

جعفر: حتى إذا سخرت منك.. فلن أكذب عليك. نحن لم نتعود على الكذب.

عبدالمملك: سيدي.. أعذرني.

جعفر.. تعال الي غداً.

عبدالمملك: (يقع على قدمي جعفر ويقبلهما) ايها الوزير ذو الصفات الملائكية. يا حاتم زمانك، ليحفظ الله مقامكم.. انتم مكرمون

المدعو -عبدالملك- إذا أجبرتني فاستطيع أن أتحمّل بعض أولئك  
النكدين لكن عبدالملك عديم الحياء وجبانٌ جداً لا يستطيع أن  
تحمله بأي شكل كان. وأتمنى ان لا تقصد ذلك..

جعفر: (بابتسامه) هو نفسه.

هارون: (بانزعاج) آه.. يا لهذا الوسخ.. هذا الطويل اللسان والعفن يجب  
أن يرمى به في المزبلة.. هذا المتسول أبداً.. يستجدي حتى من  
المتسولين.. بالتأكيد انه جاءك لتعطيه بعض المال ديناً، أحذرک أن  
تدينه. ذلك الحقيير لا يؤجل إعادة الدين فحسب. إنه لا يفي  
بالديون البتة.

جعفر: (بابتسامه) مولاً...

هارون: (يقاطعه) ماعدا زوجاته وجورايه، هناك أرملة كانت زوجة أحد  
أحبّ أصدقائه كان يدعي أنه صديقه الحميم. لكن مات صديقه  
الشاب في ظروف غامضة.

جعفر: مولاي. كان يقول.. إن الخليفة.

هارون: (يقاطعه) الخليفة عديم اللطف.. أليس كذلك. ألم يقل هذا؟  
لا يعقل أنك وعدته أن تعطيه المال. احلفك بروح والدك وروح أم  
فضل أخيك التي أرضعتني من ثدييها.. لا يعقل أنك وقعت تحت  
تأثير ذلك الرجل العديم الحياء والسليط اللسان؟

جعفر: (بابتسامه) مولاي.. ماذا أقول.. الحقيقة أريد أن تفعلوا له شيئاً.

هارون: يبدو أنك تريد أن أمنحه ألف درهم؟

جعفر: لا.. يا مولاي كان يطلب أن تسامحوه.

هارون: (من دون اكتراث) سامحته.

جعفر: أتمنى أن يشمله لطفكم وعنايتكم.

## المشهد الرابع

(قصر الخلافة.. غرفة الخليفة.. هارون وجعفر)

جعفر: مولاي. التقارير التي قرأتها لك. كانت كلها تقارير اليوم.  
هارون: فهمت.. لم يبق الكثير لكي تكتمل أعمالنا.. سنتناول غداً  
مع الضيوف.

جعفر: حسناً. مولاي.. استأذنكم. هناك حديث أود أن أعرضه.

هارون: تفضلوا.

جعفر: أحد أقربائك. الذي تخرص على مقامكم في السابق. جاءني ليلاً  
كان يطلب لطفكم وعنايتكم.

هارون: (بانزعاج) سئمت من مثل أولئك الأقرباء الكسالى والبطالة  
الطفيليين. عندما أسمع أسماءهم أشعر بالغثيان وأكاد أتقيأ.  
ألعنهم، إذا كان طلب المغفرة والعفو. أسامحه لأجلك. لكن إذا  
كان طلب المنصب والنقود سأشبع كلاب بغداد السائبة به، سأكسو  
الأوغاد، ولست مستعداً أن اعطي درهماً لأولئك الأقرباء ولا أسند  
اليهم حتى اعمال الخدم.

جعفر: سيدي.. اقبلوا رجائي وليشمل لطفكم وعنايتكم هذا الشخص.

هارون: (يهز رأسه ويعبر عن عدم موافقته) اقربائي، ولاسيما، أبناء  
أعمامي وأبناء أحوالي وأبناء عماتي عديمو الوفاء، غشاشون،  
منتهزوا فرص، سفلة محتقرون. لبقو اللسان، زمنيون، ذئاب  
جائعة، وبين هؤلاء المحققرين لا يضاهاه أحدهم في الندالة ابن عمي

هارون: (بغضب) هاهو تكرم عليه بتديينه بألف درهم. اعرف انه لن يفني بهذا الدين لكن لاتتهم نعتيره وقد أكله الكلب.

جعفر: لكن.. مولد..

هارون: (يقاطعه) حسن جداً نضعه تحت عنايتنا، إذا وقف في قارعة الطريق وألقى التحية سنرد على تحيته.

جعفر: مولاي.. لقد وعدته.. معكم وعلى مائدة واحدة.

هارون: (يقاطعه بغضب) أنت تطلب مطالب عجيبة ومستحيلة، انا على استعداد أن أتناول الطعام مع أكثر حثالات بغداد حقارة، لكن لن أستطيع أن أجلس مع ذلك اللعين، لا أريد أن أراه، لن أخفي عنك. أبحث منذ مدة عن حجة لأعتقله وأسلمه إلى مسرور.

جعفر: (باندهاش) مسرور؟

هارون: (ببرودة) نعم مسرور.

جعفر: أنا أعرف قلبكم ودخيلتكم.. أنا متأكد سوف تلقونه.

هارون: (بعجالة) ماذا طلب منك؟ قل لي بسرعة.. لا يعقل أنك وعدته..

جعفر: أعذرنى.. فقد تجاوزت حدودي وأعطيته بعض الوعود، حين أعطيته تلك الوعود.. كنت مطمئنا أنكم سوف..

هارون: نحن ماذا.. تريد أن تقول سننفذها كموظف.

جعفر: مولاي.. أعرف حدي ولن اتخرص.. كنت مطمئنا أن أمير المؤمنين لن يكسر.

هارون: (باشمئزاز) نعم لن يرد كلامك.. إذا فعلت هذا. فلست بأمير المؤمنين. بل أمير المنافقين والانتهازيين والمتسولين.. قل لي: أنت متأكد من ماذا؟

جعفر: (بجد) متأكد كثيرا أن صديقي هارون.. سيقبل رجائي.

هارون: (برقة) تحيرت من أسلوب مناقشاتك. أنت تعرف جيدا أن أقربائي من نوع الناس الذين اذا اعطيتهم جميع أموال و ثروات الإسلام لن يشبعوا.. أما هذا فليس أنه لا يشبع حسب. بل إذا أدخلت يدي معسولة في فيه فإنه سيعض أصابعي. إنه مخادع عجيب. ظاهره شيء وباطنه شيء آخر.. يتظاهر بالتزهد.. أعني لا يشرب الخمر ولا يرقص مع الجواري. لكن أعرف ما لديه من الدور والقصور ومحطات القوافل (النزل) واشترى بقدرها من الأراضي والبساتين؟. الا أنه مع ذلك يستمر في التوسلات (يقلد صوت عبدالمالك) معدم.. معدم.

جعفر: (ضاحكا) في الليلة البارحة شرب ضعفي، كان يرقص مع الجواري الراقصات ويغني مع المغنين.

هارون: (يضحك كثيرا يكاد يسقط على ظهره) قل لي ماذا أعطيته، يا صاحبي رحب الصدر والنزيه والمعطاء الباسل. شكراً لله العظيم.. لقد أسعدني إذ منحني ذكيا مثلك.

جعفر: وعدته أنكم ستعفون عنه.

هارون: ها.. قد عفوت عنه.

جعفر: كان يقول بأنه قلق مهموم، لأن الخليفة غير بشوش معه وينظر اليه بعين الشك.

هارون: لن أنظر إليه فيما بعد بعين الريبة.. بل لا أنظر إليه أصلا..

جعفر: قلت له: ان جميع خطاياك من لسانك الطويل، وقلت له إن الخليفة سيصفح عن صفاقتك.

هارون: ها أناذا.. وقد عفوت عنه للمرة الثانية والثالثة، قل لي بسرعة، ماذا كان يريد ابن العاهرة؟

جعفر: كان لدينا بعشرة آلاف دينار، أراد أن أساعده، لكي يسدد ذلك الدين.

هارون: ألم أقل لك: ان هذا لا يعيد الديون؟

جعفر: كان يقول إذا لم أسدد هذا الدين سأموت كمدا.

هارون: ليمنت.. وماذا يهمنا؟

جعفر: دفعت له عشرة آلاف دينار من حسابي.

هارون: عشرة آلاف!!

جعفر: وعشرة آلاف من مال الخليفة.

هارون: (يثب ويأخذ بتلابيب جعفر) عشرة آلاف، عشرة آلاف دينار،

عشرة آلاف دينار مني؟ هل أنت مجنون؟ من لديه ذرة من العقل.

هل يفعل هذا؟ كيف تمد يدك إلى نقودي.. عشرة آلاف، عشرة

آلاف، عشرة آلاف دينار.. لكن ألم تكفه عشرة آلاف؟ (يسحب

يده عن تلابيبه).

جعفر: مولاي. لاتنس صلة الرحم. كان ينوي أن يطلب إحدى بنات الخليفة

المرحوم شقيقكم (الهادي) لولده.

هارون: حتماً.. وافقت على أن تعطي إحدى بنات شقيقي المأسوف على

شبابه الحسان. لابن العاهرة. الجاهل والغبي؟

جعفر: لا مولاي.. لم أوافق.

هارون: (يحتضنه) احسنت، اعرف أنك تستخدم العقل والوعي في

الأوقات الدقيقة جداً ولا تقبل بعض التجاوزات (يقبله).

جعفر: (ببرودة) لكن أنجزت عملاً أفضل.

هارون: اعرف.. حتما طردته وقلت له: مُدِّ رجلِك على قدر بساطك

المتهريء. بالتأكيد غضبت منه ونهرته.. أحسنت يا جعفر (يقبله)

قل لي ماهو ذلك العمل الجيد.. هيا قل..

جعفر: فقد أعطيت يد (غالية) كريمتكم الحبيبة إلى ابراهيم بن عبدالمملك

ابن عمك.

هارون: (بدهشة) ماذا؟

جعفر: قلت له: افرض أنك جئت تطلب يدها.

هارون: ماذا..؟

جعفر: ماذا هو الخليفة قد وافق!

هارون: ماذا..؟

جعفر: سيجري عقد القران ليلة غد.

هارون: ماذا؟

جعفر: وبعد الغد سيعقد النكاح ويهياً الزفاف.

هارون: (يزأر) هذا لايجوز مطلقاً.. مستحيل.. لا يجوز هذا ابداً، ابنتي

المدللة وفلذة كبدي تصبح زوجة ذلك الأحمق عديم اللياقة، كلفته

بأي عمل في أي مكان لم اجد منه سوى السرقة. جعفر تكاد تفقد

رشدك أيضاً كيف توافق على تزويج (غالية)؟ بلغ عمرها اثني

عشر عاماً توأماً..

جعفر: مولاي.. إنها عنفوان موسم زواجها.

هارون: لا تخرف.

جعفر: مولاي.. من وصايا النبي (بنت الثمان علي الضمان).

هارون: (يزأر) جعفر!

جعفر: مولاي.. إنها أكبر من السيدة (عائشة) بأربع سنوات..

هارون: كفاك هراءً (عائشة) تزوجت النبي في التاسعة من عمرها.

جعفر: (غالية) تتزوج ابراهيم وهي في الثانية عشرة.

هارون: هو كان نبياً ورسول الله، ومنقذ الانسان وأنقذهم من الجهالة.

جعفر: وهذا من أحفاده.

هارون: جعفر.. أحذر..!

جعفر: (يوجه الحديث باتجاه ارادته)، اصبح إبراهيم عاقلاً، يريد أن يضحى بحياته في سبيل الخليفة.

هارون: (معانبا) كيف، تعده بدلا مني، من اذن لك بالتدخل في شؤون بيتي؟

جعفر: (كمنتصر) والمال اللازم لشراء الملابس والحلي، والبيت ومراسيم الزواج أخرجته من خزينته والدي.. وبالتأكيد أن الخليفة العظيم سوف يكمل الجهاز اللازم والهدايا اللاتقة والمجوهرات وأثاث البيت وذلك لأجل الحفاظ على كبرياء ابنتكم العزيرة.

هارون: اللعنة على عبدالملك، إنه ذنبي، إذ أدعك تبقى في البيت ليلا. حتى يزورك مثل هؤلاء المتسولين، وأنت تعدهم بتلبية طلباتهم في حالة السكر. حسنا.. ألم يرد ابن عمي ذاك شيئا آخر؟ ألم يطالب بكرسي الخلافة؟ لماذا لم تشجعه لكي يدعي النبوة؟ هذا الأحمق الغبي.. يعتقد لأنه ابن عم الخليفة. يجب أن يكون لديه مثل الخليفة. قصر الحريم، وينشغل باللهو والشرب، إنه ذنبي، منذ الليلة ليس لك الحق أن تبقى وحدك في البيت وتشرب. يجب أن تحضر جميع الليالي في مجالسي الليلية، هل فهمت؟ قل لي كيف تستطيع أن تشرب وحدك في الليل، انا.. عندما اكون وحيدا يداهمني القلق، أخاف الوحدة كثيرا.. قل لي.. ماذا كان يريد الإبن غير الصالح هذا. بعد ذلك؟

جعفر: نعم مولاي: كان يريد شيئا ورغبتني كذلك ايضاً. كان يرجو أن يمنح لصهر الخليفة الشهم عمل ومقام.

هارون: اجعله حارسا للقصر.. لا.. لا.. لا يستطيع الحراسة.. ينام أثناءها، اجعله بستانيا.. اعتقد أنه لا يستطيع إنجاز ذلك ايضاً.. ليكن بوابا.

جعفر: هذا العمل لا يليق بمقام صهر الخليفة. انا عينته والياً على مدينة فسطاط عندما يظهر الكفاءة سنسند إليه ولاية مصر، ونضع فوجا من الجيش في خدمته.

هارون: لا يستطيع إنجاز ذلك. إنه حماري وأعرفه جيدا.

جعفر: مولاي هذا ليس من أجله.. بل من أجلكم انتم.

هارون: (كمن اضطر) حسنا.. أجبرتني أن أنفذ وعودك التي بذلتها لابن عمي المرابي الأحمق. غير أنني أحلفك أن لاتزوج بناتي الأخريات من دون علمي.. في الأقل قبل أن تعدهم. استتشيروني (بابتسامه) لن تذهب الليلة الى أي مكان. أخي ابراهيم وضع لحنا جديدا سيأتي إلي مع جاريتيه ذاتي الصوتين الحلوين.. أنا وأنت وعباسة شقيقتي نكون معاً هذه الليلة.

جعفر: تأمر مولاي.

هارون: اين نكون؟

جعفر: في قصركم.

هارون: أحسنت. سنكون في ذلك المكان حيث لا تستطيع أن تزوج بنات الناس وتعطي خزينته الخليفة للأندال.

جعفر: (يضحك) أخي هارون وحده يستطيع أن يكون هارون الرشيد.. ومهمات الخلافة ليست هيئة ميسورة.. امرك.

\*\*\*



## الفصل الرابع

ترفع صوتك عليه مرة أخرى (فجأة).. اتعرف ماذا ينوي الخليفة؟

الكسائي: مولاتي من أي وجه؟

زبيدة: بالنسبة لولاية العهد.

الكسائي: لا علم لي بذلك!.

زبيدة: لاتكن غيبيا.

الكسائي: بسبب إلقاء الدروس لم أعد مطلعاً على أحوال الدنيا، وأرى الناس قليلاً، ومنذ أن أدرس الأمين والمأمون اسكنني الخليفة في القصر، وأمن لي كل شيء بشرط أن أعلم ولدي الخليفة العلم.

زبيدة: (بغضب) يا جاهل.. جاهل مثلك يعلم ولد الخليفة العلم؟

الكسائي: مولاتي.

زبيدة: (تقاطععه) حيوان.. تقول إن الأمين والمأمون هما ولدا الخليفة؟.. كلا.. (المأمون) جزء منه منا والجزء الآخر من العاهرة.. يجري دم آخر غير أصيل في عروقه..

الكسائي: مولاتي!..!

زبيدة: يجب أن تعرف جيداً أن دماً عربياً قريشياً خالصاً يجري في عروق

الأمين.. انه ابني.. انا زبيدة العربية القريشية من احفاد النبي..

(صمت) هل تعرف ابن من هو؟ انه ابن جارية فارسية سمراء

قبيحة.. مرة.. كانوا ينادونها (مراجل) ومرة أخرى ينادونها

(مرجانة). لقد خلقها الله لكي تعيش في المطابخ وتموت هناك..

(تلفتت إلى خالصة) كيف ماتت هناك.

خالصة: مولاتي بأمركم.

زبيدة: (للكسائي) هل اطلعت على أوامرنا؟

الكسائي: نعم مولاتي.

## المشهد الأول

(قصر زبيدة الخاص.. زبيدة، خالصة، الكسائي).

زبيدة: (عابسة) قال هارون هذه الليلة: اختبرت الأمين والمأمون فكان المأمون ذكياً جداً في دروسه. سألته عشرة أسئلة واجاب عنها جميعاً. وسألت الأمين أيضاً عشرة أسئلة. فأجاب عن سؤال واحد فقط.. وكان السؤال ما اسمك.. كان حسناً أن عرف اسمه (صمت) من هذا يظهر أنكم تدرسون ابن العاهرة ذاك بشكل دقيق (المأمون) ابن العاهرة.. (صمت). مامعنى أن يسأل ولدي الأمين عشرة أسئلة ويجيب عن سؤال واحد! ولو سئل أي غبي أو أمي ذلك السؤال لعرف جوابه (صمت) عندما ماتت امه الجارية ربيته خمس سنوات.. والآن هو أذكى من ولدي. ويقولون انه أعقل منه أيضاً.

الكسائي: أنا أدرسهما في آن واحد، ويستمعان معاً في آن واحد.

زبيدة: أتعرف ما هو قصدي؟

الكسائي: (يتغابي) بالأمس تعبت كثيراً مع الأمين إذ تحدثت معه بصوت عال. فأجهش بالبكاء وترك الدرس وغادر.

زبيدة: انا لست كنتودا.. فقد وضعت خدماتك الكبيرة نصب عيني. والآن

كنت تعرف ماذا كان عقابي لك بسبب تلك الإساءة بحق ولدي

(الأمين) إذا أبكىته، وإلى أي مكان كنت سارسلك.. لكن لكثرة

ماخدمتني ساغض الطرف عن إساءتك هذه. (صمت) احذرك ان

زبيدة: (دون اكتراث) لدي عمل كثير.. اترك فترة، ستفهمك خالصة لماذا طلبتك، ولماذا لست راضية عنك (تغادر).

الكسائي: (لخالصة) لا يجوز غض الطرف عن قلة تربيته العلمية، لقد سمح لي والده العظيم والمبجل اذا لم يصغ إلى دروسه بدقة، ان أوبخه واغضب منه.

خالصة: (ببرودة) المسألة ليست هذه.

الكسائي: (بغباوة) أعطاني أمير المؤمنين الأمر بأن أكون شديدا معه لكي يحفظ دروسه بشكل افضل.

خالصة: قلت لك المسألة ليست هذه.

الكسائي: وما هي إذاً؟

خالصة: عجبا! تشتهر بين الناس بأنك عالم، لكنك لا تفهم هذه المسألة.

الكسائي: أية مسألة؟

خالصة: ألم تعرف. أنها كانت تثن عدة سنوات بين حيل وخداع الذين كانوا حولها؟.. ألم تعرف انها لم يهدأ لها بال في الليل والنهار قط؟.

الكسائي: بلى.. كنت اعرف.

خالصة: وهل نسيت أي عهد قطعته لها امامي؟

الكسائي: لقد نفذت وعدي.

خالصة: صحيح.. نفذت المرحلة الأولى منه، وبقيت المراحل المهمة.

الكسائي: المهم. أزعنا ذلك العائق عن طريقها. انا نفذت وعدي.

خالصة: ازاحة ذلك العائق كانت الخطوة الأولى لتنفيذ الهدف الرئيس.

وان زبيدة تشعر بأنك مهمل.. وتعتقد ايضا أنك تتنصل عنها.

الكسائي: (ينتبه عن ماذا يتحدثان) أنا أريد وأحاول أن يصبح (الأمين)

وليا للعهد. لكن يجب على ولي العهد أن يتمتع باللياقة ويتعلم ويعرف..

خالصة: اذا كيف تغضب من ولي العهد، سيصبح خليفة غدا. وهل يمكن ان يصبح خليفة وحاكما.. وكنت فظاً معه في حينه. أم أنت مطمئن أنه لن يصبح وليا للعهد.. فتتصرف معه هكذا؟ أنت لست غيبيا ألا تعرف ماذا فعل والده مع عمر؟ (صمت) وماذا فعل به في اليوم الأول من خلافته (فجأة) من حق السيدة زبيدة ان تشكك فيك (الكسائي يتملكه الخوف) انها لم تزل صابرة ورحبة الصدر، وهي لم تنس حسناتك لقد أحسنت اليها قبل سبع سنوات وهي بأعينها.. والا

الكسائي: أرجوك لاتذكريني بها، عندما اتذكر تلك الليلة اتقزز من نفسي.

خالصة: لماذا؟

الكسائي: أنا رجل عالم ومالي وتلك المؤامرة؟

خالصة: (تضحك) ولا علاقة لك بها؟ وتسلمت حقك ضعفين، عندما أعددت الخطة. وعدت زبيدة بأن تمنحك خمسة آلاف دينار هل كان كذلك؟

الكسائي: بلى.. وكنت معنا ايضا.

خالصة: عندما نفذت الخطة اعطتك عشرة آلاف دينار وقالت لك: لن انسى جميلك هذا مادمت حية.. إذ أرسلت أكبر عائق على طريقنا. انا وابني (الأمين) الى الجحيم، وسممت لي (خيزران) والدة الخليفة!

الكسائي: (ينظر حواليه) اللعنة على تلك النقود، واللعنة على الطمع.

لقد دفعاني.. أية جريمة اقترفت؟

خالصة: لم يكن الطمع فقط.

الكسائي: وماذا؟

خالصة: حسد العلماء. الحسد الذي بينكم، كان لحسدك الدور الرئيس لقد لاحظت السيدة زبيدة ذلك الحسد فيك، فالقت لك المصيدة وكشفت لك مكنون قلبها. فوضعت لها الخطة الشيطانية ونفذتها أيضا كعالم، والآن يعلم الله ونعلم انا وانت والسيدة (زبيدة) فقط. بأي سم وفي أي مكان أزهدت روح (خيزران) والدة الخليفة. الكسائي: خيزران. لأنها لم تكن عربية كانت تكره العلماء العرب. ولكي تظهر نفسها كعالمة. فقد دأبت -في المدة الأخيرة- في تهئية المجالس للعلماء. كانت تجمع حول نفسها الفرس. وتهيننا أمام أعينهم. خيزرا.. ن.

خالصة: السيدة زبيدة. هيت لمساعدتك وأنقذتك!

الكسائي: انقذنا كلانا. هي من العائق وانا من شخص كان يغرز في عيني مثل الشوك دائما.

خالصة: وبارتياحكما.. ارتبك (يحيى) وأولاده حتى الآن. ولم يفارقهم ذلك الارتباك منذ سبع سنوات.. ومن ذلك اليوم تنحدر أمورهم نحو الأسوأ. لكنهم صعب المراس، ويثقون بأنفسهم كثيرا، وعُندُ يحاولون بكل الأساليب أن يجعلوا من (المأمون) الأبن الأكبر للخليفة ولياً للعهد.

الكسائي: أنهم مافتشوا ذوي نفوذ، واصحاب مال، وينجزون كل عمل بالمال.

خالصة: (تغمز له) تعتقد السيدة زبيدة اذا ساعدتها فإنهم لن يستطيعوا عمل أي شيء.

الكسائي: أقول سأحاول.

خالصة: ان السيدة زبيدة لن يطمئن قلبها بهذا الكلام.

الكسائي: لماذا؟

خالصة: هنالك بعض الاشياء الخاصة في حياة زبيدة. انت لاتعرفها. وأقضت مضجعها. لو عرفتها لما قلت سأحاول. بل وعدتها يقينا وساعدتها حتى النخاع.

الكسائي: ماهي تلك الأشياء؟

خالصة: أتحب أن تعرفها.

الكسائي: إذا لم تكن سرية جدا.

خالصة: أتعجب أن تتكلم بهذا الشكل وتقول: إذا لم تكن سرية جدا.. إذا أراكم. أنتم العلماء تبحثون وراء الأسرار الصغيرة والتافهة لبعضكم البعض. شأن النسوة يجيبين معرفة أسرار بعضهن البعض. الكسائي: انت على حق.. كانت زلة اللسان.. قولي لي كيف تعرفين أننا نبحث عن أسرار بعضنا البعض؟!

خالصة: تجلسون في مجلس الخليفة وتحدثون فيما بينكم، وتظهرون انفسكم امامه محترمين واصحاب وقار.. ولا تعرفون أننا نرى ونسمع من خلف الستار. أنتم العلماء عندما تكونون في حضرة الخليفة شيء، وعندما تكونون وحدكم مع خليفة فانتم أشياء أخرى.

الكسائي: ماذا نحن؟ خالصة: جواسيس وكتاب تقارير.. لاتحبون حسنات وعلم غيركم ولا تنفتح عيونكم عليها.

الكسائي: وفي هذا أنت ايضا على حق. اريد أن تتحدثي لي عن الشيء الذي يزعج السيدة زبيدة.

خالصة: لا يمكن الحديث عنه، لكن أستطيع أن أمثل الحالة..

الكسائي: بالتمثيل؟

خالصة: نعم.. (تذهب وتجلب وسادة وتضعها في حضنها.. تتمدد على ظهرها. ثم تضع الوسادة على ذراعها كالرضيع، بصوت عال (تعالين..) تدخل أربع نسوة متدثرات بملابس بيضاء يقفن حول خالصة، كأنهن لا يرين الكسائي).

المرأة (١): (تقف قبالة الوسادة التي على ذراع خالصة، بنغمة) هذه المرأة العربية تعيسة. رغم جمالها النادر. لكنها اتعس نساء الدنيا جعلت من حياتها جحيما، توهج يوميا نار الضغينة التي في دخيلتها لا تعرف أنه دون جدوى.. وما نتحدث عنه هو المصير.. ولم يتغير هذا المصير القدر. لا بالبكاء ولا بالتمائم.. لا بالمؤامرات ولا بالدماء، ولا بأي شيء آخر.

المرأة (٢): (تدور حول خالصة راقصة) هذه المرأة التعيسة هي والدة هذا الملك هذا الملك القصير العمر.. هذا الملك قصير العمر، عديم الصبر هذا الملك مختال حامل، ومترع بالخطايا، ومكار، نهم، ثمل، لوطي. عطشان للدماء مثل آبائه وأجداده. هذا الملك قصير العمر..

المرأة (٣): (تغير نمط النغمة والرقصة) إنه وارث نفس مرض آبائه وأجداده.. من يخدمه يقتله.. هذا الملك إنه عدة أشخاص في وقت واحد: قاتل، معطاء، غاضب، ابله، هاديء.

المرأة (٤): (بايقاع أسرع). هذا الملك همه الوحيد الخمر والغلمان. لا يتعلم شيئا.. عمره قصير. (النسوة الأربع حول خالصة) يضعن الأيدي على أكتاف بعضهن البعض ويقفن معا). هذا الملك.. هذا الملك. (في تلك الأثناء يسمع صوت اجش، وصاحب الصوت

مقنع، وفي يديه رمحان، يضربهما بعضهما ببعض.. وقتزج قرقرتهما مع صوته) تكذبن. (تهرب النسوة الأربع مسرعات، ينحني الشخص المقنع على الوسادة، ويقول بصوت أبح) يا سيدة زبيدة، يا سيدة السيدات إذا كنت نائمة فاستيقظي وإذا كنت مستيقظة فكوني واعية.. هذه النسوة الأربع كاذبات. يردن (يضع رأس أحد الرمحين على موضع قلب خالصة) أنت وهذا الملك (يضع رأس الرمح الآخر فوق الوسادة). أن تبقي حيين.. لكن ألا تتحركا وتكونا ميتين تأكلان وتنامان.. يردن أن تكونا ميتين وتتنفسا هواء الخوف فقط.. وتزفران الخوف. (يزأر) زبيدة.. سيدة السيدات.. انهضي. إلحقي.. (يختفي صاحب الصوت المقنع. تنهض خالصة مرتكبة وخائفة.. تصرخ، تدخل زبيدة مع بضع جوار مسرعات).

زبيدة: (تهز خالصة بشدة) ماذا هناك؟

خالصة: (ترتجف شفاتها) إنه الحلم.

زبيدة: (خائفة) هل كن متدثرات بالبياض؟

خالصة: نعم.

زبيدة: وصاحب الصوت الأجش. ألم ينزع القناع عن وجهه؟

خالصة: لا.

زبيدة: (تلتفت إلى الكسائي) هل رأيت شيئا؟

الكسائي: أجل..

زبيدة: تعنى انك عالم إلى درجة بحيث لو يحلم شخص ولا يروي لك

حلمه. تعرف ماذا رأى.

الكسائي: كانت خالصة تحلم.. وانا رأيت الواقع.

زبيدة: أسمعت أحاديثهن؟

الكسائي: اجل..

زبيدة: وصل علمك حدّاً ترى أحلام الآخرين وتسمع أحاديث الحلم، لذا أطلب من علمك وفراستك ان تُعلّم ولدي الأمين بلطف، أريد ان تكون ذلك الشخص الذي يكذب تكهّنات النسوة الاربع المتدثرات بالبياض، هؤلاء النسوة الاربع منذ سنوات ومنذ أن ماتت أم المأمون المقبورة، ما أن اغمض عيني هنيهة حتى يظهرن، ووصل الامر حدّاً إن جميع الجوّاري في هذا القصر يرين نفس هذا الحلم.

الكسائي: أعرف ماذا تريدن.

زبيدة: (في يدها كيسان كبيران مليئان بالذهب ترميهما الى الأعلى وتلتقطهما، وعينا الكساني عليهما)، أريد ان تفعل بهارون ما فعلته به (سيبويه).

الكسائي: (ينكس رأسه).

خالصة: جاء اليك والى سيبويه بعض العرب يسألونكما حول اللغة العربية (هل لدغ العقرب أشد من لسع الزنبور) اذا رأينا هذه الجملة فماذا نقول، قلت يجب ان تقولوا (فاذا هو هي) وقال سيبويه: كلا يجب ان تقولوا (فاذا هو إياها) وحدث السجال بينكما وعلمت ان سيبويه كان على حقّ، فقد اجرت بعض العرب البدو بواسطة المال حتى يكذبوا من اجلك ويقولوا (فاذا هو هي)، وسأل علماء اللغة اولئك البدو فأجاب البدو العملاء (هكذا قالت العرب)

زبيدة: اتعرف بأن سيبويه توارى عن الانظار بسببك؟

الكسائي: اجل أنا نادم.

زبيدة: كلا، لا تندم.. اريد ان تفعل لي نفس الشيء ومع هارون (تلقي له بأحد الكيسين) هذا للعلماء الذين تختارهم ( تلقي له الكيس الاخر) وهذا لك.

الكسائي: (يتناول الكيسين بأبتسامه) قد تبت.

زبيدة: تب بعد عملك هذا، لأقلّ لك ممّ ستبدأون، ثم أنت عالم وتعرف كيف تخادعه.

الكسائي: من ماذا نبدا؟

زبيدة: أخوا على هذه الآية.

الكسائي: أية آية؟

زبيدة: (كنتم خير امة اخرجت للناس)، الأمين قريشي والمأمون هجين اذاً تعرف عملك وابدأ منذ اليوم.

الكسائي: (يحرك رأسه) العمل ليس سهلاً إلى هذه الدرجة، أخاف ان يظهر لنا (بشار) ما ويهدم ما بنيناه.

زبيدة: لا افهم قصدك.

خالصة: مولاتي.. بشار بن البرد كان شاعراً فارسياً اعمى وكان يكتب بالعربية، كان هجاءً.. ذهب الناس الى والده ليشتكوا منه وذهب الوالد الى ولده الشاعر وقال له: انت فضحتنا لماذا تهجو، أجابه بشار قل لهم: (ليس على الأعمى حرج).

زبيدة: (منزعجة) سأجعله لك عشرة اكياس اخرى كلا عشرين، ثلاثين، سوف اعطيك ثلاثين كيساً آخر على ان تجعل أولئك البرامكة خرقاً بالية امام هارون.

اغلب الليالي ابراهيم أخو هارون وجاريتاه، وأنا وهارون وأخته  
عباسة نكون معاً.

يحيى: أحذرك. وكما قلت لك سابقاً أن تضع مسافة بينك وبين هارون،  
لكنك إضافةً إلى عدم ابقائك المسافة فحسب تجاوزت الحدود  
أيضاً.

جعفر: لا أخفي عليك لقد جذبتني إليها بحيث لم يبق للوعي في رأسي  
مكان، عصر هذا اليوم في ميدان الكرة والصولجان، قد أدهش  
فارس مقنع جميع الموجودين هناك، حتى انه خطف الكرة مني ولم  
استطع استعادتها منه، كان الخليفة وكبار رجال الدولة منهمكين  
في المشاهدة، فوصل الفارس إلى الخليفة، ورفع الفتاع عن وجهه،  
وارتفع التصفيق بدرجة لا يزال يرن صده في أذني، احتفى به  
هارون.. يا ابي (عباسة) أية فارسة فرسان كانت؟

يحيى: استطعت أن تحقق رغبات (هارون) ها قد حولت بغداد إلى جنة،  
وقصر حريمه لا يقل عن قصر حريم خسرو پرويز من ناحية الجمال  
وعدد الجواري، لا تعمل ما يشير غضبه، أني أشعر بأنه قد تغير.

جعفر: كيف؟

يحيى: لم يبق مثل السابق.

جعفر: كيف يبدو ذلك؟

يحيى: عندما كان شابا كان بليدا في عالم السياسة وكانت امور الدولة  
بين يدي- أعني أنا وأنتم أولادي- كان ما في قلبه وعلى لسانه  
شيئا واحدا. لم يكن يستطيع ان يخفي شيئا في أعماقه. إذا أحب  
شخصا يقول له. وإذا كره أحداً كان يظهر له ذلك، وكنت سميته  
في سري (المراهق السياسي) كان كتاباً مفتوحاً. وكان باستطاعة

## المشهد الثاني

(منزل جعفر. جعفر ووالده يحيى)

يحيى: (كأنهما مشغولان منذ مدة بموضوع ما) أقول إنك لاتعرفهم  
مثلي.. إنهم شي آخر..

جعفر: صحيح يا ابي، ليس لي التجربة والمعرفة بأمر الدنيا مثلكم،  
لكني بقدر ما يناسب نفسي أعرف ان أفصل بين الأشياء وأميز  
الالوان..

يحيى: تستطيع ان تفعل هذا مع أناس عاديين، لكن هؤلاء ليسوا  
بعاديين، أعرفهم أباً عن جد، يتصرفون حسب مزاجهم، هذا اولاً،  
وثانياً.. إنها أكبر من أخيها هارون بسبع سنوات.

جعفر: (بنفاد الصبر) أعرف يا أبي، وأعرف أيضاً أنها أرسلت ثلاثة من  
ازواجها الى المقبرة ولا أستبعد أن يكون بينهم من مات مسموماً.

يحيى: (بهدهوء) تعرف هذه أيضاً أن للسم أي دور في قصور الدولة، كان  
عمرها خمس عشرة سنة عندما تزوجت، ومات زوجها الاول في  
وقت مبكر ثم تزوجت للمرة الثانية ولقي زوجها الثاني نفس  
المصير.

جعفر: وزوجها الثالث!

يحيى: نعم.. أنا معك أن لها جمالاً فريداً وهي تملك إرادة قوية.

جعفر: هارون يحبها كثيراً، ولا يقر له قرار دون أخته هذه.. وكانت في  
كثير من الليالي تشاركنا في الحفلات وتتكلم من دون مبالاة في

المحيطين به أن يحددوا فيه بسهولة نقاط قوته وضعفه، حتى ان كبار رجال السياسة قبل أن يذهبوا اليه كانوا يسألون خدم واعوان هارون: كيف حال الخليفة اليوم؟ حتى اولئك الخدم كانوا يفهمون مثل تلك الأسئلة ويجيبون: اليوم على مايرام.. انه يضحك، لكن أحس الآن بأنه أتقن هذا العلم جيداً، لقد أطلق أول أمس سراح عدد من العلويين وأحضرهم الى مقامه. وأعطى كل واحد منهم ألف دينار هدية وأعطاهم الدواب وأدلاء الطرق. وقال لهم: انتم في بغداد لكم اعداء كثيرون. واستحسن أن تذهبوا الى المدينة، وفي كل شهر سوف أرسل لكل واحد منكم بألف دينار.. فأبهج العلويين كثيراً.. وبعدهما ودعمهم استدعى احد قادة الجيش وقال له: هذه الليلة.. انصب لهم كميناً واقتلهم جميعاً.

جعفر: أنا أيضاً أشعر أن هناك بعض الأشياء لا يحب أن أطلع عليها، ويخفي عني بعض الأمور.

يحيى: عندما كنت منهمكاً بمدينة بغداد، كان هو منشغلاً بأمر آخر.. بغداد الآن أكبر عواصم الدنيا، وأكثر مدن الخلافة العباسية ازدهاراً بالسكان. وقدر ما عملت على تعظيم بغداد قام اعداؤنا بزرع الريبة ضدنا بقدر سعة بغداد داخل قصر الخلافة.

جعفر: يا أباي أنت سيء الظن جداً.. تملكون أية أدلة؟

يحيى: أجل. في السابق كانت كل صغيرة وكبيرة للدولة بين ايدي هارون وأنا وانت، والجواسيس قبل أن يرسلوا بالتقارير إلى الخليفة كانوا يأتون بها إلينا. لكن الآن تصدر بعض القرارات المهمة ونسمعها من هذا او ذاك، لذلك أرجو أن تكون حذراً، وثمة شيء آخر، أنا مطمئن أنك تعرفه، لكن أحبذ أن أذكرك به.

جعفر: تفضل.

يحيى: صحيح.. هناك بعض المناصب والقرارات غير المكتوبة، لكنها أخذت بجذ وتراقب بدقة. من بين تلك القرارات غير المكتوبة يجب ان تعرف أن عباسة أميرة، وامرأة من عائلة الخلافة التي تدعي سمو نسبها إلى النبي، لايجوز أن تتزوج أميرة من الموالي.. ان العرب العنصريين لا يسمحون لهارون أن تصبح أخته زوجة لأحد من الموالين.

جعفر: لست عدا ولا ابن عبيد.. أسر المسلمون جدنا ثم استعاد حرته. تقصد أنهم إلى الآن يحسبون لنا حساب الموالي؟!

يحيى: نعم.. هارون لا يريد أن يستصغر أمام أعين العرب ويطعنوه ويقولوا له مزج الدم العربي مع دم الموالي.

جعفر: هارون نفسه دمه مختلط.

يحيى: يجوز لهم ما لايجوز لغيرهم.

جعفر: أتعجب.. امرأة مات زوجها.. وأي حرج في أن أتزوجها، هل يمنع الدين الإسلامي ذلك؟

يحيى: لا تتحدث عن الدين.. الدين لهم شيء وللآخرين شيء آخر، يتلاعبون بهذا الدين من الأعلى إلى الأسفل حسب مشيئتهم، أو بالأحرى. أنهم لطحوا قدسية هذا الدين.. جعلوا من سواد الناس دواباً حملوها بالدين.. استغفر الله. أنهم امتطوا الدين أيضاً، لذلك لا تتحدث عن الدين. هذا من جانب ومن جانب آخر إذا سمع هارون هذا سيبغضك، ولا استعبد ان يصدر قرار قتلك.

جعفر: (يحرك راسه).

يحيى: لا أستطيع أن أقنع نفسي أن يدعونا نعيش بهدوء.



جعفر: من؟

يحيى: اعداؤنا. أولئك الأعداء غير المعروفين الذين يحسدوننا، بالمناصب، بالثروة، برحابة صدورنا وعطائنا، وإذا لم تحرقهم نار حسدهم، فسوف تنالنا شرارة تلك النار.. احذرك. للمرة الأخيرة. ابتعد عن عباسة بقدر المستطاع.

جعفر: هي لن تدعني.

يحيى: حاول.. أن تفهمها.

جعفر: لا اعتقد أنها ستفهم، لا يبدو أنها تمتلك إرادة السيطرة على عقلها.. حتى إن أغلب الأحيان وفي مجالس أخيها هارون ترمقني، وتصرفاتها تشبه فتاة في سن أربعة عشر عاماً. هارون ذكي لكن لا أدري كيف لم يدرك بهذه العلاقة!

يحيى: اعتقد أنه يعرف لكنه يبحث عن فرصة.

جعفر: حتى الآن لم ار أي رد فعل من هارون.

يحيى: إذا أساء الظن فإنه لا يعرف العفو.. أنت لاتعرف حتى الآن لماذا لا يقال شيء عن ماضينا.. لا يعرضون الحساب لـ (مانوية) (مزدكية) البرامكة.. لأننا لم نقترف اية خطيئة وحين تصل سيرة (المزدكية) و(المانوية) إلى أذن هارون فإنه ينظر اليها من دون اكتراث. لكن إذا أخطأت وانجرت وراء رغباتك، فحينئذ ستصبح محط أقاويل الأعداء ويتهمونك بالزندقة والمجوسية. ولا يغفر لك هارون أيضاً.

جعفر: لم أنظر الى المسألة بهذه الخطورة.

يحيى: وأخطر من ذلك أن يفهم هارون بأنك تريد أن يُنجَب لك من عباسة بولد وتحرك هذا الولد ضد الأمين والمأمون، ليثشور ويطالب

بالخلافة. (صمت) فكر فينا وفي أمك وإخوانك.

جعفر: حسنا.. سأبتعد عن بغداد فترة، وأقصد الأماكن التي يريد هارون أن أراقبها.. أتمنى عند عودتي أن اكون قد نسيت هذا العشق الرهيب إلى الأبد.

\*\*\*

## الفصل الخامس

الامبراطور حلقة في أصابعهم.. في حين أننا نصل النهار بالليل  
ونعمل في سبيل هارون لا يصل الامبراطورية الاسلامية إلى  
الذرى.. ولا يعيرنا أية أهمية. (يشرب كأساً أخرى) عندما عدنا  
أنا وفضل سمعنا من الحضور أمام الخليفة.. سمعت باذني أنهم  
كانوا يشتموننا.

زينب: من يجرؤ أن يسبكم؟!

جعفر: الحمقى والمغفلون من حاشية الخليفة.. بتعبير آخر الخليفة بنفسه..  
لأن الحاشية كيفما كانت فليست إلا الوجه الآخر للحاكم الذي  
تنعكس عليها تصرفاته.. فالخدم والحواشي بذاتهم لا يعنون شيئاً  
يذكر.. (صمت) هؤلاء السفلة يتفاخرون ويتباهون بكونهم عرباً  
وليسوا أكثر من ذلك.

زينب: ما الذي كانوا يقولون بحقكم؟

جعفر: كانوا يتهامسون، بأن هذين الأخوين، جعفر وفضلاً، وهما من أبناء  
الموالي، وضعوا تاج انتصارات الجيش العربي فوق رأسيهما، كيف  
يتسنى لهذين الموالين ان يكونا جائرين حذاً يسجلان انتصارات  
جيش العرب لنفسهما؟!

زينب: دعهم يتكلمون.. فان الخليفة لا يقول ذلك.

جعفر: لا.. اماه (يشرب كأساً أخرى) فهمت للتو.. مهما قدمنا لهم من  
خدمات فلن تكون العاقبة الا الخيبة.. وكما سمعت.. إن هؤلاء  
العرب قد نحروا اربعمائة فتاة يافعات تحت أقدام أصنامهم  
(اللات والعزى).. أريد أن أهجر هذه المدينة لهؤلاء الناس الكُند  
الحاسدين.

زينب: إلى أين ستذهب؟

## المشهد الأول

(منزل جعفر)

(جعفر وأمه زينب، والعباسة، جارية و غلام).

جعفر: (مرهق ومهموم تصب الجواري له الشراب حثيثاً، يجرع الكأس تلو  
الآخرى).

اماه؛ توقع شقيقي (فضل) أن يستقبلنا الخليفة ويباركنا.

زينب: ألم يكن هكذا.. أقصد.. لم يستقبلكم الخليفة ولم يبارككم.

جعفر: لا.. انا وشقيقي (فضل) قد تركنا بغداد منذ تسعة اشهر كاملة  
وأضيناها في جبهات القتال، وسجلنا للدولة انتصارات كبيرة.

زينب: (تقاطعها) وصلتنى أنباء انتصاراتكم.. وبتلك المناسبة أعددت لك  
أثمن وأعلى هدية.

جعفر: أعلى هدية عندي هي: أنك والدتي، ربيتنى أحسن تربية،  
وأوصلتنى إلى كل هذه الثروات والجاه.. لم تبق لي أمنية لم  
تتحقق.

زينب: اشتريت لك أجمل جارية في الدنيا في سوق النخاسة.

جعفر: (مرهق ومنهوك القوى يترع كأساً أخرى) اماه خلال سفرتي  
الطويلة هذه. تعرفت على كثير من كبار الرجال، عندما تخلينا عن  
الحرب، وأردنا استتباب السلام جلست إلى كثير من الرؤساء  
والسيناتورات الروم. هؤلاء لديهم قائد عام اسمه (الإمبراطور)  
لكن لكل واحد منهم شخصيته المستقلة، وفي الحقيقة ان

جعفر: (عيناه محمرتان.. يشرب كأساً أخرى) صوب خراسان.. سأتنحى  
نهائياً عن أمور الدولة لأنني مهما فكرت لن أتحمّل العيش بسلام  
مع هذا الجمال.

زينب: لا تفسد وضعك فأنت مرهق (تصفق، تدخل جارية دثرت وجهها  
بخمار شفاف، تمسك بيد جعفر، وجعفر ينهض ويترنح، يكاد  
يسقط ولا تتركه الجارية يسقط، يترنح مرة أخرى، تمسكه الجارية  
وتوصله إلى غرفة أخرى).

\*\*\*

## المشهد الثاني

(غرفة نوم جعفر.. إنه الفجر.. يستيقظ جعفر.. يقع نظره على  
تلك الجارية النائمة على وجهها وسط سرير نومه وانتشرت جدائلها  
على الوسادة، تنقلب الجارية فيرى جعفر وجهها.. يصرخ).  
جعفر: (بخوف وارتعاش) يا الهي.. ماذا أرى؟! (ينتفض من فراشه  
كالمجنون).. ماذا أرى?!

عباسة: (بكل هدوئها تخرج من السرير وترتب شعرها بيديها). هل  
لاحظت فصاحتي عندما تحدثت إليك الليلة باللغتين اليونانية  
والفارسية.. سررت جداً لتعاملك المهذب مع اخت الخليفة لقد  
كانت ليلة بهيجة.. عزيزي أتمنى أن تكون قد استمتعت بهذه  
الليلة مثلي..

جعفر: (يلكم جبهته) آه.. يا إلهي الأعظم.. لقد هلكت.. انتهيت..  
عباسة: ايها العزيز، يا سيد الروح، يا من احتل قلبي.. لماذا ارتبكت لماذا  
شحب لونك بهذا الشكل؟ لماذا ترتجف?!

جعفر: أين هي أمي تلك الحمقاء؟ أين هي تلك المجنونة الرعناء؟  
زينب: (بعجل تخرج وتهرع من غرفة أخرى.. وتصل الى عند عباسة  
وجعفر وهي خائفة).. ما الخطب.. لم تصرخ هكذا.. ماذا حدث؟  
جعفر: (يمسك بتلابيبها ويوقفها قبالة عباسة).. أكانت هذه هديتك؟!  
زينب: (بسداجة) نعم يا ولدي.. انا لم أكذب.. هذه كريمة المهدي وأخت  
هارون.. هذه نجم آل عباس اللامع.. انها عباسة.. يفخر جميع

امراء العرب بتقبيل أحذيتها ومستعدون للّحس التراب تحت  
أقدامها..

جعفر: (يرتعش وتحمر عيناه) ايتها البلهاء الغبية.. أتعرفين ماذا جلبت  
لي من مصيبة؟ اذا عرف الخليفة بهذا الأمر.. ذلك جم.. (لا يكمل  
كلامه، ويشحب لونه).

عباسة: ذلك الجمّال.

جعفر: (بخجل) لم أقصد ذلك..

عباسة: الليلة. كررت قولك.. الجمّال.. بحق الخليفة.. واذا رأيت..  
الخليفة وقلت له إن نجل يحيى اليرمكي. -صديقك الحميم جعفر-  
نعتك بهذه الكلمات.. فهل تعرف ماذا سيفعل بك؟  
جعفر: (ينكس رأسه بأستحياء).

عباسة: (تقف بمواجهة جعفر).. جبان ذلك الرجل الذي لا يسمح لنفسه  
بمضاجعة حبيبته. بل إنه ليس برجل اصلا.. الأخرى به أن ينتحر..  
أو يتعفن في زنانات هارون..

جعفر: (يتوسل) عباسة.. مولاتي.. سيدتي العظمى، الآن أعرف كم  
يحبني الله الذي منحني اياك.. من ذا الذي لا يتمنى أن يكون لك  
غلاماً.. حبيبتي.. عمك هذا أوقعنا جميعاً في خطر.. فهارون  
ليس بذلك الرجل الذي يعفو عن أحد فلن يسامحنا.. انني لن  
أسامح والدتي البلهاء التي خدعتني بهذه الصورة.

عباسة: (بلا مبالاة) لا تقلق أكثر من هذا.. دع الأمور كلها لي..

جعفر: (باندهاش) كيف؟

عباسة: لا تتفوه بشيء من هذا في مجلس هارون. وتظاهر أمامه كأنك لم  
تبصرني.. منذ مدة وأنا فكرت في مغادرة بغداد صوب (المدينة)

أو (دمشق).. أو أن أحل بإحدى المدن الايرانية.. ذكرت لي  
الليلة.. بأن أجواء خراسان عليلة جداً.

جعفر: (بضجر) لا أتذكر أي شيء عن الليلة، أي شيء، ثملت كثيرا.  
عباسة: (بدلال) كنت لطيفا جداً وأنت ثمل، وكنت مهذباً في تصرفاتك  
مع أخت الخليفة.

جعفر: لا أتذكر كلمة واحدة مما جرى الليلة البارحة.

عباسة: اقول.. إنه من الأفضل كثيراً أن نباعد عن هذه المدينة -أنا  
وأنت- ويتوجه كل منا إلى مدينة ما.. ومتى ما زال الخوف.. او  
بالأحرى متى زال خوفك.. عندئذ سننتلقي.

جعفر: تتحدثين.. وكأنني أخاف، أو لا تخافين أنت؟

عباسة: لا.

جعفر: لماذا.

عباسة: أقسى ما لدى الخليفة هو أن يشنقنا، والروح التي لم تبذل للعشق  
روح جبانة. ومن الغبن والخسارة أن تبقى روح جبانة في جسد مغرم  
بالهوى حتى النخاع. ينبغي أن تتربى تلك الروح على الحب  
والهيام والا فيجب أن تزهد وتفنى. أنا أعرف جسدي.. لا  
استطيع قياس مدى رغباتي بأي شكل.. ألعن الروح التي لا  
تخلص لجسدي المغامر هذا.. روضت هذه الروح الليلة بشهوة  
الجسد وصارت فمراً مروضاً تحت يديك، كنت تمسك وتتمسك جميع  
بدنه وهو يبصيص بذيله لك.. وفي سبيل ضمان هذا الإخلاص من  
أجل الجسد.. يجب ان نفكر في إيجاد مأوى لنا.. ونرمي حياة  
القصور بعيداً.. ولنذهب بعيداً.. بعيداً.. ابعده من طيش رغباتنا  
المجنونة.

بلقيس: مولاتي العظيمة - حب المرأة ليس كحب الرجال.. حب المرأة نار تحرق أخضر ويابس العراقيل، أنه الماء.. والموج.. ولن يصمد أي عائق أمام حب المرأة.. عندما تدخل المرأة عالم العشق.. فإنها تعمى وتصم وتخرس.. قالت مولاتي.. إن جيوش الخليفة لا تستطيع صدي.. وأنا أقول.. المرأة التي تهوى لقاء حبيبها.. لن تستطيع جيوش العالم منعها عن ذلك.

عباسة: (تصفق.. ويخرج زنجي من الجدار.. ويركع، تمرّ عباسة يدها على وجه جعفر.. وتدخل بلقيس مع الزنجي في الجدار ويختفيان)..

\*\*\*

جعفر: عزيزتي.. أو تظنينه أمراً ميسوراً؟

عباسة: (تتركها وحالتها الرومانسية، بجد) الذي يريد أن تكون له زوجة مثلي ينبغي أن يتهياً لمواجهة جميع المخاطر والمصاعب دون وجل ولا خوف.

جعفر: (شاحب الوجه صامت).

عباسة: (يعتّب) أمراء العرب جميعهم ينتظرون أن أكلمهم كلمتين فقط لكي يضعوا سواعدهم في جيدهما طول حياتهم ويحملوا بهما أطياف الأحلام وألوانها لكنك لا تجيب على كلامي. (تتقدم صوب جعفر وتسد شعره وتلاطفه).. حبيبي.. لا ترتبك هكذا.. انا ابنة (مكنونة) واعرف أن أتصرف مثلها، وأواجه المصاعب وأن لا أخاف، تحدرت والدتي من إحدى المدن البيزنطية.. يقولون: ان أباهما واشقاءها لا يزالون أحياء. عندي جارية رومية، تحدثت إليها، إذا ماشعر الخليفة بشيء واراد أن يفعل شيئاً ضدك فإننا سنمتطي أسرع الجياد ونتجه صوب حدود الروم.. وأني متأكدة من أن قيصر الروم -وبكامل رغبته- سيمنحنا اجازة العيش في بلاد البيزانط. (تصفق، ينزاح الجدار الأيسر لغرفة نوم جعفر.. تخرج امرأة حسناء من الجدار).. هذه جاريتي الخاصة.. اسمها بلقيس.. خلال تسعة أشهر لم تكن هنا.. اشتغلنا في دارك.. حفرنا نفقا سريا من أحد اسطبلات قصر الخليفة إلى غرفة نومك..

جعفر: (يصغي إلى ما تقوله عباسة باندهاش).

عباسة: (باطمئنان). لا توجد قوة بإمكانها سد الطريق على المرأة التي تريد لقاء حبيبها، جميع جيوش الخليفة لا تقدر أن تقطع الطريق عليّ (تلثفت إلى بلقيس). أليس كذلك يا بلقيس؟

هارون: ان يبدد الخوف ويمنح الهدوء.

جبريل: من الضروري أن نعرف: الخوف مماذا؟

هاروم: (يضرب كرسي العرش الذي كان جالسا عليه) من هذا.

جبريل: وهل يجدر ذلك الكرسي بالخوف منه.. إنه جامد وليس حيا.. كي تخافوا منه.

هارون: إنه حي وبألف روح، يدفن الآلاف مثلنا.. ويبقى هو كما هو إنه مثل عاهرة عجيبه كل فترة تعلي أحداً على جسدها.. وذلك الشخص ما أن يصعد عليها حتى يغتر ويصبح أبله.. أحقق.. ويعرف أنها كانت تحت شخص ما قبله وستكون تحت آخر بعده.. إنها عاهرة يحبها كل من صعد عليها حد العبادة.. انا لم أعرف أن هناك عاهرة محبوبة بذلك القدر.

جبريل: مولاي.. فهمت.. تريدون المحافظة عليه؟

هارون: لافض فوك.

جبريل: تملكون جيشا يهز العالم.. وهو يحميه لكم.

هارون: جيشي لايمك تأثير الدواء الذي يحصل لديك.

جبريل: أدويتي تشفي المرضى، وتنفيد الواهين.. والشكر لله ان عرشكم قوي جداً يمنح الود والشفاء ولايحتاج إلى أدويتي.. بل أنا وأدويتي نأخذ دوام وجودنا من ذلك العرش المبارك.

هارون: (يفكر) حقا.. لكن ماهكذا يتحدث قلبي!!

جبريل: إذاً. تريدون دواءً يقوي قلبكم.

هارون: لافض فوك. قلبي في خفقان دائم..أريد أن تزيل عنه ذلك الخفقان وتمنحه الإطمئنان.. دواء إذا شربه شخص آخر سأشفى به انا!!

جبريل: مولاي.. نحن نصف الدواء للمعلول.. ويجب ان يستعمله المريض

## المشهد الثالث

(قصر الخلافة، هارون وجبريل، هارون في يديه كيسان من الذهب.. يصدر منهما الرنين، يرميهما في الهواء ويلتقطهما).

هارون: جبريل.. طيببي العزيز. أنا مدين لك بحياتي، إنني الآن قلق جداً. جبريل: نفس الصوت.

هارون: الصوت؟.. انه علتني الأبدية.. انها لن تتركني.. قلقي الحالي ليس من ذلك الصوت.. إنه قلق آخر.

جبريل: إذاً ليس ذلك الخوف النائم؟

هارون: بلى.. انه الخوف.. لكن ليس ذا الخوف الذي تدعوه.. إنه خوف آخر.

جبريل: (ضاحكاً) يبدو أن أمير المؤمنين يرغب في الأدوية القديمة.. أو لنقل أكثر قوة من تلك الأدوية (يضحك) وللعمر دوره أيضاً.. واذا لم يبق لديك العنفوان السابق، فهو بفعل العمر.. أصحح ذلك.. أنني سمعت أن عدد الجواري في حريمكم اخذ يقترب من ثلاثة آلاف.. أود أن أطمئن الخليفة أنني سأجهز لكم عقاراً تستطيع أن ترعش به جواري الحريم جميعاً.. وتطلب مئات أخرى منهن.

هارون: (بابتسامة) تسرعت.. هناك قول شائع يقول: لايجوز مقاطعة كلام الخليفة.. وأنا أقول ينبغي ألا يقطع الخليفة كلام أحد أيضاً.. وذلك الدواء الذي نتحدث عنه لن يفيدني.. أريد دواءً آخر..

جبريل: الدواء لماذا؟

نفسه لكي يشفى.. والى الآن لا يوجد في علمنا دواء يشربه  
شخص سليم وبيراً المريض من مرضه.

هارون: صحيح.. لا يوجد في علومكم أنتم الأطباء مثل ذلك الدواء كما  
تقول.. لكن يوجد ذلك الدواء في علمنا نحن الحكام.. لذا ينبغي  
أن يتعاون الأطباء والحكام حتى يكون الدواء أكثر فعالية.

جبريل: أفهم قصدكم.. لكن أود أن نتحدث بصراحة أكثر..

هارون: (مهموماً) أريد أن تحضّر لي سمّاً.. لا يشعر شاربه بأي طعم أو  
ألم.. ويفعل فعله بعد شهر أو شهرين..

جبريل: (بغباوة) تزمع على قتل أحد أعدائك بذلك السمّ القاتل؟

هارون: (ببرودة دم).. أجل..

جبريل: أهو عدوّ؟

هارون: أجل.

جبريل: مذنب؟

هارون: (ساكت)

جبريل: أصدرتوا أمراً باعتقاله إن كان مذنباً. وسلموه الى القضاء.. حتى  
يحاكم بموجب الشرع والعرف.. يا أمير المؤمنين إنكم تقدرّون أن  
تحددوا المجرمين وتحكموا عليهم بالموت.

هارون: ذلك صعب التحقيق ولا يمكن تنفيذه ببساطة وسهولة..

جبريل: سلطتكم كخليفة كبيرة وواسعة.. وتختلف كثيرا عن سلطة قيصر  
الروم.. عشت في بيزنطة مدة.. وعرفت ان القيصر والقيصرة  
لا يملكان سلطة إعدام أحد معارضيهم بل يجب أن تحاكمه محكمة  
قضائية.. وأن تكون المحكمة علنية، ويوفر المجال امام المتهم  
للدفاع عن نفسه.. ويصدر الحاكم الأمر بعد استشارة عدد من

الحكام.. وعند ذاك يوقع القيصر على قرار الحكم فقط.. لكنكم  
هنا تتحكمون بأرواح وأموال وأعراض جميع رعايا البلاد  
الإسلامية، وليس لأحد مساءلتكم، ولا يستطيع أحد أن يستفسر  
لماذا فعلتم هذا الأمر أو ذاك.

هارون: (بحزن كبي) ر الذي أريد القضاء عليه شخص من أحفاد الرسول..  
وان قتله ليس سهلاً هيئنا.

جبريل: (باندهاش) مولاي كيف يرتكب مثل ذلك العمل؟

هارون: لماذا؟

جبريل: أتريد أن تقتل أحد أحفاد نبيكم؟

هارون: أجل.

جبريل: لماذا؟

هارون: (يضرّب عرشه مرة ثانية) لأنه يطالب بهذا.. إن قتلتته علنا  
يسيء إلى سمعتي وأصبح مثل يزيد بن معاوية.. هذا الشخص  
يبيث الدعايات ضدي بصورة علنية.

جبريل: مولاي.. توجد طرق كثيرة تجعل ذلك الشخص يترك دعاياته  
ويقلع عنها.

هارون: مثل ماذا؟

جبريل: مولاي.. تعرفونه أحسن مني.

هارون: ماذا تعني بقولك.. تعرفونه أحسن؟

جبريل: إنه عربي كذلك.. وأنتم فيما بينكم تعرفون نقاط الضعف والقوة  
في بعضكم البعض.

هارون: أنت صادق من هذا الجانب.. أما للتدابير الأخرى فأود أن أعرف  
رأيك أيضا.



جبريل: في رأيي من المستحسن أن تقرّبوه منكم.

هارون: وماذا يفيد ذلك.

جبريل: له فائدتان كبيرتان.

هارون: مثل؟

جبريل: أولاً.. تعرفون ماذا يريد عن قرب.

هارون: اعرف من الآن (يضع يديه على العرش) أنه يريد هذا.

جبريل: أقصد أنكم ستعرفون بأي أسلوب.. يريد الوصول إلى الهدف.

هارون: والفائدة الثانية؟

جبريل: (يمد يده إلى عرش الخلاف) من يطمع في هذا فلن يكون وحده..

ويكون له رفاق واصدقاء ومؤيدون.. وهم يتشككون في هذا

التقارب بينكما.. وإذا كافأته بين حين وآخر ومررت يديك على

أكتافه أمام الناس.. فإن أصدقاؤه يشكون فيه.

هارون: إنه إنسان جاد.. وصاحب قراره.. ولو لم يكن صاحب تلك

النفسية.. فلماذا اصدر قرار قتله..

جبريل: إذاً تقتله بسبب إباطه ورفعته نفسه..

هارون: كثيراً ما تصبح الخصال الحسنة عدوة لصاحبها.

جبريل: نعم.

هارون: قلت إنه شخص جاد.. إنه وان لم يستطع أن يرتكب أية إساءة

إلى الآن. ولم يعمل شيئاً غير بث الدعايات.. لكنه في المستقبل

قد يستطيع إقامة ثورة في حب هذا (يضع يديه على مسندي

كرسي الخلافة).. ولكي أقطع الطريق عن كل حادثة من شأنها

الإخلال براحتي أريد استئصاله بخفاء.. (صمت) أريد أن تمنحني

راحة البال.

جبريل: أزهد روح شخص آخر من أجل راحة روحكم؟

هارون: نعم.

جبريل: تقصد أن أنجز مهمتين في آن واحد معاً..

هارون: نعم.

جبريل: حسناً.. إن ساهمت في الأمر.. هل يطمئن أمير المؤمنين إليّ بعد

ذلك. وأية ثقة تبقى لديه تجاهي؟

هارون: (بسرعة) يزداد إيماني.. تصبحون موضع ثقتي أكثر.

جبريل: من المؤسف.. يا أمير المؤمنين أن تثقوا بخائن.

هارون: خائن؟

جبريل: أجل.. مولاي.. في نهاية دراستي الطبية.. أقسمت ان لا أستغل

علمي إلا في سبيل جلب الشفاء وإنقاذ الانسان من الآلام

والأوجاع.. لن أستخدم علمي الطبي في غير هذه الأمور..

أعذروني.. لن أنكث بقسمي حيال أساتذتي.

هارون: (وقد تغير لونه). تريد أن تقول لن أنفذ أوامرك.

جبريل: لا.. مولاي.. أريد أن أقلل عدواً آخر للخليفة.

هارون: يعني تشاركني.. الدواء.

جبريل: لا.. مولاي ان شاركت وصنعت الدواء أصبح خائناً وكذاباً.. ومن

الخطر أن يعيش الخائن والكذاب في هذا القصر. اذ يغدو عدواً

لولي نعمته.. غداً يأتي أحد ويدفع أكثر للخائن والكذاب و

سيرتكب نفس الفعلة بحقكم أيضاً.

هارون: (يائس) كانت لدي هذه الحاجة البسيطة لديك.. لكن.

جبريل: إزهاق الأرواح أمر هين! أقبل يدي الخليفة ليسمح لي بالعودة إلى

الأهواز كي أوصل دراساتي وبحوثي هناك.

هارون: تحمل هذا السر وتستأذن لتغادر؟

جبريل: (يتغير وجهه).

هارون: في عرفنا.. من يطّلع على أسرارنا.. نسمح له كي يفارقنا.. لكن لا أن يتوجه الى الأماكن التي يريدتها.. بل نرسل به إلى حيث نريد.. (يضع الكيسين الذهبيين على المنضدة ويدفعهما بيديه صوب جبريل) لكن.. لأنك خدمتنا كثيراً. أمنحك فرصة أخرى.. جبريل: (يدفع جبريل الكيسين نحو هارون، يدفعها هارون إلى جبريل.. ويعيدان العملية مدة.. تفتح فوهتا الكيسين.. وتتساقط القطع الذهبية في حوض هارون.. ينهض هارون ويسقط الذهب على الأرض).

\*\*\*

## المشهد الرابع

(في منزل يحيى.. يحيى وجعفر..).

يحيى: (حزين جداً) يوماً بعد يوم تتجه الأمور إلى الفساد أكثر.. من مجموع أربعة آلاف علوي من معارضي الخليفة شنقوا ألفين.. لم يبق من أجسادهم موضع ليس عليه آثار السيف والرمح والحراب.. جعفر: وضع لديّ عبدالله بن الحسن، وحسين بن علي، ثم أخذهما. لقد توصلت إليه.. أنهما من أحفاد الرسول.. فلم يجد.. وقتلهما..

يحيى: نصب شركاً لأخيك -الفضل-

جعفر: بعد ذلك الانتصار.. هل بقي شيء لم يفعله من أجل هارون؟

يحيى: استطاع فضل بحنكته السياسية أن يكسب النصر.. وتصرف بشكل اقنع -يحيى بن عبدالله- بالكف عن القتال في بلاد الديلم.. وحصل له على وثيقة الأمان.. وأتى به إلى بغداد.. وتراجع الخليفة الآن عن تلك الوثيقة.. أبلغني رجالي السريون أنه ينوي قتله.

جعفر: أتعجب كثيراً.. لم يبق كالسابق.. كلما تقدم في العمر يزداد قسوة وشدة.. فقبل أيام.. كان جالساً بنفسه.. وقتلوا أمام مرآه ألفاً من العلويين.. فلم يحنّ عليهم ذرة.. وركن إلى السكون حبال تلك الدماء وكأنه صنم بلا حراك.

يحيى: قلت لك وأكرره الآن.. في الماضي كان يظهر حبه وغضبه.. وكان بالإمكان أن تكشف من النظرة الأولى.. هل يحبك أم يكرهك..

إن هؤلاء الشيعة العلويين في تربص دائم ويطلبون الخلافة.. توجه  
إلى عبدالله وقال له: اريد أن تضرم لهم جحيما وتبيدهم..

يحيى: ماذا قال عبدالله؟

جعفر: كان مغتبطا وكأنه يريد الانتقام لنفسه.. وكان يردد: أمر أمير  
المؤمنين على العين. أكثر من مرة.. (سكوت).. يا ابت..  
أتعجب.. كيف يطمئن هارون إلى عبدالله بن مالك.. لقد كان  
رئيس الشرطة السرية للمهدي فترة.. وتقلد نفس المنصب لدى  
الهادي أيضا.. وأبعد بعد رحيل الهادي.. وهاهو هارون قد أعاده  
الآن كذلك!!

يحيى: وما العجب في ذلك؟ انها السياسة.. الذي فعله للهادي يقوم به  
الآن لهذا. يريد عبدالله ان يعيش فقد تأقلم على التجسس، هو  
واحد من ألد اعدائنا.. يذكرونا بسوء دائما.. يقول عنا: يريد  
المجوس السابقون أن يسيطروا على العرب. أتصور أنه يعادينا  
أسوة بـ (زبيدة).. وأرتاب من صمته كثيرا..

\*\*\*

تماما بعكس وضعه الآن.. إذا ابتسم بوجهك فعليك أن تحرز أي  
شرك سينصبه لك.. وإذا نظر اليك شزراً.. فلا تستبعد أن يكافئك  
أو يكرّمك.. وأحيانا فلا ابتسامته بابتسامه ولا كلحه بكلح، لم  
يبق لكلتا الحاليتين من معنى.. فهاهو أخوك الفضل قد أتى  
بيحيى إلى بغداد.. قدم هارون هدايا كثيرة إلى يحيى.. وأصبح  
تصرفه هذا موضع مخاوفي.

جعفر: أصيب بعلّة أخيه الهادي.. يجلب جواربه لمشاهدة قتل أولئك  
الناس.. في الجمعة الماضية عدا عن (الجلاد) دعا الموظفين الكبار  
كي يقتل كل واحد منهم عشرة من العلويين.. فارتعدت فرائض  
الجواري.. بهتت وجوههن.. وأوقف (أمينا ومأمونا) إلى جانبه..  
يتفرجان على تلك المذبحة.. قتل في يوم الجمعة ذاك خمسمائة  
إنسان.. وكنت حاضراً في ذلك المجلس.. جاء عبدالله بن مالك..  
وهمس في أذنه شيئاً.. فنهض وغادر المجلس.. وأرسل في طلبي  
وجلسنا ثلاثتنا معا.

يحيى: تحدثتم عن يحيى بن عبدالله حتما.

جعفر: نعم.

يحيى: قال كل شيء جاهز لتسميم يحيى بن عبدالله.

جعفر: نعم.

يحيى: رجالي السريون كتبوا إليّ خطة عبدالله بن مالك.. ماذا قال  
هارون؟

جعفر: قال له: تريت قليلاً.. فقد فعلت شيئاً.. جمعت عدداً من علماء  
الدين.. ليدرسوا مضامين وثيقة الأمان ليعثروا على حيلة  
شرعية.. صرخ هارون غاضباً: كان والدي ينصحنى دائما ويقول:

فضل: الذين تمردوا وأثاروا الفتن والفوضى واساءوا الى الخليفة.. فقد نالوا جزاءهم. ولم يكونوا على حق في ارتكابهم تلك الأعمال.. أما قولك: إنهم عديمو الايمان.. وكفرة، زناديق.. ليس كذلك.. إنهم أحفاد حسن بن علي بن ابي طالب.. ولا يقبل أن ينعتوا بعديمي الايمان والكفرة..

القاضي الأول: توقعت أن يكون وزير بلاد الاسلام.. وفيما وخادما لخليفة الله.. ولاسيما مولانا هارون الرشيد ظل الله على الارض.. بلغت شهرته جميع انحاء العالم.. عابد لربه كبير أي عادل فريد.. وأي باسل ورشيد.. لكن اراك وأنت وزيره تتحدث عن الشيعة وكأنك واحد منهم.. (بضحكة).. هنيئاً للخليفة.. يزعم وزيره أن قادة الجيش المتمرد اصحاب الأربعة آلاف متمرد.. الذين قاتلوا ضد جيش الخليفة.. وارقوا دماء جيشه والناس المؤمنين والأبرياء.. وحسب هذا الوزير.. أنهم لم يرتكبوا ظلماً.. ولم يمدوا أيديهم إلى اعراض وأرواح الناس.. ولم ينهبوا ولم يسلبوا.. (وبغضب) بحساب هذا الرجل.. مادام أولئك الناس من ذرية حسن بن علي فعلياً ان نباركهم ونشد على أيديهم ونقول لهم.. نعم ما فعلتم إذ ارقتم الدماء.. وعلينا أن ندعوهم: تفضلوا.. هؤلاء زوجاتنا وبناتنا، خذوا جميع ما نملك، لأنكم تحدرتم من نسل ذلك الشخص المقدس. يحل لكم من بناتنا وزوجاتنا ممن وقعت عليهن ابصاركم ويحرمن منا وينعقد نكاحهن لكم، لقد مضت العهود التي كان هؤلاء الأحفاد يتبخثرون ويتباهون قائلين: ينعقد لنا نكاح المرأة التي ننظر إليها.. كلا.. لقد ظهر (عمر) الزمان ويقول.. لا.. لهذا..

## المشهد الخامس

(قاعة ما.. يجلس قاضيان جنباً إلى جنب.. فضل واقف.. يجيب عن الأسئلة.. هناك كاتب يدون جميع الأحاديث..)  
القاضي الأول: أنت دفعت مئة ألف درهم من أموال الدولة كرشوة إلى حاكم الديلم.

فضل: نعم، بهذه الأموال.. شجعت يحيى بن عبدالله ليسلم نفسه.. وأعزت إلى حاكم الديلم.. أن لا يقدم على مايشير الخليفة.. ويضطر إلى احتلال الديلم.. أرسلت له بمئة ألف درهم.. كي لا يستقبل يحيى.. وهكذا استسلم لي يحيى بموجب وثيقة الأمان التي كتبتها له..

القاضي الأول: هل تحمل تلك الوثيقة توقيع الخليفة؟

فضل: تحمل توقيعني وتوقيع عدد من الرجال الكبار والقضاة.. ولكوني وزيراً ومخولاً من الخليفة للمبادرة في الأمور المهمة وأن أعمل مافي مصلحة الخليفة.. قبل عبدالله بن يحيى الوثيقة.. وأنهى الثورة والتهمد.. وعاد معي إلى بغداد..

القاضي الأول: هل حصلت على إذن الخليفة.. حيث هذا العدو المتمرد الجائر.. هذا الظالم العديم الشفقة.. الذي أشعل أخوته الحرب ضد الخليفة.. الحمد لله حيث أبيدوا جميعاً وقتلوا.. يحيى هذا أحد أعداء الله والخليفة.. وها أنت تمنحه وثيقة الأمان.. هؤلاء خارجون عن الطريق.. عديمو الايمان.. كفرة.. خوارج.. وزنادقة..

فضل: ( يدرك الى أين يتجه الموضوع فأراد أن يوجهه إلى مسار آخر)..  
فضيلة القاضي.. أنت لم تر بلاد الديلم.. ولا تعرف عدد  
منحدراتها وهواتها السحيقة في المناطق الجبلية الوعرة.. وسبلها  
المتفرعة التي يضل فيها حتى أدلاؤهم.. ولم تستطع جيوش  
الإسلام حتى في عهدي الراشدين والأمويين أن تعبر تلك السبل  
الوعرة.

القاضي الأول: وما علاقة هذه الأحاديث بموضوعنا.. فنحن لا نتحدث عن  
الجغرافيا.

فضل: لها علاقة كثيرة بموضوعنا.. كي لا يبقى هناك يحيى بن عبدالله..  
أعني في تلك البقاع الوعرة.. وأن لا تتوسع ثورته.. التقيت حاكم  
الديلم.. تحدثت إليه بلغته.. أقنعته أن لا يسمح ليحيى بالبقاء  
في منطقة يثور ويتمرد ضد الخليفة وذلك لقاء المئة الف درهم..  
وبتلك المفاوضة ومئة ألف درهم أخدمت ثورة يحيى وجلبته معي  
إلى بغداد كي يطمئن الخليفة.

القاضي الأول: قلت كي يرتاح بال الخليفة؟  
فضل: أجل..

القاضي الأول: (باستخفاف). أشرت خلال حديثك إلى أمرين خطيرين:  
الخطر على حياة الخليفة والخطر على الدولة الإسلامية.. أولهما.  
تقول تحدثت الى حاكم الديلم بلغته.. وهذه لغة الكافرين  
أعداءنا.. أولئك الكافرون كثيرا ما يهاجمون حدود الدولة  
الإسلامية.. تحدثت بلغتهم.. وهذا موضوع يقتضي منا الدراسة  
والتحقيق الدقيقين. لكي نتبين مدى صداقتك مع أولئك  
الكافرين.. وثانيهما.. عندما تقول لكي يطمئن الخليفة.. فأنت

بكلامك هذا سمحت لنفسك بإهانة أمير المؤمنين.. لأنك جعلت من  
شخص تافه مثل يحيى بن عبدالله العلوي مبعث قلق أمير  
المؤمنين. في الحقيقة أنا آسف.. فبدلا من تنكيس رأس التعظيم  
للخليفة.. ها أنتم مع الاسف مرة أخرى تعتبرون الخليفة جباناً لا  
يغض له جفن خوفاً ويحتاج إلى تطمينك إياه..

فضل: هذا تفسيرك انت.

القاضي الأول: لدي ملاحظة أخرى. مادمت قد رشوت حاكم الديلم.. فان  
مضمون هذه الوثيقة يعتبر منفسخا وباطلا.. لأنك استرددت هذا  
الباغي الظالم بالمال.. وحيث المال يشكل جانبا من الموضوع فان  
الوثيقة ملغية ولا يبقى لها من معنى.. علاوة على ذلك (يرمق  
بعينيه عيني فضل بصورة مباشرة) يا معالي الوزير.. لقد أرسلتم  
الى الحرب.. وكان من المقرر أن تجاهدوا ضد الديالمة الكافرين..  
حتى تأسروا يحيى بن عبدالله بقوة سواعدكم.. والآن حيث تم ذلك  
عن طريق السلام والتفاوض ودفع المال.. فان تلك جميعا ادلة على  
إلغاء الوثيقة..

القاضي الثاني: على أي حال: وثيقة الأمان تعتبر صادرة عن الخليفة  
لأنها أرسل بها من قبل شخص عينه الخليفة بنفسه وزيرا..  
والوزير مخول بتلك السلطة.

القاضي الأول: (بانفعال) وثيقة الأمان لا تجدي نفعا ليحيى العلوي. لأنه  
حارب ضد الخليفة وقمرد وأعلن الثورة.. هذا إضافة إلى دفع مئة  
الف درهم من أموال المسلمين كرشوة.. وهذه بمجموعها تتفاعل  
لإلغاء الوثيقة.

القاضي الثاني: .. أبرمت هذه الوثيقة.. بعد التفاوض والمصالحة..

وحاول فضل بدعائه أن يقطع دابر الخسائر العابثة ودون جدوى. ولم يرد ان تلحق الخسائر بأولئك الخمسين ألف جندي الذين كانوا تحت قيادته.. ولم يسمح بتوسيع رقعة الحرب.. وسفك دماء المسلمين هباءً ودون فائدة.. انه اختار الأحسن..

القاضي الأول: هذا يعني أنك تعتبر إراقة الدماء في الجهاد في سبيل الإسلام سفكاً للدماء دون جدوى.. إذاً لماذا لدينا كل هؤلاء الجنود؟ ولماذا ندفع لهم؟ ولماذا نعيّلهم.. أليس ذلك من أجل يوم كهذا..

القاضي الثاني: قصدي.. إذا كان بالإمكان حل مشكلة ما دون إراقة الدماء أفضل من إشعال الحرب وإذكاء نارها.

القاضي الأول: أولاً: هذه ليست حرباً بل جهاد.

فضل: (يقاطع حديث القاضي) إنها الحرب.. ولاسيما أنها مع جماعات تعيش تحت سلطة الإسلام.

القاضي الأول: لكنهم ليسوا مسلمين.

فضل: يوجد الآلاف من غير المسلمين في بغداد كاليهود والنصارى ويحترمون ويراعون.

القاضي الأول: إنهم أهل الكتاب.

فضل: والذين في الديلم ليسوا وثنيين.. بل يعبدون الله.

القاضي الأول: ليسوا من أهل الكتاب.

فضل: يعبدون الله.

القاضي الأول: قل.. إنهم زرادشتيون.

فضل: اجل.. زرادشتيون وبوذيون.

القاضي الأول: إي أنهم كفرة - ويجوز الجهاد ضد الكفار- وللجهاد في

سبيل الاسلام أجر كبير.. الذين يقتلون هم شهداء. ومأواهم جنات النعيم، ويعطونهم سبعين من الحوريات (يرفع يديه صوب السماء) ايها الاله الأعظم الذي لا شريك له اجعل الشهادة من نصيبنا.. كي لانحرم من السبعين حورية في الجنة.. آمين يا رب العالمين آمين.. (ينزل يديه).

القاضي الثاني: عدا عن الحور فيها الحور العين.. وكذلك الولدان المخلدون.. سوى الشراب الطهور.. يبدو أنك نسيت هذه أيضاً.

القاضي الأول: ان شاء الله لن يحرمني الله من هذه أيضاً.. (بغثة يلتفت إلى القاضي الثاني) قلت من الأفضل عدم إضرام نار الحرب؟

القاضي الثاني: أجل.. الجاهل يشعل تلك النار فيخرج اخمادها من السيطرة.. فتحرق الأخضر واليابس معا.

القاضي الأول: من الضروري في هذه الدنيا اشعال نار جهنم ضد الكافرين.. لتُحرق أخضرهم ويابسهم، وكل مايملكون (للقاضي الثاني) انت لا تستطيع الدفاع عن فضل.

فضل: (يوجه الموضوع نحو جهة اخرى).. إنني.. في كل أسبوع مرة وعن طريق البريد والقاصدين كنت أطلع أمير المؤمنين.. خطوة فخطوة.. على نياتي وخططي وجرى كل شيء حسب موافقته الشخصية.

القاضي الأول: مضامين الوثيقة ليست مقبولة لديّ.

فضل: (بغضب) ماهذا الذي تقول؟ أنت ساكن في هذه المدينة الآمنة، وتتحدث وكأنني توجهت إلى الديلم للتنزه، ترفع يديك جالساً..

تطلب الشهادة من الله لكيلا تحرم من جنات النعيم ومن السبعين حورية وجداول من الشراب الطهور. حسب ما أعرف أنك لم تخرج من بغداد إلى الآن. ولم تضع سهماً واحداً في القوس حتى

للتسلية.. ولم تصب هدفا.. وتحدث بالكلمات الضخام وأنت جالس.. تعال معي يوما واحداً.. يوما واحدا فقط للقتال كي تحقق أمنيتك في الشهادة وفي نيل السبعين حورية.

القاضي الأول: إني أجاهد بالعلم والشريعة.

فضل: جهادك هذا ليست فيه الشهادة.. تموت كأى إنسان عادي فوق سريرك. وستحرم من تلك السبعين حورية.

القاضي الأول: (صامت وينكس رأسه).

فضل: آبائي وأجدادي.. أدباء وشعراء ومؤرخون وتعيّرني كيف أتحدث بلغة الأجانب والكفار!.. إني آسف ومستاء كثيراً لأنك تعتبر أولئك الناس أجانب.. ويحتمل بسبب خشونة الجبلة وتشدد أمثالك.. لم يدخل هؤلاء في الإسلام.. يوجد الآن في تلك الأماكن.. وبالذات في خراسان زرادشتيون وبوذيون بكثرة.. في حين أن هؤلاء جميعاً من رعايا خلافة آل عباس المقدسة..

القاضي الأول: (بايتسامة مشوبه بالاستخفاف). ماذا جنينا من الإسلام الصوري للبوذيين والمجوس. حتى نستفيد من أولئك الكفار.. دخول كفره الديلم في الإسلام لن يفيد.. ذرة واحدة.

فضل: (يتغير لونه).

القاضي الأول: سأضع محضر هذه الجلسة بين يدي الخليفة المباركين كي يتفضل بإصدار حكمه العادل.

\*\*\*

## المشهد السادس

في منزل يحيى.. يحيى وجعفر).

يحيى: قرر هارون أن يُودع يحيى بن عبدالله العلوي عندك.. كي يبقى تحت مراقبتك الشخصية ويجب أن لا يغادر بغداد..

جعفر: ومسألة وثيقة الأمان؟

يحيى: قال للقضاة.. لاتستعجلوا.. سنفكر في الأمر بدقة.

جعفر: وماذا عن شقيقي فضل؟

يحيى: أصدر الأمر ان لايمكث في بغداد.. ويرسله للقضاء على العصاة في ارمينيا.. ثم يبقى هناك ويصبح حاكم تلك البلاد..

جعفر: عجباً.. لم يرسل يحيى إليّ؟!

يحيى: لإختبار مدى إخلاصك.. فأنت من الآن في كفة ميزان الاختبار.

جعفر: أظن أنهم تقولوا ضدنا الكثير وكتبوا عنا أكثر.

يحيى: في ذلك اليوم حيث انا وانت وهارون وعباسة كنا في بستانه.. وكان هارون يلبس جلباباً فضفاضاً جداً. طلب منك أن تدخل في جلبابه.

جعفر: عندما كنا طفلين.. كانت أحب لعبة لنا.. كنا ندخل معاً في جلباب واحد، فكنا نقفز ونشب إلى أن ينال منا التعب.. كنا نشعر بان لنا روحاً واحدة.

يحيى: كانت تلك لعبة الأطفال البريئة.. واليوم تجري نفس اللعبة.. لكن فقدت براءتها.. إنه يسيء الظن بك ويشقيقك.. وأحدس أنه سيأتي دوري أيضاً.

جعفر: (مضطرا يضع قدميه فوق يدي هارون ويعلو.. لكن لاتصل يداه إلى التمر بعد). مولاي أنها عالية كثيرا ولن تصلها يدي.

هارون: (يضحك بقهقهة).. هل تعلقو قدر كرسي الخلافة؟  
جعفر: (يصمت).

هارون: (ضاحكا) أجبني.. جعفر.

جعفر: (بارتباك).. مولاي عالية كثيرا ولا تصلها يدي.

هارون: قلت هل هي عالية علو كرسي الخلافة؟

جعفر: (مضطرا) أجل.

يحيى: (بوجل) أمير المؤمنين.. ما هذا الذي تفضلت به.. نحن جميعا.. خدمك برؤوسنا وأموالنا.. ويجد عرش الخلافة قدسيتها في وجودكم.. وكل ما نفعله ليس إلا تعظيما لكم وإسعادا.. فوجودكم المبارك..

هارون: (يقاطعه) لا ادري ماذا أفعل بيحيى بن خالد البرمكي.. أواه.. لانستطيع أن نتحدث بكلمتين من الدعابة والمزح. يريد أن أكون خليفة دائما.. انا الآن لست بخليفة.. أنا صديق جعفر (بترم).. هذه الخلافة.. سدت علي مجال كثير من الأمور.. لكوني خليفة أكبت كثيرا من رغباتي.

يحيى: مولاي.. مازلنا خدمكم.

هارون: جعفر: يبدو أن والدك لا يعرف المزاح.. ومادام الأمر كذلك فعليك بوضع قدميك فوق كتفي.. حاول كي تصل يداك إلى التمرور الناضجة.. يجب أن تكسر وحام هذه الجارية.. والا فستسود أيامنا.. وتنجب لنا بمولود معوق.. وتعاتبنا وتقول: لم يستطع

## المشهد السابع

(إحدى حدائق القصر المزدانة جداً.. هارون، جعفر، يحيى، عباس، عدد من الجوّاري وجارية حامل.. ويلاحظ مسرور الجالاد من بعيد).

هارون: (يضحك لجعفر) تلك الجارية الحامل تتوحم بالتمر (يشبك يديه) جعفر.. تعال.. واصعد فوق يدي.. واقطف بعض التمرور الناضجة لجاريتي العزيزة والمدللة هذه.. هيا. جعفر تقدم.. لاجعلها تتحسر وراء التمر.. يجب أن تشيع لهفة وحامها من ذلك التمر.. عباس: (تتوجه إلى الجوّاري وتضحك مقهقهة) أخاف.. فالنخلة باسقة كثيرا.

هارون: (يلتفت إلى ماحواليه) جعفر أتكلم معك.. تعال وضع قدميك على يدي.. واصعد عليهما.. واقطف بعض التمرور.

جعفر: (يشحب لونه) مولاي.. أنا خادمكم..

هارون: لدي خدم كثيرون.. لا أريد الخدم، أريد الصديق.. هيا.. تقدم.. جعفر: مولاي.. أعذرنني عن هذه المهمة.. إن تسمح لي فأدعو عدداً من الحراس ويقطفوا قدر ماتشؤون من التمر..

هارون: لم تفهم هذا أيضا.. فالتمر ليس لي. فانا لا أتوحم.. (بلحن مقصود). يمكن أن أتوحم بشيء آخر.

جعفر: مولاي..

هارون: أمرك.. ضع قدميك فوق يدي واصعد عليهما..



الخليفة ووزيره أن يقطفا لي بضعة تمر.. فأنى يستطيعان إدارة  
امبراطورية؟

يحيى: (بصوت عال) لا. جعفر لاتفعل هذا..

هارون: جعفر.. إن لم تفعل هذا فإن جاريتنا ستضع لنا مولوداً معوقاً..  
عندئذ يجب أن نشمئز من أنفسنا.

يحيى: جعفر.. لا.

هارون: جعفر.. هيا.

يحيى: جعفر. قلت لا..

هارون: جعفر قلت هيا.

يحيى: هذه جسارة لاتناسب مقام الخلافة.. ولايجوز لعباد الله أن يضعوا  
أقدامهم فوق كتفي الخليفة قطعاً.

هارون: إذا كان الأمر هكذا.. فان الخليفة ليس من عباد الله.. لماذا، هل  
يوجد هنا أحد سوانا؟ لماذا.. أو تتصور لو وضع جعفر قدميه على  
كتفي هل سيحط ذلك من درجاتي ومنزلتي.. فاذا كان من شأن  
هذا الأمر أن يهين الخليفة فالأولى به أن يضع الآن أقدامه فوق  
رأسي. بصراحة أي مثلبة في أن نلغي مقام الخلافة.. ليبطل مقام  
الخلافة ونحذفه..

يحيى: جعفر..

هارون: جعفر.. الشكر لله.. استولت الأسرة البرمكية على جميع شؤون  
البلاد.. المالية!!

يحيى: مولاي.

هارون: الجيش.

يحيى: مولاي.

هارون: الولايات.

يحيى: مولاي.

هارون: الضرائب.. أموال دار الخلافة.. جميعها تحت سيطرة الأسرة  
البرمكية.. الولاة.. ادارة الولايات.. تحت أقدام البرامكة..  
حسنًا.. ماذا سيحدث لو لم أكن موجوداً؟

عباسة: (بضحكة) الدنيا جميلة بوجود الخليفة المبارك.. إذا لم تتواجدوا  
أنتم شقيقي المبجل.. فلن يحوز أي شيء مرتبة.

هارون: (يهمل عباسة). جعفر ماذا.. إنك ثقيل كثيراً..

جعفر: (تصل أيديه إلى التمر.. ويقطف عدداً منها.. ولحظة نزوله عن  
كتف هارون).

هارون: (يأخذ منه التمر ويباقع خاص) جعفر سعدت عالياً جداً.. احذر  
أن لا تصعد أعلى من هذا (يتوجه الى عباسة) هيا.. كلي هذه  
التمر..

عباسة: أخي العزيز هذه التمر لتلك الجارية الحامل لكسر وحامها..

هارون: (كأمر) كلا.. إنها لك.. يجب أن تأكلها الآن.

عباسة: (تتناول التمر وتأكلها دون ارتباك).

هارون: (لجعفر) هل كانت عالية كثيراً؟

يحيى: (بوجل).. امير المؤمنين.. نفذ جعفر أمركم المقدس وأطاعكم فقط.

هارون: (يضع احدى يديه فوق كتف جعفر والأخرى فوق كتف يحيى)  
يجب أن ينفذ جعفر جميع أوامري وليس أمراً واحداً فحسب (يرفع

يديه عن أكتافهما).. مسرور!!

مسرور: (يصل إلى هارون مسرعاً) امركم مولاي..

(يفقد يحيى وجعفر اللون على وجهيهما).

هارون: هيا..

مسرور: (يختفي هنيهة.. ثم يعود.. وقد أمسك بيد جارية حسناء..

ويعطي يد الجارية بيد هارون). تفضلوا مولاي..

هارون: (ليحيى) اشتروا لي بالأمس هذه الجارية بمبلغ ستة وثلاثين الف

دينار.. وباتت عندي هذه الليلة فقط.. وها أناذا أهديتها وأرسلها

إلى أخي (فضل) فضل البرمكي.. أمل أن توصلوا لي هذه الهدية

إلى فضل بسرعة.

يحيى: (يتسلم يد الجارية من يد هارون..). هدية الخليفة فوق الرأس أمر

الخليفة على العيون.. أمركم.

\*\*\*

## الفصل السادس

يعرفون أننا وقفنا جميع ذهب وفضة معبد (نوبهار) على الدولة العباسية بعد أن دخلنا في الاسلام. الذي منحه جمعه أجدادنا في معبد (پاراماگاه) التقت هذه الأسرة مع بوذبي (بلخ) والزرادشتيين في معبد (نوبهار) واتفقوا أن يعلنوا الثورة ضد الدولة العباسية. لو تفضلتم ببذل بعض الهمة فتعرفوا كم هي ثروات أولئك الزنادقة.. وأود اطلاع مقامكم انهم لا يعينون في الوظائف المهمة غير البرامكة الزناديق.. ومتى أمرتم أمرا فانا في خدمتكم.

خادمكم وعبدكم / فضل بن الربيع

هارون: (يسترد الرسالة منه ويمعن فيها). كم عدد التقارير التي كتبت ضد البرامكة خلال هذا الشهر؟

عبدالله: مولاي.. لا أعرف عددها.. لكن أعلم أنني في كل يوم، قبل أي عمل آخر أتلو عليكم التقارير التي كتبت بحق البرامكة. عدا عن التقارير اليومية للسيدة زبيدة وأبي نؤاس.

هارون: في عهد والدي كنت رئيس الشرطة السرية.. وتعاونت مع والدتي (خيزران) اقول.. هذا الذي كتبه فضل.. هل له من أساس؟

عبدالله: مولاي.. ناولني هذه الرسالة.. وينتظر في الخارج.. أتسمحون برؤيته؟

هارون: ليدخل. (يخرج عبدالله، وبعد هنيهة يصطحب فضلا ويدخله).

فضل: (ينحني حتى خصره) سلام على أمير المؤمنين.

هارون: (لا يرد على سلامه) لا أراك في دار الخليفة يبدو أنك غاضب علينا.

## المشهد الأول

(ديوان الخلافة.. هارون جالس على العرش.. في يد عبدالله بن مالك رسالة يقرأها لهارون)

هارون: استمر.. لأعرف ماذا كتب غير الرياء والتملق.. الذي قرأته كان مديحا وثناء.. لا أحتاج الى تلك المدائح.. حدد أصل الموضوع واقراه لي.

عبدالله: (يقرأ الرسالة). أنا وآبائي وأجدادي كنا خدم آل عباس.

هارون: (بغضب) قلت تجاوز ذلكم الرياء والتزلف.

عبدالله: نعم.. مولاي.. (يمعن النظر في الأوراق.. ويقلب ورقتين، ثم سيتأنف القراءة).

احذروا، تعمل اسرة البرامكة ضد الخليفة والخلافة العباسية، أخبرت أنهم يحمون (موسى بن جعفر). وضع جعفر البرمكي يحيى بن عبدالله في أحد أفخم قصوره.. وسمح أن يكون عنده كاتب خاص. يتوافد عليه الشيعة من خراسان والأماكن الأخرى ويتحدثون معه. الأخرى بالخليفة أن يكون ملما بأحوال أولئك الزنادقة والوثنيين.. هذه الأسرة منهمة في تغيير التاريخ.. هنالك كثير من الرافضة والشعوبيين يعملون في مؤسساتهم.. أنهم منشغلون في حمد وثناء الدولة والدين المجوسيين، يذمون العرب ويشهرون بهم.. سمعت من يحيى بن خالد البرمكي وهو يقول: (يظن البعض بأن عطاءاتنا هذه هي من بيت المال، ولا

فضل: مولاي.. صغير واهٍ مثلي ماذا يكون أمام عظمتكم وقداستكم؟  
هارون: لاتتحدث بهذا الأسلوب.. تحدث باللغة العربية البسيطة بصراحة  
ابن العشيرة. لماذا انزويت؟

فضل: وهل أبقى البرامكة مكانا لأحد؟ من لم يكن منهم فليس من حقه  
ان يظأ قدميه القصر..

هارون: (يأخذه على حين غفلة) منذ متى أصبحت برمكيا أو لست الآن  
داخل القصر؟

فضل: (يتغير لونه). بواسطة (يمد يده الى عبدالله) هذا سمح لي بدخول  
القصر.

هارون: عذرك أقيح من خطئك.. وهل عبدالله من البرامكة أيضا؟ اتقول  
من لم يكن برمكيا فليس له حق الدخول في القصر.. وها أناذا  
جالس داخل القصر مع عدوين لدودين للبرامكة. (بغته) أخبرني..  
هل لديك غرض خاص؟ أم كتبت هذا التقرير وتحدثت بهذه  
الكلمات بسبب انكسار خاطرك؟

فضل: مولاي.. أعداء مهزومون من لا يريدون علو شأن للدولة العباسية  
بواسطة العرب.. ايران مسقط رؤوسهم.. يجب أن يكونوا خدما  
وعلمانا لنا لا أن..

هارون: (يقاطعه) إنهم دخلوا في الإسلام، ولا مكان للحدود والجنس في  
الإسلام. (بغضب) أنا خليفة المسلمين.. كان والدي عربيا ابن  
جارية.. وكذلك جدي المنصور وأنا بنفسني أيضا.. ومسقط رأسي  
في مدينة (الري) مدينة ايرانية.

فضل: مولاي هؤلاء الموالي لا يفكرون هكذا.. إنهم مثل ابي مسلم  
يزمعون الهروب إلى خراسان ليتمردوا هناك.. اعلم ان أولئك

الأعاجم قد تمردوا مرارا وأعلنوا الثورة.. ومن المؤكد أن البرامكة  
سيثيرون الفتنة والاضطراب يوماً. لكي يطردوا العرب من  
ديارهم.. وحتى يبسطوا بساطهم المستقل مرة أخرى.

هارون: (يلتفت إلى عبدالله) من الغد سيستقر هذا الرجل في دار  
الخلافة، دون أن يعلم أحد بأن في الدولة الإسلامية وزارة باسم  
وزارة التجسس.. يجب أن تنفذوا لي هذا.. شكلوا مؤسسة  
المخابرات.. انا وحدي أرى تقاريركم وتقارير جواسيسكم.. ويجب  
أن لا يرى تلك التقارير حتى يحيى البرمكي.. وكم تريد من المال  
أضعه تحت أيديك (يلتفت إلى فضل).. كيفما خدمت والدي..  
(يضحك) وشقيقي (الهادي) ستخدمني هكذا.

فضل: (يشحب لونه). مولاي.

هارون: (الفضل) لكي لا تضطر أن تعطي تقاريرك للوزير البرمكي،  
أمنحك رتبة رئيس الحرس، لتستطيع أن تراني متى ماشئت،  
عملك مرتبط ببغداد.. هل فهمت؟

فضل: أجل.. مولاي.

هارون: (لعبدالله) عدا الأعمال الأخرى ستؤسس دائرة من الجواسيس  
لخارج بغداد.. أريد أن تنفذ مهامك بأسرع وقت.. وقل كم من  
المال تريد؟

عبدالله: انا في ظل لطف وعناية خلفاء آل عباس.. لست سوى شحاذ  
صغير. لا اريد أن أطلب شيئاً لخدمة الإسلام والدولة العباسية.

هارون: (بابتسامة) أحسنت لبعد نظرك.. كل من في هذه المدينة يعطيني  
قليلا من الماء أو شربة عصير.. ينتظر أن أكافئه بمائة الف دينار.  
عبدالله: ذلك ذنب البرامكة الذين عودوا الناس على أخذ المكافآت.

فضل: مولاي من الأحسن أن تعرفوا بدقة من أين لهم كل تلك الثروات،  
عشرات القصور الفخمة، المئات من بساتين الفواكه، لا عدّ ولا  
حصر لأموالهم ومجوهراتهم.

هارون: إنهم على حق بعض الشيء عندما يقولون: ان ثروتهم هي من  
معبد (نوبهار) واخبرت أيضا أن الاثرياء الايرانيين يرسلون لهم  
الأموال سرا..

عبدالله: إنهم قريبون من خزينة الدولة.

فضل: مولاي.. سمعت أنهم يأخذون الرشاوى من المتنفذين.

هارون: ممن سمعت هذا؟

فضل: من ناس.

هارون: أي الناس؟

فضل: أناس في السوق.

هارون: ماذا يقولون؟

فضل: الذي قلته.

هارون: رغم أنني لم أدخل بين الناس.. إلا أنني موقن أن الذي تقوله، تود  
أن يردده الناس أيضا إنك لا تتجرأ أعلى إظهار رغبتك، وتريد أن  
يصل الى ألسن الآخرين ويشيعوه.

فضل: مولاي.

هارون: (يقاطعه) أو تظننا صما وعميا.. ان لدينا عشرات العيون  
والأذان بين الناس، ارسل أناسا ذوي عيون حادة وأذان صاغية  
واملاً زوايا قصورهم بالعيون والأذان.. هل فهمت؟ (يمد يده يجلب  
كيسا من النقود) هذه مائة وخمسون ألف درهم.. باشروا العمل  
غدا، انت وفضل تعرفان عملكما جيدا.

عبدالله وفضل: (معا) امركم مطاع.

هارون: أخبروني بأسرع وقت، ماذا يفعل يحيى بن عبدالله في قصر جعفر  
البرمكي. وماذا يدون له كاتبه، كذلك أريد أن أعرف بدقة ماذا  
يفعل (موسى بن جعفر) المعروف بـ (الامام الكاظم) وما نوع  
علاقته بأسرة البرامكة؟

عبدالله: مولاي.. كان الأوفق التفكير في هذا العمل قبل هذا الوقت..  
لكن لا يزال أمامنا الوقت، منذ الغد سأرسل رجالا الى (بلخ) رغم  
أن بغداد هي مركز فسادهم لكن أعتقد أن لعبية أبي مسلم  
ستسأنف هناك من جديد.

هارون: من الغد باشروا بالعمل. يجب أن أطلع على الأمور بأدلة، لكي  
أكون متيقنا (كمن يتحدث لنفسه يتكلم دون انقطاع) غدا..  
غداً..

\*\*\*

عباسة: تلك هي علة اسرتنا القاتلة.. هي وسرعة التصديق بحيث لو اختلف شخصان ووصل أحدهما الى هارون قبل الآخر فالويل لذلك الآخر.

جعفر: هارون أخوك وصديقي.. لا اعرف ماذا أقول.. صحيح أنه شخص مثقف، ذو عقل كبير رحب الصدر ومعطاء. لكنه من الناحية العاطفية متردد.. إذا جلس في محفل ديني يستحيل تقبلا لا مثيل له.. أحيانا يصلي مائة ركعة، ويذهب إلى الحج راجلا، وإذا جلس في مجالس الشرب والطرب يظهر وكأنه ولد لمثل تلك المجالس.. ويحدث أن يغني...

عباسة: صوته عذب؟

جعفر: أحيانا.

عباسة: الذي أعرفه. أنه أحبكم كثيرا في البداية بحيث اعتبر نفسه واحداً من اسرتكم.. بالأخص والدك يحيى كثيرا ما سمعته يدعوه (أبي).

جعفر: كان هذا في بداية حكمه.. كان همه الأكبر أن يرضينا، لاسيما والدي، وكان يعتبر نفسه مدينا له، يبدو أن والدته (خيزران) تحدثت له عن كل شيء في ذلك الوقت.. والذي يدهشني أكثر هو أن هارون كلما تقدم في العمر يزداد حبه لسفك الدماء ويفقد الشفقة حتى إنه لم يبق حداً لدمويته.

عباسة: اسأل أيضا.. لماذا اصبح هارون هكذا.. انه لم يكن هكذا في الأصل.

جعفر: قلت لك بتأثير العنصرين الذين من حوله.

عباسة: ألا تعتقد بأن المحيطين به بالأخص الذين يوشون بكم هم أعداء هارون ايضا اعتقد أنهم الأعداء الرئيسيون لهارون، في المرحلة

## المشهد الثاني

(في بيت جعفر.. جعفر وعباسة)

جعفر: لحسن الحظ أن اخاك هارون قد سافر للحج ولم يرك بهذا الشكل. عباسة: شكرا لله.. لم يرني أحد.. في الأشهر الخمسة الأخيرة.. انتفخ بطني كثيرا.. كان حسنا أن سافر هارون.. وولد لنا هذا الطفل الجميل، سأرسله إلى مكة.. إلى كنف شقيقه.

جعفر: شقيقه (حسن) يناهز الثالثة من عمره، وماذا ستسمين هذا الأخير؟

عباسة: طبعاً ساسميه (حسيناً).

جعفر: شكرا جزيلاً.. كأنك في قلبي.. اخترت نفس الاسم الذي نويته.

عباسة: اقول.. استعجل، اعثر على مراسل وابعثه إلى أخيه حسن.

جعفر: مولاتي.. تأمرين.

عباسة: أحس، أو أشم منذ سنوات.. أن هارون، صديقك، لم يعد هارون الأيام الخوالي.

جعفر: تغير.. وتغير كثيرا.

عباسة: ألا تعرف سبب ذلك التغيير؟

جعفر: الحسد.. يحسدوننا عدد من العرب العنصريين، ويصغي هارون إليهم.

عباسة: هارون يصغي إلى الجميع.

جعفر: على الحاكم أن يصغي إلى جميع الناس.. لكن ليس شرطاً ان يكون كل مايسمعه صحيحاً بالضرورة.

الاولى يريدون ضرب الأشخاص المخلصين له.. ويشوهون سمعة الذين هم موضع الثقة. ثم يضربون اصدقاءه، إلى أن يجردوه تماما، لا يبقون له صديقا، يبقونه وحيدا، يجعلونه يخاف حتى من ظله..

جعفر: تقصدين بداية يجعلونه جبانا، ثم يضربونه؟

عباسة: نعم.

جعفر: معذرة.. ليس هكذا.

عباسة: لماذا؟

جعفر: إذا كان الشخص جبانا يصبح كل همه كيفية المحافظة على نفسه، لذلك يزيد من حرسه ومن عدد ذواقي طعامه.

عباسة: (بخوف) واخي الهادي هل كانت حمايته قليلة؟

جعفر: هذه الحالة مختلفة.

عباسة: المهم أنهم يخوفونه. واذا خاف يحاول ايجاد الحجج ليمحو آثار الشخص الذي يخاف منه.

جعفر: أشعر أنك تتعبين نفسك. هناك أشياء أكثر دقة لها صلة بحياتنا كلينا ينبغي أن نبحثها.

عباسة: مثل ماذا؟

جعفر: النفق؟

عباسة: كأنك في قلبي.. يجب أن نغلق هذا النفق في اسرع وقت، اشتر بيتا -بسيطا- في ضواحي المدينة، سنلتقي هناك بالملابس الرثة والأقنعة.

جعفر: حسنا.. من الغد سنغلق النفق، وبعد أيام سأشتري البيت الذي تقصدين..

\*\*\*

## المشهد الثالث

(في أحد أحياء بغداد، عباسة، جارية، رجل عجوز، اربعة اشقيا  
الوقت فجر، الأشقيا اربعة يهاجمون الرجل العجوز الذي يجر  
لجام فرس عباسة ويقتلونه، يهجمون على الجارية وعباسة..  
يمسكونها من خصرها.. تنزع عباسة نفسها وتنفلت منهم، وتهرب  
وتصل إلى حارس يحمل مشعلا بيده اليسرى وفي يده اليمنى  
هراوة).

عباسة: (تبكي بانفعال) أنجديني..

الحارس: ها.. ماذا هناك؟

عباسة: أنجديني.. أنا امرأة محترمة كنت مع صاحب لجام فرسي وجاريتي،  
هجم علينا اربعة أشقيا.. قتلوا صاحب اللجام واختطفوا جاريتي،  
ألحقهم.. أنجد..

الحارس: إذا أنت امرأة محترمة وعفيفة فماذا تفعلين في هذا الفجر في  
هذه الدروب والأزقة؟

عباسة: حذار من لسانك.. أنا الآن في وضع سيء.. انقذني.. هؤلاء  
الأشقيا..

الحارس: لاتتحدثي بهذه الأباطيل.. انا حارس، اذا كانت لديك شكوى  
فتفضلي اعبري هذا الجسر واذهبي إلى ذلك الباب، إنها بناية  
المحكمة، انتظري هناك حتى تبرز الشمس، وقدمي شكواك.

عباسة: (ترتجف خوفا) المحكمة؟



الحارس: (باستخفاف) قليلا في الجهة الثانية من نهر دجلة (يضحك مقهقها). هؤلاء الرجال يقتربون منك.

عباسة: (كمجنونة) يا عديم الشرف.. أنت حارس.. ام.. (تبكي).

الحارس: قولي ماشئت.. لا آبه بك.. أنت لاتعرفين كم هو أجري اليومي، أسألك أليس من الحماسة أن أعرض حياتي للخطر مقابل ذلك الاجر الزهيد؟ (يدور حول عباسة وينظر إلى جسدها بدقة). الشقي (١): (يتقدم من بعيد يلقي تحية على الحارس بصورة هزلية..

لعباسة) تعالي لنذهب لا تضيعي وقت هذا الحارس المحترم هباءً.

عباسة: (تلتفت إلى الحارس باكية) أيها الجبان التافه، انظرني جيدا، ولاتنس ملامحي، سافعل بك ما لا تفعله الرياح بالحيم المتهرئة.

الحارس: (ينظر الى ملامحها بدقة متناهية ويطوف حولها). وا.. وا.. يا لهذا الجسد والأرداف، وهذا الصدر الناهد والجيد الرفيع.. وا..!

الشقي (٢): ايتها العاهرة.. اقليل ما سرقته من نقودي.. وتهديدين هذا الحارس المحترم هكذا؟

عباسة: (باكية) يا عديم الشرف.

الشقي (١): (يضحك) أنت محقة.. ماذا أفعل بالشرف؟ هل أستطيع أن أتناول وجبة طعام بسعر (الشرف)؟

الحارس: مع أنك عاهرة لكن تتباهين بنفسك كثيرا، قولي لي لأعرف، من أنت لتهدديني هكذا، (يقترب الاشقياء الثلاثة الآخرون رويدا رويدا يصلون إلى حيث الحارس وعباسة) يبدو أنك جد سوقية.

عباسة: (بأقصى الانفعال) ايها الحقيير، وعديم الشرف.. انا عباسة.. ابنة المهدي.. أخت هارون الرشيد.

الشقي (١): (يقترب من عباسة ويعفظ لها) هكذا إذأ. وأنا أيضا

هارون الرشيد والمرأة التي كانت معك، وكانت في حضني قبل لحظات هي السيدة (زبيدة) ايتها العاهرة ألا تخجلين من اختلاق مثل هذه الأكاذيب؟ (يضحك الاشقياء مع الحارس بصوت عال، كأنهم من معارف الحارس، يضعون الأيدي فوق كتفيه ويعطونه بعض النقود).

الحارس: تفضلوا يا أصدقاء ضاجعوا عباسة بنت المهدي، اخت هارون (يغير صوته وبصوت نسائي) كما تشاؤون.. (و بصوت أجش) ثم لاتنسوا احاكم (يذهب بسرعة).

الشقي (٣): هذه الثرثرة فقيرة أيضا. في جعبتها قليل من الدنانير والدرهم (يلتفت إلى الأشقياء الآخرين. لتأخذ ابنة المهدي معنا وعند بزوغ النهار سنبيعها إلى أحد بيوت الدعارة). عباسة تبكي).

الشقي (٤): (يمسك شعر عباسة) نبيعها بشرط أن تكون عاقلة ولاتحدث الضجيج.

الشقي (٣): لم العجلة لبيعها.. لتبقى معنا عدة ليال (تبكي عباسة بصوت عال).

الشقي (٢): قسما بقبر والدك المهدي ورأس اخيك هارون، ان تتفوهي بكلمة أكثر من هذه سأذبحك (الاشقياء يدفعون عباسة وقبل أن يسدوا فمها تصرخ بصوت عال).

عباسة: أمجدوني (في تلك الاثناء يمر هناك ضابط ومعه جنديان يسمعون صراخ عباسة).

الضابط: (يواجه الأشقياء بغضب) دعوها (يقف الأشقياء).

الشقي (١): (يقدم للضابط تحية عسكرية). ايها الضابط المحترم. هذه المرأة أختنا. انها مجنونة لاتعرف نفسها -تعودت على الخروج كل

الضابط إلى عباسة). تريدون تسليمهم لمحاكمتهم (يثن الشقاة موثوقين على الأرض).  
عباسة: شكرا جزيلاً.. ارجو أن تجدوا لي جاريتي..  
الضابط: (يومئ إلى الجنديين ويتحريان تلك الأنحاء ويجدان الجارية ملطخة بدمائها.. وعندما يراها بتلك الحالة يغضب كثيرا يلتفت إلى الجنديين) تعرفان أي عضو منهم تقطعانه. (يباشر الجنديان في العمل يرتفع صراخ الشقاة عالياً، عباسة ترفع جاريتها بذراعها وتلتفت إلى الضابط).  
عباسة: أريد أن أعرف اسمك.. أنا مدينة لك.  
الضابط: اسمي طاهر بن حسين.. من فوج خراسان.  
\*\*\*

ليلة- إلى الدروب والأزقة.. تقطع الطريق على السابلة، عنوة.. نخشى أن تسيء إلى سمعتنا، وها نحن نأخذها إلى مستشفى المجانين.  
عباسة: (تفلت نفسها، وتهرع إلى الضابط) هؤلاء لصوص وقطاع طرق، قتلوا صاحب لجام فرسي، وخطفوا جاريتي، اتوسل سيدي انقذني من برائن أولئك الشقاة.  
الضابط: (للشقي (١) لا اصدق كلامكم إذ تفوح منكم رائحة الخمر، يبدو أنكم سكارى جداً وشربتم كثيرا ولم يفتح باب مستشفى المجانين في هذا الوقت المتأخر.  
عباسة: (باكية) أيها المغوار الشريف.. أنا زوجة رجل ذي شأن.. لا أعرف هؤلاء أصلاً انقذني اتوسل إليك أنجذني..  
الضابط: (بصوت جسور وجدي) الذي كان ضروريا أن أفهم قد فهمته..، هيا اتركوا هذه المرأة وامضوا في طريقكم..  
الشقي (٢): إنك مخطيء كثيرا.. من الأحسن أن تذهب أنت في طريقك ولا تتدخل في هذه الامور.  
الشقي (١): لماذا تدافع عن هذه العاهرة.. امرأة في هذا الفجر تتجول بين الدروب والأزقة مهنتها معلومة.  
الشقي (٤): تريد أن تنزعها من أيدينا وتأخذها لنفسك. انك مخطيء جدا.

الضابط: (يفهم الجنديين بالعين. فيستلان سيفيهما بسرعة. ينتبه الأشقياء ويخرجون سكاكينهم ايضاً، لكن الجنديين يشدان وثاق الشقاة الأربعة في غمضة عين. ويسحبانهم من آذانهم ويرميانهم تحت قدمي عباسة، ثم يقطعون آذانهم بسكاكينهم هم. يلتفت

تضربوه مائة جلدة وتسحبوا عنه ختم الوزارة.. يبدو أنني كنت متسرعا.

عبدالله: كلا.. مولاي كان من الأفضل أن تسلمه رأسا إلى (مسرور).  
هارون: كلا.. اذهب واحضر لي يحيى (يخرج عبدالله.. وبعد قليل يدخل ومعه يحيى البرمكي).

يحيى: مولاي.. سلاما.. (هارون لا يرد على سلامه) أطلب من كرمك أن تعفو عن أخيك في الرضاعة (فضل) من مائة جلدة.  
هارون: لقد عصاني، ووقف بوجهي، تحدث بكلام تافه، وبدلا من القضاء على اعدائي الألداء. يؤويهم في أجمل قصوره، لا اعرف إلى متى أتحمّل تصرفات ابنك (فضل) نصيبته حاكما لخراسان. إنك تعرف جيدا أنهم قدموا الشكاوى ضده -إنه سخر جل اوقاته للتسلية واللهو.

يحيى: (ينكس رأسه وابتسم عبدالله).  
هارون: هل تتذكر عندما عاتبت.. والتقطت ريشة وكتبت له رسالة جميلة؟

يحيى: نعم. أتذكر..

هارون: كانت رسالة جميلة جداً أتذكر منها حين كتبت: يا ولدي كن منهمكا بالأعمال التي تمنحك البهاء. وكن صبورا عندما يحين الليل فإنه يغطي جميع المثالب بلونه، حينئذ افعل ماتريد. الليل نهار لذوي الألباب.. احذر. أن تنجز الأعمال المشبوهة إلا في الليل.. لأن الليل سيغطيها بلونه.. انشغل بملذاتك الخاصة، فملذات الحمقى بادية امام العين ومكشوفة ويحاول العدو التعرف على عقولهم من هذا الطريق.

## المشهد الرابع

(في ديوان الخلافة.. هارون وعبدالله بن مالك).

عبدالله: (بابتسامه). مولاي يحيى البرمكي جالس في الخارج ينتظر المثلول بين أيديك.

هارون: لينتظر.

عبدالله: كان يحيى يدخل إلى ديوان الخلافة دون استئذان شخص أمير المؤمنين..

هارون: اسكت. لقد ولي ذلك العهد. تظهر لي الأمور يوما بعد يوم ويتوعدة بصورة اكثر دقة. منذ سنة قلت لفضل بن يحيى البرمكي أن يسمم موسى الكاظم ويقتله، لكنه يؤويه في مقره كالمملك. يجد كل مرة تبريرا على اساس أن الشيعة سيقومون ثورة.. ويسمعني هذه الترهات.

عبدالله: لا اعتقد انه سيقدم على مثل هذا الأمر قط.

هارون: لي نفس الرأي. بالأمس ارسلت في طلبه قلت له ماذا فعلت؟ فقال متغابيا بصدد ماذا؟ قلت بصدد موسى الكاظم.. لكن كان صلفا ووقف بوجهي قائلا: متى تتخلون عن هذه الاسرة. كذلك قام جدك ابو جعفر بتسميم الإمام جعفر الصادق.

عبدالله: (باندهاش) وبعد؟

هارون: ضربت على فمه وقلت له: صحيح أنك أخ عزيز.. لكن هذا لا يعني أن تكون صلفا وتقف في وجهه الخليفة.. لذا قررت أن

يحيى: لك ذاكرة حية.

هارون: انتبه إلى تصرفات أولادك.. لقد أسأؤوا إلى سمعتنا.. ما الذي لم يفعله فضل مع الخزيين؟ ان تبهيرات ابنك المجنونة.. أقصد يضجرني جعفر.. ماذا يعمل كل أولئك الشعراء والكتاب والمؤرخون في قصور جعفر؟ طلبت من فضل أن يسمم موسى الكاظم.

يحيى: يجب ان تنفذ اوامر الخليفة.. لكن موسى الكاظم ليس شخصا مجهولا.. وليس من الأمراء والحكام والقادة، كي نلصق به تهمة المخالفات ونقضي عليه.. مولاي. ان له آلاف المريدين.. وعندما أمر المرحوم والدك بإطلاق سراحه.. كان يحضر دروسه اربعمائة طالب يوميا.

هارون: (بغضب) لا تسفسط كثيرا.. انتم البرامكة خبراء في السفسطة والكلام. هناك عدد كبير من الزنادقة والمخادعين في ديوانيتك، جمعتهم باسم كونهم من الفلاسفة يبدو أنهم هم الذين يعلمونك مثل هذه الأراجيف، وماذا تقولون عن يحيى بن عبد الله. فهو ليس بذي مرتبة أو درجة؟ ابقى ابنك جعفر موسى الكاظم حيا في قصره حتى الآن. لو أمرتك الآن لتقتل اصغر خادم للعلويين ستورد نفس الأدلة والتبهريرات. احذر لو سمعت ان موسى الكاظم باق على قيد الحياة. فساضرم جحيما واحرق فيها الأخضر واليابس. اعلم: حين استقبلك يجب أن أكون قد سمعت نبا موت ذلك الرجل قبل مجيئك.

يحيى: تأ.. مرو..ن.. الذي لم يفعله فضل سأعمله انا.

هارون: حسنا.. عفوت عن جلد فضل من أجلك وامرت (سندي بن

شاهك) والي البصرة. أن يخرج الإمام موسى الكاظم من قصر فضل ويدخله في الزنزانة.. ثم تعرفان عملكما أنت وسندي جيدا...

يحيى: امرك مولاي.

\*\*\*

عبدالله: (يخرج ويجلب معه الجنديين.. ينحنيان وينظران إلى عيني طاهر).

هارون: هل رأيتما هذه المرأة؟

الجندي (١): مولاي لم أرها ابدا..

الجندي (٢): إنها اول مرة أرى هذه المرأة..

هارون: (يلتفت بغضب إلى عبدالله) ليدخلوا ذلك الحارس.

عبدالله (يخرج ويدخل الحارس معه، ينحني الحارس).

هارون: (يشتمز من ملامح وهيأة الحارس. بغضب) هل تعرف هذه المرأة؟

الحارس: (يرمقها بدقة) أجل.. اعرفها.. هي تلك المرأة الكذابة التي كانت تزعم أنها عباسه أخت الخليفة..

هارون: واثق أنها هي؟

الحارس: (يقترب منها أكثر ويطوف حولها) مولاي هي نفسها.

هارون: في أي وضع كانت عندما رأيتها؟

الحارس: كانت في أحضان الأشقياء رأسها عار، كانت تبدو كأنهم رفعوها من الأرض.

هارون: قلت كان رأسها عاريا.

الحارس: نعم.. مولاي..

هارون: ماذا كان لون شعرها؟

الحارس: (يشحب لونه) مولاي.. كانت الدنيا ظلاما. لم أرها بصورة..

هارون: ألم يكن معك مشعل؟

الحارس: (ترتجف شفثاه) نـ.. نعم.. كان معي..

هارون: حين رأيتها في أحضان الشقاة (بهدهوء كبير) ماذا فعلت؟

الحارس: أ.. أ.. نا..

## المشهد الخامس

(دار الخلافة.. هارون على العرش.. عبدالله بن مالك.. طاهر

حسين، عباسه، جنديان، حارس وفريده).

عبدالله: (يهمس شيئاً في أذن هارون).

هارون: جميعهم؟

عبدالله: نعم.. مولاي. عبدالله: نعم مولاي: لذلك الحارس علاقة مباشرة بدائرنا السرية.

هارون: أسمعهم، واحدا بعد الآخر لأسمع منهم.

عبدالله: امرك مولاي (يخرج، وبعد برهة يدخل ومعه طاهر، ينحني طاهر ويقف بين يدي هارون)

هارون: سمعت أنك انقذت امرأة من أيدي شقاة بغداد، هل تعرف من هي تلك المرأة؟

طاهر: نعم.. امرأة كانت تقول: إنها تخدم في حريم جلالتكم وخياطة نساء الحرير..

هارون: (يمد يده يزيح الستارة خلف العرش ويسحب عباسه.. وقد لبست خمارا).

أكانت هذه المرأة؟

طاهر: (يدقق في ملامحها الشاحبة) كلا.. ليست هي.. إنها المرة الأولى التي أراها.

هارون: (لعبدالله) ليدخل الجنديان..

هارون: قلت ماذا فعلت؟

الحارس: (بخوف) لم استطع فعل أي شيء. كانوا اربعة من الأشقياء، ومعهم السكاكين والهراوات.. والزناجير.. حاولت أن أنقذ هذه المرأة من أيديهم.. (وفي هذه الأثناء تدخل فريدة خياطة قصر الحریم.. تحمل سمانة من ذراعيها.. تدخلان وتحنيان.. توقف فريدة سمانة وهي بدورها تقع على حذاء هارون).

فريدة: مولاي.. مولاي الخليفة. يكذب هذا الرجل العايب. لقد رأى ماذا كان يفعل بي الأشقياء. وينظر الي ويضحك (تمد يدها نحو سمانة) وورطنا هذه الجارية أيضا. مولاي.. أضافه: إلى تقاعسه عن عمل أي شيء لنا.. فقد أخذ منهم الرشوة: (تبكي بشدة).

هارون: لا تحزني.. لنسمعه كذلك.. (يلتفت إلى الحارس) أتعرف هذه المرأة؟

الحارس: لم أرها قط ولا أعرفها.

هارون: (لفريدة) إذاً اين كنت تذهين تلك الليلة؟

فريدة: (تبكي) مولاي.. كانت أختي حاملا.. ذهبنا انا وسمانه إليها، كانت الولادة عسيرة جداً (تبكي بشدة) أختي تعيسة.. ولدت طفلا جميلا ميتا.. كادت أن تقضي نحبها معه، فأعادها الله ورحمنا.. مولاي..

هارون: (للحارس والإشارة لعباسة) قالت هذه المرأة أنا عباسة ابنة المهدي واخت هارون الرشيد..؟

الحارس: نعم.. مولاي.. هكذا قالت (يمد يده إلى فريدة) لكنني لم ار هذه قط..

هارون: انت: ألم تدافع عن هذه المرأة التي قالت أنا اخت الخليفة؟

الحارس: مولاي كما عرضت لمقامكم. لم استطع مواجهة اولئك الأشقياء الأربعة العفطيين وحاملي السكاكين..

هارون: (يقذف محجته للحارس ويصيب جبينه، فيجري الدم من على وجهه) أيها الملعون أي حارس أنت؟ (يلتفت إلى عبدالله) سلمتم أموال وأعراض الناس إلى أنذال مثل هذا.. (يلتفت إلى الحارس) لا اقتلك.. لكن أجعلك تتمنى الموت.. مسرور.. مسرور: (يدخل وينحني) أمرك مولاي.

هارون: يمسك مسرور الحارس من خلف عنقه، ويدفعه إلى الخارج) سملوا عينيه واقطعوا لسانه.

عبدالله: (يريد أن يدافع عن الحارس) مولاي.

هارون: اسكت انت.. هذا التافه له اتصال مباشر بدائرتك (لطاهر) لماذا قطعت آذان الأشقياء.. حسناً ولماذا قطعت أعضاء ذكورتهم.. ثم ماتوا.. والأفصح.. لماذا قتلتهم؟!

طاهر: (يمد يده إلى فريدة) قالت هذه السيدة إنها خياطة قصر الحریم.. واعتدوا على جاريتي فأحسست أن هذا الاعتداء موجه مباشرة إلى شخص الخليفة والخلافة وقصر حریم الخليفة.. لذا فعلت ذلك.

هارون: (يعجبه كلام طاهر) ليس تأديب الأشقياء من مهمة ضابط الجيش.. اذهب فأنت حر.. يجب ان يكون هذا آخر مرة اسمع مثل هذه الأخبار عنكم. من أي فوج؟

طاهر: من فوج (مرو) جيش خراسان.

\*\*\*

درة: قلت الآن. إن بداية ونهاية مصائب الدنيا هي المرأة!

يحيى: ما عدا مشكلتنا.

درة: يبدو أنه لا مشكلة لديكم.. وحتى لو كانت فهي ناقصة.

جعفر: ارجو عدم تعميق الموضوع. لنأت إلى أصل المقصود (ليحيى)

بالأمس قال لي هارون: اريد أن تطمئنني كما فعل السندي

والدك.. أنهما انقذاني من مخاطر فتنة وثورة موسى الكاظم..

أريد أن تقضي أنت أيضا على يحيى بن عبدالله بشكل لا يعرف

أحد ولا يشك بأنه قد قتل. اريد أن تقتل يحيى وتخلصني..

وانا..

يحيى: (يقاطعه) ماذا فهمت من أمر هارون هذا؟

جعفر: شيئين.

يحيى: اولهما؟

جعفر: يخافكم.. يريد أن يبدد خوفه عن طريقنا.. يعتبركم أعداء عرشه.

يحيى: وثانيهما؟

جعفر: ويخافنا ايضا يريد أن يبدد الخوفين معا.. وأن تتلطح أيدينا

بدمائكم.

يحيى: ماذا قلت للخليفة؟

جعفر: قلت له.. مولاي.. تحريت جميع الأشياء بدقة ووصلت إلى

قناعة.. مادتم أعطيتموه وثيقة الأمان. فقاطعني ومد يده إلى

خلف رأسه وأخرج كتابا فيه رسالتان. وقال لي: هذه وثيقة أمان

يحيى فمزقها.. وهذه.. يا لهذه.. وتنفس الصعداء.. وعض على

نواجذه.. هذه رسالة موسى الكاظم.. كتبها لي قبل أن يقتلوه.

يحيى: ألم تعرف ماذا كتب؟

## المشهد السادس

(بستان خارج بغداد.. جعفر البرمكي، درة جارية جعفر، يحيى بن

عبدالله).

جعفر: (ليحيى.. ويمد اليد الى درة) اطمئن الى هذه الجارية. تستطيع أن

تتكلم بصراحة. هذه الجارية اسمها (درة) أهداها لي هارون قبل

عشرة أعوام.. ان كانت قد عاشت بيننا عشرة أعوام فماذا

تصورها الآن.

يحيى: إنها امرأة.. والمرأة هي الوجه الثاني للشيطان.

درة: (ليحيى) اذا.. أنت ابن الشيطان؟

يحيى: صحيح.. ولدنا جميعا من المرأة، لكن اذا لم ننتبه ستدفننا المرأة

ونحن أحياء.. والعجيب في الأمر.. أنهم يحفرن القبر لمن أحبهن

وخدمهن.

درة: هي هكذا في مخيلتك.

جعفر: اعذراني. لا اريد أن نتحدث عن شيء.. حسمه الله ورسوله

والقرآن الكريم مسبقا.

درة: يجب أن تفسر تلك الآيات بشكل أدق.

يحيى: لا يمكن تغيير الآية. إنها نص صريح. ولا يحق لأحد أن يغير من

القرآن الكريم.. ماقلت أن المرأة بداية ونهاية مصائب الدنيا.

درة: يبدو أن المشكلة والمصيبة بينكم وبين آل عباس سببها المرأة؟

يحيى: مشكلتنا هي الحق والباطل.. مشكلة الصدق والكذب.

جعفر: نعم قرأها لي مرتين أو ثلاثا.. وقرأها لنفسه بصوت عال تسع مرات. كان يهدد ويقول: يجب أن أبيد ذكور واث وكبار وصغار العلويين كان غاضباً حتى زيد فمه.

يحيى: ألا تتذكر شيئاً من الرسالة؟

جعفر: أقول حفظتها.

يحيى: ماذا كتب؟

جعفر: كتب: من موسى الكاظم الى هارون: كلما انقضى يوم من محنتي وعذابي، سينقضي أيضاً يوم من عيشك وصفائك ورفاهك، ستنقضي ايامي وأيامك ونصل إلى زمن لا ينتهي ابداً. وان ذلك الزمان سيوصل الجاني إلى عقابه.. واعلم جيداً أن لا رفاك ولا سعادتك أبديين، ولا كدي ولا عذابي أيضاً.

يحيى: يجب أن يكون السيد والامام هكذا.

جعفر: تلك الرسالة دفعتني أن أتصرف معك هكذا.. كنت وعدت الخليفة أن أقتلك، لكن جئت بك إلى هنا.. لأقول لك وتعاهدي. اولاً: من الآن انا شيعي المذهب علوي.. والثاني وزير لهارون. لأريد أن يحدث أي تمرد ضد دولة أشارك فيها.. أنت رجل شجاع وتقي. احلف بعد أن تغادر بغداد أن لا تلجأ الى الثورة والتمرد والإشاعات ضد الخليفة بأي شكل كان انقذ بجلدك فقط. ولا استطيع أن أعمل لك أي شيء أكثر من هذا.. لأريد أن تتعرض حياة وخلافة أخي هارون إلى الخطر.

يحيى: (يهز رأسه) أنت تريد الدنيا والقيامة معا. كن صديقي أو حارسا لهارون.

جعفر: هناك أسباب كثيرة لا أستطيع كشفها. لأريد أن أساهم في سفك دماء اسرتكم بأي حال.

يحيى: لكن والدك يحيى أعطى السم لموسى الكاظم وقتله! جعفر: اعتقد ان هذه إشاعة.. لكن من الأفضل ان لا نتحدث عن هذا الجانب، اذا كان لوالدي يد في ذلك العمل فعلاقته بينه وبين ربه.. لن يقع عليّ وزر ذنب اقترفه هو.. في ليلة الغد ستخرجون من هذا البستان مع أربعة رجال موثوقين سيوصلونك إلى حدود الروم رتبت كل شيء.

يحيى: لا ارغب في أن ترسلني إلى تلك البلاد.

جعفر: من الأسهل لي إرسالك إلى خراسان. لكن هناك سيجمعون حولك ويجبرونك على اعلان الثورة وإلا فانهم سيععلنونها ضدك. باختصار لا أريد تكدير هدوء خراسان.

يحيى: لا أدري: كيف يسمح لي (بطريكوس) أن ادخل بيزنطة؟

جعفر: إنهم اهل الرشوة. انقذت العلويين عدة مرات من هناك بالمال، وسندفع لهم أكثر من اجلك.

درة: (لجعفر) قلت. انا منذ الآن شيعي وعلوي لكن تقول إنك أنقذت العلويين عدة مرات!

جعفر: كنت دائماً مع أن لا يقتل البريء.. وعرفت أنهم أبرياء لذا أنقذتهم من هناك.

درة: هكذا!!!

\*\*\*



جعفر: إنه من ذرية رسول الله.  
هارون: ألم أمرك؟ وأنا من ذرية من؟  
جعفر: بلى.. أمرتني. لكن لأستطيع إجابة جده في القيامة.. أنا لست  
بقاتل.

هارون: (بابتسامة) هيا الآن أجب ذرية الرسول، هل تؤمن بيوم القيامة؟  
جعفر: الحمد لله.  
هارون: قلت لست بقاتل؟!  
جعفر: بلى.  
هارون: من الذي أعدم منجما قبل اثني عشر عاما؟  
جعفر: أنا.

هارون: اذاً.. كيف تقول لست بقاتل؟!  
جعفر: تكهن أنكم تحكمون مدة قليلة وتموتون. وسألته: هل تستطيع أن  
تري مستقبلك؟ قال نعم: قلت كم سنة أخرى ستعيش؟ قال:  
اربعين سنة.. لذا قررت أن يعدموه هناك فوراً يموت واكذبه،  
ويطمئن قلب الخليفة المقدس.

هارون: أوليس قلب الخليفة الآن بمقدس؟  
جعفر: بلى.. إنه مقدس دوماً.  
هارون: ألم أقل لك: ليطمئن قلبي؟ (بهدهوء) وماذا فعلت بذلك العلوي  
الخائن؟

جعفر: حصلت منه على العهد أن لا يتمرد ضد الخليفة والخلافة. وأرسلته  
إلى بلاد الروم.. وأبعده..  
هارون: كيف ابعده؟ فليست بلاد الروم مشاعة دون بوابات وحرس..  
يذهب اليها كل من يريد ويستقبل هناك؟

## المشهد السابع

(دار الخلافة.. هارون وجعفر)

هارون: حسن أن نعرف أخبار صديقنا القديم.. ماذا حدث له؟  
جعفر: أي صديق؟  
هارون: ذلك العلوي الظالم الذي أعلن الثورة ضدي. الذي سلمته لك  
لتقتله؟

جعفر: (بخوف) مولاي.. لقد قضي عليه.. دفن في مكان بعيد.  
هارون: أين ذلك المكان؟  
جعفر: في الصحارى.

هارون: (يهز رأسه) حقاً.. حدث له ذلك؟  
جعفر: متى كذبت أمامكم.. حتى تصبح هذه المرة هي الثانية؟  
هارون: أمتيقن بأنه مات ودفن؟  
جعفر: نعم.. يا أمير المؤمنين.

هارون: لكنك لم ترغب أن يموت..!  
جعفر: مصلحة الدولة أكبر من رغباتي.  
هارون: هل تقسم برأسي.

جعفر: (بخوف) لم لا تصدقني؟!  
هارون: (بغضب) اقسم بمنيتي أنك قتلت ذلك العلوي.  
جعفر: يا أمير المؤمنين لا أستطيع أن أكذب.. لم أقتله.  
هارون: لماذا؟

الحائظ حتى يموت جوعا وعطشا. لا ينبغي أن يسمم هذا.. ولا يقتل  
بالسيف والخنجر، يجب أن يموت من الجوع والظمأ، سيماه قبيح،  
عندما يموت سنعلن انه هرب ومات في الصحراء.. هل فهمت؟  
جعفر: اجل.. مولاي.  
هارون: وانت من اليوم لن تبقى وزيراً سأبعدك إلى خراسان.  
جعفر: امركم مولاي.  
هارون: لا تبتعد عن بغداد خطوة واحدة من اليوم بدون أمري.. ريثما اعدّ  
لك قافلة الرحلة إلى خراسان.  
جعفر: نعم.. مولاي.

\*\*\*

جعفر: لدي معرفة بكبار رجال الروم.. حينما كنا نحاربهم أصيبت بنت  
أحد كبار رجالهم بداء قاتل أرسل إلي شخصاً فارسلت له طبيبي  
الخاص وأنقذ ابنته من الموت.

هارون: (بحيرة) أنا احتللت العشرات من مدن الروم، وحاربتهم ولم  
أصادقهم، ولم أوساوم معهم.. باعتقادك.. أين هو ذلك العلوي  
الآن؟

جعفر: لا أدري.

هارون: (بصوت عال) هاتوه..

جعفر: (يأخذه الخوف، ويتغيّر لونه، يدخل حارسان.. يحيى بن عبدالله  
مكبل الأطراف بالسلاسل).

هارون: ارسلته إلى بلاد الروم.. ليطلب المساعدة من القيصر ويهاجمنا؟

يحيى: (بصوت مبحوح) أيها الخليفة إنه أخذ العهد مني..

هارون: وماذا تعني العهد؟

يحيى: عندك.. لا شيء.

هارون: (للحراس) اسكتوه (يضربه الحارسان بشدة).

جعفر: أطلب العفو والصفح من أمير المؤمنين لمخالفتي هذه. لقد نفذت  
كل ما أمرتني لكن ليس لي القدرة على قتل أحد.

هارون: (باستخفاف) ضعفت ذاكرتك أيضاً.. وماذا عن المنجم؟

جعفر: قتلته لأنه أهان مقام الخليفة وتفوه بالأباطيل.. لذا قتلته.

هارون: (للحرس) خذوا هذا الرجل (يدفع الحارسان يحيى بن عبدالله إلى  
الخارج).

هارون: أعطيت الامر لعبدالله بن مالك حول كيفية معاقبته.. أن يضعوه  
حيا في طبقات الجدار في سرداب قصر سندي بن شاهك ولا يغطوا

## الفصل السابع

الخليفة بهذا الحدث بأسرع وقت.  
الإمرأة: (تجلب ورقة وريشة وتناولهما فريدة، وبدورها تبدأ بالكتابة)  
مولاتي العظيمة هل لكن أمر آخر؟

زبيدة: نادي الخادم.

الامرأة: (تخرج، وبعد هنيهة يدخل الخادم وينحني).

زبيدة: الا يزال الخليفة في بغداد؟ وهل شرعت قوافل الحجاج بالحركة؟  
الخادم: مولاتي.. تحرك مقدم القوافل، لكن قافلة الخليفة الخاصة ستبدأ  
المسير غدا.

زبيدة: أحضر لي الجواد بسرعة (تلتفت إلى فريدة) هل أكملت كتابتك؟

فريدة: أجل.. تفضلي (تناولها الورقة).

زبيدة: (تأخذ الورقة منها وتقرأها) حسنا.. منذ متى تعرفين هذا السر؟

فريدة: منذ مدة..

زبيدة: منذ مدة؟.. كم هي؟

فريدة: ثماني سنوات منذ حادثة عباسة والأشقياء.

زبيدة: ولماذا اخفيت هذا السر إلى الآن؟!

فريدة: عد.. عد.. باسة كانت تقتلني.

زبيدة: والآن؟

فريدة: لجأت إليك.

زبيدة: ونحن نكافؤك مكافأة لاثقة.. (بغضب) تعرفين ماهي مكافأة  
صمتك هذا؟ (فريدة ترتجف) لو لم تكذبي تلك الكذبة في حادثة  
الأشقياء، لما أصبحت عباسة أمماً لولدين، ولما بقي جعفر حيا، ولما  
استطاع البرامكة تخريب الدولة هكذا. (بجد) لا أقتلك الآن. ربما  
لايصدق الخليفة هذه الرسالة ويطلبك شخصيا. (تصفق ويدخل

## المشهد الأول

(غرفة زبيدة الخاصة- زبيدة، وفريدة وخادم وامرأة).

فريدة: (تدخل وتنحني) مولاتي العظمى سلاما..

زبيدة: (لاترد على سلامها) قرأت رسالتك من الأفضل أن تدخل في  
صلب الموضوع بسرعة.. ماذا عندك من الأسرار وتريدين البوح  
بها.. تكلمي..

فريدة: يا سيادة السيدات.. حياتي في خطر.. هربت من قصر عباسة،  
ولجأت إليك (تعرض لها كتفيها وظهرها) لقد ضربتني عباسة  
ثمانين جلدة، حياتي في خطر.

زبيدة: (بغضب) لا تضعي وقتي.. هيا.. أسرعي.. قولي ما عندك.

فريدة: (تنكس رأسها) أعرف سراً خطيراً.

زبيدة: قولي ماهو؟

فريدة: عباسة أخت الخليفة زوجة جعفر البرمكي.

زبيدة: (بابتسامة) هل كان هذا هو السر الذي أردت البوح به أنا ايضا  
كنت أعرف عباسة..

فريدة: لكن لاتعرفين أن لعباسة ولدين من جعفر، جعفر الذي يعتبر نفسه  
أوفى شخص حيال الخليفة.

زبيدة: (تصفق وتدخل امرأة مسنة وتنحني).

الامرأة: تفضلن بالأمر.

زبيدة: هاتي ورقة، وأعطيتها لفريدة لتكتب كل ما تعرفه، يجب أن نعلم

خلاسي).. خذ هذه المرأة التعيسة إلى السرداب، وقل لجميع الحرس أنها أحلت لكم!! احرسوها عدة أيام ثم أعرف ماذا أفعل بها.

فريدة: (باكية) مولاتي أنا فعلت خيراً معك؟

زبيدة: (تضرب على فم فريدة ويسيل الدم من شفثيها) يا عديمة الشرف، وها نحن نكافؤك على عملك الطيب هذا (للخلاسي) اذهب بها إلى الأسفل بسرعة.. انت لا تقترب منها.. هل فهمت؟

الخلاسي: (بابتسامة) تأمرين.

\*\*\*

## المشهد الثاني

(الليل - هارون، زبيدة، يحيى البرمكي، مجلس هارون مزدهم بكبار الرجال، تدخل زبيدة مباشرة، وينهض الجميع، وينحنون لها. ينهض هارون ويمسك بيد زبيدة ويتوجه إلى الحضور).

هارون: تفضلوا بالإذن. وليبق يحيى البرمكي فقط (يخرج الجميع). (هارون لزبيدة) حسن. أن أتيت.. يحيى البرمكي غير راض ولديه العتاب.

زبيدة: العتاب أم الشكوى، تعود هؤلاء بسبب خادم أو سائس، أو تافه فقط. لأنه من أسرة البرمكي إذا ضربت له صفقة. فيجب أن تصل شكواهم إلى شخص الخليفة.

هارون: كل من يتعرض للغبن. أو صفع من دون حق. فله أن يقدم الشكوى.

زبيدة: عند الخليفة؟

هارون: لدى المحكمة.

زبيدة: شكواهم لديك..

هارون: على مهلك.. وصلت يحيى تقارير كثيرة.. أن بوابات قصرك مفتوحة.. يدخلها الرجال والنساء كثيراً..

زبيدة: (بغضب) عجباً..! لم أعرف هذا الشخص حريص إلى هذا الحد على شرف أمير المؤمنين..

هارون: قصده ليس كما تفهمين. ولا تنفعلي كثيراً..

زبيدة: (لهارون) من الأفضل أن تعطي الأوامر له ولأولاده أن يبعدوا كل أولئك الجواسيس والمخبرين من حولي.

هارون: (ليحيى) أ رأيت هي أيضاً لديها شكواها!

يحيى: سيده السيدات لقد ظهر سوء تفاهم بينكن وبيننا -نحن خدمكم- أمل أن نتفاهم، ويبدو من حديث سيده السيدات أننا مقصرون، أو متقاعسون في أعمال قصر الحريم والأمور الأخرى.. هل فقد أمير المؤمنين الثقة بنا؟

زبيدة: (ليحيى) تأمر كل ليلة باغلاق أبواب قصر الحريم بشكل محكم، وتحمل المفاتيح معك الى بيتك، لكن هناك بعضا من محارم الخليفة يخرجون من القصر بحرية ويغادرون ممتطيات الخيول ويذهبن الى بيوت خارج المدينة ليمنحن مزيداً من البهاء لفسوقهن وفجورهن.

يحيى: (يتكدر لونه). بما أن الخليفة سيسافر غدا إلى الحجاز أرجوه أن يأذن لي..

هارون: (ينظر إلى ملامحه بدقة) تفضلوا (ينحني يحيى ويغادر).

هارون: يناسبك الغضب.. عندما تغضبين تزدادين جمالا، الا ان كلامك هذا لا يليق بمقام الخلافة.. قولي لي بسرعة ما هذا الكلام الذي قلته.

زبيدة: خدعك الزنادقة الوثنيون.

هارون: ماذا حصل قولي بسرعة.

زبيدة: أولئك البرامكة يريدون أن يستولوا على عرش الخلافة.. ولازلت صامتا.

هارون: ألم نتعاهد على ان لا تتهمي أحداً دون دليل؟ إنك تدمين

البرامكة كشيئا منذ سنوات، وسييرتهم على لسانك.. لقد أضجرتني حقاً.. قولي لي هل سترددين ما سبق ام أن هناك شيئاً جديداً؟

زبيدة: (باستخفاف) لماذا لاتسأل عن أختك عباسة التي تتآمر مع أولئك الاوغاد عبدة النار وتريد أن تعيد عهود ملوك المجوس وتضع أبناء الغلمان والجواري على عرش الخلافة.

هارون: (بغضب) كم مرة قلت لك: لاتتحدثي عن أولاد الجواري.. انا والدتي جارية، انا ابن الجارية يسدو أنك تتكلمين هكذا.. على أساس أنني أنوي أن أجعل (المأمون) وليا للعهد..؟ اذا سمعت مثل هذا الزعم فهو كذب. أحج هذه السنة لكي أعلق على جدران الكعبة قراري بأن نجلك الحبيب (أميننا) سيحل محلي من بعدي.

زبيدة: أي زوج وابن عم جبان عندي.. متى كنت غيبيا هكذا! أنت مشهور بالذكاء، لكن أصبحت دجاجة داجنة أمام أولئك البرامكة.. حقاً ما كل تلك الثقة بذلك العجوز الملحد؟

هارون: (بجد) اولا هذا العجوز ليس ملحداً بل مسلم مثلنا كلينا.. أنا أثق به كثيراً، لاسيما حول مسألة قصر الحريم.

زبيدة: حسناً.. اذا كان لديك اعتماد عليه.. فلماذا شق ولده النذل غشاء عفة أختك؟ لماذا حبّل عباسة.. نعم.. مرتين.. ان لدى جعفر وعباسة ولدين.

هارون: (ينهض من مكانه ويمسك شعر زبيدة) ماذا قلت؟ جعفر وعباسة لديهما ولدان..

زبيدة: أجل.. ولدان وإسماهما.. حسن وحسين.

هارون: حسن وحسين؟

زبيدة: يعيش هذان الولدان الآن في مكة المكرمة.

هارون: في مكة..؟

زبيدة: نعم.. وحبا بالعلويين سماهما باسم أولاد علي.

هارون: أولاد علي؟

زبيدة: نعم.. حسن وحسين.

هارون: (يصرخ في وجه زبيدة مثل المجنون) أيتها التافهة الخسيسية..

أيتها المرأة السيئة.. أقسمي لي بإنك لا تكذبين وصادقة ولم

تتفوهي بالسخافات.

زبيدة: أقسم أنني قلت الحق.. أقسم ان لدى عباسية ولدين من جعفر

البرمكي.

هارون: ماهو دليلك؟

زبيدة: أي دليل أصدق من هذا.. أن لديه ولدين في مكة.

هارون: لماذا في مكة؟

زبيدة: ظنت لو مكثا في بغداد لاكتشف سرهما.

هارون: ماهو سنهما؟

زبيدة: أكبرهما عمره ثماني سنوات وأصغرهما ثلاث.

هارون: هكذا.. ثماني سنوات وأنا غافل.. ثماني سنوات ويخدعوني.

زبيدة: أنت الآن قاصد مكة المكرمة.. تأكد هناك من الأمر.. إذا ظهر

خلاف فأقتلني. تفضل هذا هو تقرير فريدة فاقرأه.

هارون: (يأخذه منها التقرير ويقراه). هكذا.. إذا.. هي فريدة نفسها

التي قالت إنني خياطة قصر الحريم.

زبيدة: هي بنفسها.. لقد ألبسك البرامكة تلك الخدعة أيضا..

هارون: اين فريدة؟

زبيدة: عندي.

هارون: أية مكافأة منحت اياها؟

زبيدة: لدي حراس عرب خلّص.. وضعتها في متناولهم.. لكي تشبعهم

جميعا.. لم اعاقبها بعد العقاب الشديد.. خشيت أن

لا تصدقوني.. ربما تريدون لقاءها شخصيا وتسمعون من فمها..

لذلك لم اعاقبها.. ووضعتها في أيدي الحراس يجب أن تشبعهم

جميعا.

هارون: ومن يقول أنها لا تهوى ذلك؟

زبيدة: لا تتحمل مائتي شخص.

هارون: ليس كذلك.. سمعت: أن بعض النسوة قالت: إن الجيش

الإسلامي لن يشبعني.. بالنسبة لفريدة فكري في عقاب انسب.

زبيدة: ألا تريد أن تراها؟

هارون: كلا.. عند عودتك.. أدخلني فيها حديدة ساخنة..

زبيدة: أمرك.

هارون: والآخرين.. البرامكة.. سأدفعهم أحياء.. سوف أفضي عليهم

جميعا.

زبيدة: (بتأن) لا تتعجل ولا تتظاهر هكذا.. بداية انت قاصد مكة

المكرمة، وتأكد هناك من طفلي عباسية وجعفر.. وعند عودتك

ستصفي حسابك معهم.. فاذا شعروا منك بعبس ما.. فرمبا يهربون

الى خراسان وهناك يتمردون ويعلنون الثورة.

هارون: حسناً هكذا سافعل.. حسناً.. جميعهم.. كبيرهم وصغيرهم.

رجالاً ونساءً سأفعل هذا كبيرهم وصغيرهم.. (يكرر كبيرهم

وصغيرهم عشرات المرات).

هارون: (لعبدالله) أريد أن تقوم بنفسك بشق هذه المرأة وتعرف من اين تبدأ.. ابدأ العمل الآن.

عبدالله: ( يشحب لونه) مولاي. إنكم جئتم للحج ولا يستحسن أن يعرف الناس بهذا العمل سينتهزه العلويون..

هارون: حسنا.. في الليل.

عبدالله: أمركم.. سأسلمهما إلى مسرور ليلا..

هارون: (بغضب) حيوان اقتلها بنفسك.. تريد أن تكون رئيساً للجواسيس ولا تقتل أحداً (يلتفت إلى الرجل) وأنت لماذا سكت.

الرجل: (يرتجف ولا يستطيع الكلام).

هارون: (لعبدالله) قطع هذا إلى أربع قطع، وأثناء الليل ارم كل قطعة إلى جهة ما لكي لا تحرم كلاب وذئاب الصحارى من عطاء حجننا هذا..

عبدالله: أمرك مولاي..

\*\*\*

## المشهد الثالث

(مدينة مكة.. هارون، عبدالله، طفلان، امرأة ورجل ومسرور)

هارون: (وحيد.. يدخل عبدالله).

عبدالله: مولاي.. عاد مسرور.

هارون: (عابسا) هل أتى بالطفلين؟

عبدالله: أجل مولاي.. والجارية التي كانت تقوم بتمريضهما مع غلام وجلب معه الطفلين.

هارون: لأرى الطفلين اولاً.

عبدالله: (يخرج ويعود مع مسرور والطفلين، ينحني مسرور).

هارون: (ينظر الى الطفلين بدقة) مسرور.

مسرور: نعم.. مولاي.

هارون: اليوم: تقوم بؤأدهما.. ولا أريد أن يعرف أحد بهذا السر بأن لدى اخت الخليفة طفلين.

مسرور: أمرك مولاي.

هارون: اذهب وابدأ العمل: (يأخذ مسرور الطفلين إلى الخارج).

هارون: (لعبدالله) أدخل المرأة والرجل.

عبدالله: امرك مولاي.. (يخرج ثم يدخل معه المرأة والرجل).

هارون: (بهدهوء تام).. لماذا سكت كل هذه السنين ازاء هذه الخيانة؟

المرأة: (ترتجف هلعا.. لاتقدر على الكلام وتسقط على ركبتيها).



موسى: وضع لي.  
جعفر: في بداية جلوس هارون على العرش، شجعناه جميعا على بناء قصر الحريم.  
موسى: لكي نشغله ويهمل أمور الدولة بسبب النساء كي لا يصبح عائقا في سبيلنا.

جعفر: هذا صحيح، فقصر الحريم هذا ألهب نار الغيرة في زبيدة.. وفي حينه عندما كان هارون خارج بغداد لبعض شؤونه، أرسلت زبيدة في طلبي، ذهبت إلى قصرها الخاص، وكانت متبرجة بصورة تحرك قلب الحجر، وأخذت بيدي إلى غرفة مرصعة بالمرايا جميلة جدا، وقالت: دون تردد كنت أنتظر كل شيء.. الا خيانة ابن عمي هارون لي.. ها قد بنى قصراً للحريم وجلب إليه أجمل نساء الدنيا. يبيت كل ليلة مع بعضهن.. يتلذذ وأنا أحترق، يتوهج هو في أحضان النساء الحسان، وأنا أتخطم في جحيم الغيرة واللهفة.. لذا قررت أن أدافع عن نفسي وأنوثتي بنفس سلاح هارون وقررت أن أخلص لرغباتي وأخون كما هو هارون.. لقد بُهتُ، وظننت أنها تختبرني، تلعثت وأردت الكلام وضعت اليد على فمي.. وقالت: اخترتك لسببين رئيسيين.. اولهما لأنك وسيم قدير.. وأكثر وسامة وإناقة من هارون.. وذلك يظفيء رغبتني الرئيسية. ويمنحني لذة تعادل جميع اللذات التي تمنحها نساء قصر الحريم لهارون.. والسبب الثاني لاختياري اريد أن أخترق أعماق هارون.. لكي أعلم أقرب أصدقائه كيف يخونه.. قلت لها: لست صديق هارون فقط.. بل انا أخوه.. تطلين مني المستحيل.. أطلب المعذرة.. لا أستطيع أن ارتكب هذا.. فاذا بها وقد غضبت وانفعلت كمنمة

## المشهد الرابع

(قرميسين (كرمانشاه) جعفر وشقيقه موسى).

جعفر: دفعت رشاوى كثيرة للحراس لكي أغادر، ووعدتهم بعودتي إلى بغداد قبل أن يعود الخليفة، قبل عشرة ايام جلبت لي ساعية البريد رسالة من عباسة مكتوبة بخط رمزي، والساعية واحدة من محارم عباسة.. وكتبت هذه العبارة فقط (وقع عدد كبير من هذه الرسائل في يد عبدالله).

موسى: انا متأكد أن عبدالله سيجد الذين يكتبون الرسائل بهذا الخط ويجبرهم على تحليل رموزها.

جعفر: يتربص بنا عبدالله وزبيدة بشكل مركز لقد حاصرانا بصورة عجيبة.

موسى: اعرف لماذا يناصبنا عبدالله العدا، لكن لا اعرف لماذا تكن لنا زبيدة ذلك الحقد الكبير!

جعفر: أنا أعرف لماذا.

موسى: لماذا؟

جعفر: (بحزن شديد) كان ذنبنا نحن.

موسى: نحن..؟!!

جعفر: نحن بالدرجة الاولى.. ووالدنا يحيى بالدرجة الثانية.

موسى: لأفهم.

جعفر: معك الحق.. الأمر ليس بهذه السهولة.. لا يصدق..

جريحة.. وقالت: يعني.. انك تحسب نفسك أخاً لهارون، فترفض طلبتي هذا.. أو تريد أن تعلمني الأخلاق.. يا ابن عديم الأخلاق.. هارون يحسب والدك اباه.. لكن يحيى ارتبط بعلاقة مع والدته خيزران.. قلت: أبي ليس زانيا.. له أربع نساء وعشرات الجواري.. لكنها هبت في وجهي وضربتني صفة أسالت الدم من فمي وأنفي.. وقالت لي: حيوان ليس لجميع نساء الأرض طعم (خيزران) بالنسبة لوالدك يحيى.. اذ دغدغته عاطفة مافي دخليته وهي مضاجعة والدة الخليفة.. أريد أن تدغدغك تلك العاطفة أيضاً وتضاجع زوجة الخليفة.. أتعرف ماهو الخليفة؟ هيا.. الآن.. لقد رجوتها وتوسلت إليها وقلت أن هارون أخي.. لكن دون جدوى.. ثم غيرت لهجتها وقالت: جعفر أنا متيمة بك منذ زمن.. عندما يذهب هارون إلى قصر الحريم.. أعيش في حضنك بخيالي حتى تبرز شمس النهار.. قلت أتوسل إليك.. لأستطيع أن أفعل ذلك.. كانت تبكي مثل طفلة وتتوسل.. وكلما ذرفت الدموع أكثر حرارة كنت أصدها أكثر وأرفض.. عندما يئست.. نهضت وقالت بجديفة شديدة: غض الطرف عن كوني زبيدة وزوجة الخليفة. لكن ضع أمام نظرك دائما: أنك أهنت أنوثتي ولطخت كبرياءها.. واعلم أن تلك اللطخة ستزال بدمك.. تفضل.. اخرج.

موسى: هل بحث بهذا السر لوالدنا يحيى؟

جعفر: لا..

موسى: كان يجب ان تنبهه حتى يتعامل بحذر اكثر.

جعفر: اعتقد فات الاوان.

موسى: اعتقد أن من الأفضل أن لاتعود إلى بغداد، تعال معنا إلى خراسان، وطاهر بن حسين هو قائد جيش خراسان. أنا موقن أن زبيدة لن تغفر لك انها مثل هارون ولا تضع أصغر فرصة.. يبدو انها لم تسنح لها الفرصة خلال تلك السنوات. وهارون يسيء الظن بك أيضا.

جعفر: في قناعتي أن سوء ظن الخليفة لم يصل الى الحد الذي تحسبه خطيراً.

موسى: ليس الخليفة وحده.. انت واقع بين حجري الرحي. أحدهما الخليفة والثاني زوجته. لذلك فإن الأمر خطير.. لكن لديك هموم عباسة.. وتعرف كيف ينظر اليها هارون.

جعفر: أعرف.. ينظر إليها بعين الشاري وعباسة تشعر بذلك.. فقلما تنقضي ليالي الطرب والشرب ولا تشارك فيها عباسة.

موسى: أنا مضطر أن أتكلم معك بهذه اللهجة واقول لك يجب أن تتخلى عن عباسة وجميع جواريك. تعال معنا إلى خراسان ضع مصلحة اسرتنا فوق مصالحك الخاصة.

جعفر: أقول، سأعود إلى بغداد.. أحاول أن لا أواجه الخليفة.. سأقتصى الوضع عن طريق عباسة فإذا عرفت أنه غير موات لبقائني هناك سأترك كل شيء واتصل بكم. لكن لا يزال هناك متسع من الوقت وسوف نبدأ.

جعفر: انا سأعود، وإذا وصلت إلى قنعة أن العيش بسلام لم يعد ممكنا مع اولئك العنصرين.. فسأتصل بكم ونعلن الثورة.

موسى: (خائبا). لا يبدو أن اجتماعنا هذا سيسفر عن شيء.. لقد كان الغرض منه: ان تقررنا عدم العودة الى بغداد.. لكن..

جعفر: تريد أن تقول: ان عباسة والطفلين لا يبرحون عيني. وهذا فيه شيء من الحقيقة.. ولكن..

موسى: (يقاطعه) كي لانضيع وقتنا سدى. أنا نحو خراسان. وأنت صوب بغداد الدماء..

جعفر: (ببلادة) ماذا تعني ببغداد الدماء؟

موسى: ألم يقطعوا أمام أعيننا أنا وأنت ووالدنا- وفي يوم واحد ألفا وخمسائة رأس؟

جعفر: كان هؤلاء عصاة.

موسى: اختلاق التهمة سهل جداً للشخص الذي تقرر مسبقاً القضاء عليه..

\*\*\*

## المشهد الخامس

(ديوان الخلافة.. هارون على العرش. عبدالله واقف بين يديه).

عبدالله: مولاي.. أعلمنا والي خراسان بتقريره أن مجموعة من الشعوبيين ومؤازري البرامكة..

هارون: (يقاطعه) مرة اخرى.. البرامكة؟

عبدالله: نعم.. مولاي تلك الجماعة لديها علاقات مع موسى بن يحيى البرمكى عن طريق الرسائل.. ونحن علمنا بمكان موسى ونصبنا له كميناً محكماً.

هارون: المهم ان لايفلت.. واذا افلت.. فإن ما أزمعت على تنفيذه مع موسى.. سأنفذه ضدك مع شيء من الزيادة.. هل فهمت؟

عبدالله: مولاي.. حتى اذا صار طائراً ارسلت له من يكسر جناحيه.

هارون: حسناً.. ماذا هناك ايضاً؟

عبدالله: التقارير التي طلبتها قد أعددتها في خمسة أقسام.

هارون: هيا.. أقرأ لي عناوين الأقسام.

عبدالله: (التقارير في يده، يقرأ عناوينها) مولاي: الأول. أسماء المناصب التي استولى عليها البرامكة. ثانياً: الأعمال المشبوهة سواء من قبلهم أو من قبل مقربيه. ثالثاً: علاقاتهم مع المعارضين في الداخل والخارج.. رابعاً: ثرواتهم وأمورهم.. خامساً: نفوذهم داخل الجيش..

هارون: (يأخذ التقارير من يد عبدالله. ينظر إلى الأرقام بدقة.. يشحب

ذلك تقليلا من شأن الخلافة واهانة لأمير المؤمنين لذا فهو الأكثر..  
هارون: (يغير الموضوع) ما عندك من أخبار أخرى؟  
عبدالله: في بغداد فوجان من جيش خراسان. أراهما خطرين.. لو تفضلتم  
بالأمر بإبعادهما عن بغداد.  
هارون: حقا.. سأمر اليوم بإرسالهما إلى حدود الروم.. أو بالتوجه نحو  
مصر.. و(فجأة). قل لي ماهو عدد جواربهم؟  
عبدالله: مولاي. لدى جعفر أربعون جارية وثلاث زوجات شرعية واثنتا  
عشرة زوجة من زواج المتعة.. وفضل.  
هارون: (يقاطعه) أقصد جعفر فقط.. دعك من الآخرين.

\*\*\*

لونه.. ويقول في نفسه..) ثلاثة ملايين دينار ذهبي!  
عبدالله: مولاي.. ليس ثلاثة ملايين بل ثلاثون مليوناً.. بينما لا يوجد  
في خزينة أمير المؤمنين والدولة العباسية أكثر من ثمانية وأربعين  
مليون دينار.  
هارون: وماذا بعد؟  
عبدالله: عين يحيى لديه بعض الكتاب والمؤرخين.  
هارون: وهؤلاء من أجل ماذا؟  
عبدالله: مشغولون بترويح الشعوبية والزندقة.. منهمكون بكتابة  
التاريخ.  
هارون: أي تاريخ يكتبون؟  
عبدالله: تاريخ عظمة الإيرانيين وتفضيلهم على العرب.  
هارون: (غاضب) وماذا بعد كل ذلك؟  
عبدالله: عدا أولئك الكتاب والشعراء والمؤرخين.. يؤيدهم أيضا إبراهيم  
الموصلي ويتقاضى منهم الراتب الشهري.  
هارون: (بحيرة) إبراهيم المغني - المطرب؟  
عبدالله: الناس يعبرون عن استيائهم علنا ويقولون لم يبق للعرب شيء  
بسبب البرامكة الزناديق..  
هارون: ماهو عدد البرامكة في بغداد؟  
عبدالله: ما عدا أطفالهم، ألف ومائتا شخص.  
هارون: (بغته) أي منهما أكثر ذنباً.. عباس أم جعفر؟  
عبدالله: من المؤكد ان التشجيع وأثارة الرغبات دائما يأتيان من لدن  
المرأة. لا يستطيع أي رجل أن يغرر بالمرأة ما لم ترغب المرأة  
نفسها.. وفي هذه المسألة فإن جعفر هو الأكثر ذنباً.. لأنه فعل

درة: (تتغابى) أي نذل؟

جعفر: هذا السفاح.. ابن الجارية.. أمير..

درة: خليفة الإسلام؟

جعفر: بالأمس.. ذهب والدي لمواجهته.. وأوقف ذلك العجوز أكثر من

ساعة في الخارج. ثم من باب الإهانة.. قالوا له: الخليفة في

اجتماع مع الأشقياء! لا أدري ماذا يفعل الخليفة مع الأشقياء؟

درة: (تضحك) لا يجوز أن يكون هذا الكلام لسياسي مثلك.. فالخليفة

والدولة بحاجة إلى الأشقياء والعاهرات. وفي أحيان كثيرة تحترم

العاهرات أكثر من أخلص رجالات الدولة.. وتعرف أن مايفعله

الأشقياء والعاهرات لشخص صاحب السلطة لايفعله إلا قليل من

الناس.. (فجأة) أنت متأكد أنهم فعلوا ذلك مع والدك يحيى؟

جعفر: والدي ليس برجل الكذب. قال لي بنفسه: أخبرني اليوم أحد قادة

الجيش، هناك خبر: قرر الخليفة إرسالك الى خراسان.

درة: وماذا قلت؟

جعفر: قلت عند وصولي إلى هناك أعرف ما سأفعل، لكنه حذرني: يجب

أن تتجنب المشاكل. فهارون طامع في ثرواتك وجواريك.

درة: أو ليس كذلك؟

جعفر: (يضحك مقهقهها) هارون يطمع في كل شيء.. يطمع حتى في

أخته..

درة: أنتما صديقان وتعرفان بعضكما البعض جيدا.

جعفر: يعني أنت لاتعرفينه؟! أنى سمح له قلبه أن يمنحني اياك بكل هذا

الجمال والرقعة والذكاء.. والآن يطمع في كل مالدي.. يطمع فيك

أنت أيضا. يتحدث لي أصدقائي منذ مدة أنه يسأل عن ثرواتي..

## المشهد السادس

(منزل جعفر، الليل، جعفر ودرة..)

درة: (تناول جعفر كأسا من الشراب وبدلال).. تفضل. هنيئا.

جعفر: (يتناول الكأس) سلمت يداك، بين أربعين جارية أراك أكثر

إخلاصا لي..

درة: أتقول هذا للاخريات أيضا؟

جعفر: يعني لاتصدقيني؟

درة: كان كلاما زلّ به لساني.

جعفر: تعرفين كم لدي من الزوجات والجواري، لكنني أبيت لديك كل ليلة

منذ أكثر من شهرين.

درة: (بغنج) ليس كل ليلة. اطرح منها ليالي سفراتك.

جعفر: أنت على حق.. لا اعتقد بأنك من النساء اللواتي يحبين أن يكرر

لهن القول (أحبك) أكثر من.. او تفرحين بهذا الكلام.

درة: من هي المرأة التي لا تغتبط بسماع هذا الكلام؟ تغتبط كل امرأة

وتفرح به حتى وان عرفت انهم يكذبون معها كليا.. وتحب دائما

سماع مثل هذا الحديث (تناوله كأسا أخرى) أنا أيضا أحبك..

جعفر: (يشرب الكأس) صبي لي كاسا أخرى.

درة: تشرب كثيرا في هذه الفترة.. لم تكن هكذا.

جعفر: قهراً عن هذا النذل.

وبهدف إبلاغه الكلام أذعت أن كل ماعندي من الثروة في بغداد سأقدمه للخليفة لعله لا يطمع في أكثر..

درة: (تناوله كأساً أخرى من الشراب). حسناً.. لماذا يعاملكم هكذا؟

جعفر: يريد أن تتلطخ أيادينا بدماء العلويين.

درة: إن لم تفعلوا ذلك فماذا سيحدث؟

جعفر: ليكن ما يكون. كنت اليوم ضجراً جداً.. أضجرتني شخص ما..

درة: بماذا؟

جعفر: سألته.. (ماذا قال لك الخليفة عندما ذهبت إليه؟) أجبني: (قال

لي الخليفة أشياء سرية كثيرة) سألته مثل ماذا؟ أجبني أيضاً:

(لو شك بأني سأضع أمامك قراراته السرية لما باح لي بها).. قلت

له: (لماذا لاتقول لي أشياء الخليفة.. هل اني من الغرباء؟)

أجبني بوقاحة: (من المؤكد أن هنالك دليلاً ما)..

درة: لاتهتم..

جعفر: أعطيني كأساً أخرى.

درة: (تصب كأساً أخرى وتناوله).

جعفر: (ينهض ويترنح) كنت مخطئاً كان الأصوب أن اذهب ذلك اليوم مع

شقيقتي موسى إلى خراسان.. بدل حضوري بين يدي هذا الخليفة

شبهه المجنون والسفاح. انه لا يرتوي من الدماء ولا يمتليء من

الطعام، ولن يشبع من النساء أيضاً. فكل ليلة يودع فيها أكثر

من عشر جوار.. ويتبرم الآن انه مريض!

درة: عشر جوار؟

جعفر: نعم.

درة: انا رأيت منه أكثر.

جعفر: كم؟

درة: عشرين.

جعفر: بأدوية جبريل؟

درة: لأعرف هذا.

جعفر: أعرفه أنه قوي من هذا الجانب.. راهنته قبل عشر سنوات.

درة: كيف؟

جعفر: قلت له: هذه الليلة كنت مع ثمان جوار.. أجب: وأنا مع اثنتي

عشرة.. قلت: لأصدق قال حسناً.. لماذا أصدقك أنا؟ مادمت

لاتصدقني فأنا أيضاً لأصدقك من الأفضل أن يسأل كلانا

الجواري. فأرسل في طلب الجواري الثمان و سألهن: أجبنا

جميعهن بالايجاب.. طمع في إحداهن فأهديتها له.. وقال يجب

عليك أن تسأل أيضاً الجواري الاثنتي عشرة.. فسألتهن واحدة بعد

الأخرى: كنت واحدة من الاثنتي عشرة جارية اللواتي أجب.. أنه

صحيح.. وأنت قلت.. بالدلال والصراحة.. كانت حصتي اثنين.

أحببت جرأتك كثيراً. وأحس هارون برغبتني فقال لي: سأهديك

غدا هذه الجارية.. قلت: لماذا لا يكون الآن؟ أجب: كي تبقى معي

هذه الليلة أيضاً.

درة: في تلك الليلة علموني بكثافة.

جعفر: (بحيرة) ماذا علموك؟

درة: هاك.. اشرب هذه الكأس أيضاً (تناوله الكأس وتماً كأساً لنفسها

كذلك).

جعفر: أتشربين؟

درة: نعم.

جعفر: انها عدة ليال. وأقول لك: اشربي.. ولم ترضي.

درة: هذه الليلة.. أريد أن أمتلك الجرأة.. (تشرب الكأس وتلمأ أخرى).

جعفر: أصبح هذا النذل كابوسا جاثما فوق صدري دائما، وحرمني الأكل والنوم، أريد أن أهرب ولا أرى وجهه مرة أخرى، لأريد رؤية هارون.

درة: (تقاطعه) حسنا تفعل.. أهرب، اختف، اسرع، اسرع.

جعفر: (يجفل) ماذا؟

درة: أقول.. تأخرت.. أهرب. فقد انتهيتم. الخليفة متربص لكم وعلى علم بكل شيء.. حتى أنه على علم برسالتك التي بعثتها إلى مستشار بلاد الروم وطلبت منه اللجوء.. لقد قطع هارون كل السبل، هناك طريق واحد لم يقطعه وهو طريق خراسان فقط. لأن الخليفة لا يعتقد بأن لديك الجرأة لتسلك ذلك الطريق النائي.

جعفر: (ينهض، يترنح، يمسك يدي درة) كيف تعرفين؟

درة: أنا جاسوسة.

جعفر: (يجفل) جاسوسة؟

درة: نعم.. جاسوسة.. منذ عشر سنوات وأنجس على..

جعفر: أيتها الخبيثة الخائنة.. اذا لماذا تقترحين علي الهروب؟

درة: (تبكي، يهزها جعفر بشدة) بسبب تعاستي ويومي الأسود.

جعفر: انت تعيسة أم أنا التعيس؟

درة: أنا الأتعس.. أنا حامل منك. أنت والد طفلي. الطفل الذي يأتي

الى الدنيا ولن يرى والده.

جعفر: بأي تنبؤ جميل تفوهت؟

درة: (بجد) سيقمتلك هارون.. فيما مضى كان يريد أن يبعدك. لكن

عندما هربت (فريدة) جارية عباسة وذهبت إلى زبيدة.. تحدثت لها عن كل شيء.. عند ذاك غير هارون قراره. سيقمتلك، ويزيل آثاركم.

جعفر: (بحيرة) هربت فريدة إلى زبيدة؟

درة: أجل.. في ذلك اليوم اختفت فريدة وبعد يومين عشروا على جثتها خارج بغداد. وعندما واروا جثمانها التراب.. قالوا: ان العلويين اختطفوا جارية عباسة هذه وقتلوها.. بعد اغتصابها.. اقدموا على هذا العمل لكي لا تشك أنت وعباسة ولا تنتهبها.. وذلك بهدف استغفالكما.. ان زبيدة بنفسها قتلت فريدة- وبصورة بشعة.

جعفر: (بحيرة) الآن فهمت كم أنا ساذج وصافي القلب.

درة: اطمئن.. لا يريد هارون أن تبقى أسطورتكما انت وعباسة- في التاريخ. سينكر كل شيء.. ويقضي على جميع الشهود.. لا أستبعد أن يقتلني أيضا.. لأنني أعرف هذا السر. لذلك فانا دائماً القلق والخوف.. انهض الآن.. واتجه صوب خراسان.. لا.. لا.. أنت الآن ثمل.. وثل جدا. ستضل الطريق وتذهب مباشرة إلى الخليفة وتقول له: نحن صديقان أليس من العار أن وضعت جاسوسة علي؟ أعرفك جيداً.. أعرفك أي صافي قلب انت.. من الأفضل أن تسلك الطريق قبل طلوع الشمس.

جعفر: (عاد إلى رشده) لا أستطيع الذهاب.. والدي ووالدتي انهما هنا..

درة: الذي كان عليّ فقد فعلته.. الآن مسحت عشر سنوات من تجسسي عليك بهذا التنبيه.

جعفر: أرجوك فقد جعلت شيئاً ما عقدة في نفسي هل تستطيعين إجابتي؟

درة: تفضل.

جعفر: قلت في تلك الليلة علموني بكثافة.. من علمك؟

درة: زبيدة. المؤسسة التي تملكها زبيدة هي اكبر من مؤسسات الدولة فقد وضعت عشرات الجواسيس على هارون.. جبريل وأبو نؤاس هما جاسوسا زبيدة..

جعفر: أحسنني إلي آخر الإحسان. اكتب رسالة إلى عباسة.. أوصلها إليها.

درة: سأفعل لك هذا أيضا.

\*\*\*

## المشهد السابع

(نفس الليلة.. قصر هارون.. هارون وعبدالله).

هارون: أواثق أنه مع درة؟

عبدالله: أجل مولاي. واثق وكأني أراهما أمام ناظرتي.. إنه الآن يطلب كؤوس الشراب.. ولا يستبعد ان يطلب منها الرقص والغناء أيضا.

هارون: يحتمل أنه لم يبح بكثير من الأمور لدى درة.. لا أدري وعقلي لا يؤكد.. هل من المحتمل أن قد باح بأمور ولم توصلها درة إلينا. عبدالله: مولاي.. درة تعرف كيف ومتى تحمله على الكلام والبوح بالاسرار.

هارون: (ببلادة) ماهو ذلك الوقت وكيف تجعله يبوح بتلك الأسرار؟

عبدالله: مولاي.. في الفراش.. وعند..

هارون: ويعد.

عبدالله: مولاي.. لو كانت للفراش ألسن. لفضحت أكثر الحكام.

هارون: حسنا.. قل لي.. ألا توجد بين تقارير درة أية إشارة إلى اولئك الالوف من الايرانيين الذين وفدوا من (بلخ) إلى بغداد.. يقابلهم جعفر؟

عبدالله: مولاي أنت على حق.. لا أدري كيف أنه لم يتحدث عنهم إلى درة.

هارون: من يقول أنه لم يذكرهم.



عبدالله: لا أعلم.

هارون: أنا أعرف جعفر.. وهو صديقي. إنه لا يكتفم الأسرار بأي حال.. أنا متيقن أن جعفر باح بالأمر ولو بالايحاء والايما.. لكن درة أخفتها عنا.

عبدالله: مولاي.. قلت لا أعلم.

هارون: الجريرة من درة.. في الليلة الآتية واثناء الاحتفالات ستنال عقاب كتهما الأسرار. أودعها بيد زبيدة وهي تعرف كيف تسكتها كما اسكتت فريدة.

عبدالله: مولاي تتميز درة عن فريدة كثيراً. فقد خدمت عشر سنوات.

هارون: (بغضب) خطأ واحد.. يمسخ جميع خدماتها.. توسل إلي اليوم يحيى البرمكي أن لا أقتل ذلك الزنديق الذي اعترف بأنه (ماني).. رغم تأكيدته بأنه خدم آل عباس كثيراً.. قلت له: ذنب واحد يمحو جميع خدماته.. وأودعته مسروراً.

عبدالله: مولاي عندما كان يحيى في حضرتكم اليوم.. انتهزت الفرصة واعتقلت أحد كتابه.. واتهمته بالزندقة.. بكى.. قلت ارسل إلى عائلتك ليأتوا لمواجهةك الأخيرة.. كان يتوسل ويقول.. إنني مسلم.

هارون: كاتب ماذا؟.. والأصح ماذا يكتب؟

عبدالله: بعد تلك التهمة.. سألته نفس هذا السؤال.. أجاب.. أنه مشغول بتأليف كتاب. قلت باسم ماذا؟ قال باسم فضل العجم على العرب.

هارون: يكفي هذا العنوان.. أن نحرق حتى رماده.

عبدالله: قلت للمعذب: إفقاً لي عيني هذا الزنديق الآن.

هارون: أحسنت..

عبدالله: مولاي.. وقع على يدي وقدمي.. وهو يبكي ويتوسل.

هارون: (بغضب) لا يمكن أن عطفت عليه.

عبدالله: لا.. فديتك.. أي عطف. قلت له. لم تكتب تلك الأراجيف؟ فأجاب: على طلب يحيى أصنف كتابا أرد فيه على كتاب ألف ضد الايرانيين.. قلت: ألم تقل أنك لست بزنديق؟ لقد اعترفت بذنب أخطر من زندقتك.. ها أنا الآن أقطع لسانك وأهشم أصابعك!

هارون: أحسنت.. هل قطعت لسانه؟

عبدالله: لا.. مولاي.

هارون: (بغضب) لماذا؟

عبدالله: كان يبكي وينوح كالطفل.

هارون: (يقاطعه) فلتكفف عيناه.

عبدالله: مولاي.. قال.. إن لم تقتلني فسأخدمك خدمات كبيرة. قلت مثل ماذا؟

هارون: كان الأوفق الا تصغي له.. ماذا يستطيع أن يفعل مثل أولئك الناس..

عبدالله: مولاي: سألته. أية خدمة؟ فقال: أنا أحد أولئك الكتبة الثلاثة للأسرة البرمكية الذين يعرفون الكتابة والقراءة بالخط (الرمزي).. قلت ماهي تلك الخطوط؟ قال: إنها خطان: وهما بهلويان وكانا مختصين بالملوك الساسانيين الذين كانوا يكتبون الرسائل بذلكما الخطين.. واليوم لا يستطيع أحد فك رموزهما غير البرامكة المتخصصين.

هارون: أليس لديهم خط آخر.. الم تسأله حول ذلك؟  
عبدالله: بلى.. مولاي.. سألته. وقال توجد سبعة أنواع أخرى.. تكتب  
الكلمات على شاكلة وتقرأ على شاكلة أخرى.

هارون: فما هي فائدة ذلك العجوز؟ قل لأعرف.  
عبدالله: مولاي.. في الاشهر الأخيرة ألقى القبض على عدد من سعاة  
بريد البيرامكة.. ولم أطلق سراحهم إلى الآن. وهم يحملون تلك  
الأنواع من الرسائل.. فلا نحن نستطيع قراءتها ولا السعاة.

هارون: هكذا..

عبدالله: ذلك الرجل في بيتي الآن.. ويجب أن يترجم لي تلك الرسائل  
إلى الغد.. وأنا وعدته أن أجد له عملاً مناسباً.

هارون: وما ذلك العمل المناسب؟

عبدالله: ليترجم الرسائل أولاً..

هارون: اسمع.. اطلب منه أن يعلم عدداً من العرب تلك الخطوط ثم  
ليؤلف كتاباً باسم فضل العرب على العجم. وعندما ينجز ذلك..  
أنا سأجازيه على أخطائه.

عبدالله: مولاي.. أنتم أعلم بما فيه المصلحة.

هارون: عند الفجر.. سارسل مسروراً وعدداً من الأشخاص ليحبّلوا إلي  
جعفر البرمكي.

عبدالله: (وكأنه تحقق أكبر أمنياته كان يردد) حسناً تفعلون.. مولاي  
حسن جداً ما تعملونه.

\*\*\*

## الفصل الثامن

عبدالله: جعفر نفسه هنا لماذا لاتدعوه ليقرأها.  
هارون: كلا.. اخرج أنت، ليقوم الحراس بتفتيش جعفر.. أرسلوه لي وحده، لاتدعوا أحداً يدخل.

عبدالله: (يخرج.. بعد هنيهة يدخل جعفر، هارون يذهب لاستقباله، ويقبله من الجانبين بفرح، ويجلسه بقربه، ويبعث الرسائل التي استولي عليها في الغرفة.. جعفر عند رؤيته تلك الرسائل يشحب لونه.. ويصب هارون فنجانين من القهوة من الجذوة القريبة منه. ويناول جعفر أحد الفنجانين).

هارون: (يضحك) جعفر البرمكي.. صديق طفولتي.. ماذا تعمل؟. ألم أقل لك لاتغادر بغداد.. لكنك عصيت أمري مرة أخرى..

جعفر: (يتكدر لونه) لم تكونوا هنا.. كنت ضجرا جدا..

هارون: (يقاطعه) كنت في كرمنشاه؟

جعفر: نعم.. يا أمير المؤمنين.

هارون: يقينا. رأيت شقيقك موسى؟

جعفر: نعم.

هارون: طلب منك أن تذهب معه إلى خراسان..

جعفر: نعم.

هارون: لاشك انه قال: هارون عديم الشفقة؟

جعفر: (صامت).

هارون: ذهبت إلى معبد كنگاور؟

جعفر: نعم مولاي.

هارون: أي شيء جلب انتباهك هناك؟

جعفر: الآثار التاريخية في كرمانشاه.. كانت تجلب انتباهي دائما.

## المشهد الأول

(في قصر هارون.. هارون، عبدالله، جعفر البرمكي).

عبدالله: مولاي. جلب مسرور وبعض الحراس جعفر.

هارون: اعرف.. لينتظر.

عبدالله: ترجم الرجل جميع الرسائل هذه الليلة.. حقا ان جعفر البرمكي

هذا عديم الشرف (يضع الرسائل أمام هارون).

هارون: (يقرأ، إحدى الرسائل تكدر لونه) يا خسيس.

عبدالله: مولاي. هذه الرسائل تم الإستيلاء عليها في طريق بلخ

وخراسان.

هارون: (يعطي رسالة إلى عبدالله). انظر إلى خسته ماذا كتب!!

عبدالله: مولاي قرأتها جميعا.

هارون: اقرأ هذه.

عبدالله: مولاي اعذرني من هذه.

هارون: (بغضب) أمرك.

عبدالله: (يقرأ الرسالة) سمعت ان المهدي والد هارون. كانت له علاقة

مشبوهة مع عماته، هارون يحاصر أخته عباسة بنظرات راغبة..

ينظر إليها بشكل عجيب فيجرع الشراب. مولاي أعذرني لا

أستطيع قراءتها.

هارون: (يأخذ منه الرسالة) أنا أقرأها.

هارون: طوبى لك.. فقد زرت الآثار التاريخية، وأنا أيضا فكرت في أن أبنى لنفسى ضريحا.. سمعت أن هناك في (سربل زهاب) مقابر لعصر المجوسيين. أحب أن أزورها للسياحة.  
جعفر: (بخوف) يا أمير المؤمنين أنتم شباب وأمامكم عمر مديد.. وباعث على الأسى ان تتلفظوا بكلمة (الموت).

هارون: أغلب الأحيان أحب الموت، وأقول في سري ان شقيقي الهادي كان سعيدا جدا، مات في شبابه لم ير كل هذا العذاب والخيانات ونكران الجميل الذي أراه في هذا الزمان.. الموت حق على كل منا ان يستعد لاستقباله (يحدق في عيون جعفر) حين مات والدي كان في الثالثة والأربعين من عمره.. اشتري عشرات الجوارى، وبنى أربعة قصور لنفسه.. لكنه مرض على حين غرة خلال السفر ومات. يقولون انه مات مسموماً.. لكن لم يعرف رسميا سبب وفاته. من جانبي.. انا كتبت وصيتي، وعلقت الميثاق لأولادي على جدار الكعبة.. (قليل من الصمت بإيقاع خاص) وأنت هل كتبت وصيتك حقا؟ هذه الدنيا محطة قوافل ونحن مسافرون.. نأتي ونذهب.. أقول يجب على الإنسان ان يعرف قيمة الحياة مادام حيا.. من المؤكد أنك أطول عمراً مني. (فجأة) أنبهك يجب أن تكتب وصيتك وتضعها في مكان أمين..

جعفر: (يرتجف) إن كلام أمير المؤمنين منطقي.. ودون شك سأكتبها.

هارون: (يرتشف قهوته). لاتخف ارشف قهوتك لايزال الوقت مبكراً..

جعفر: (يرتشف قهوته أيضا).

هارون: سمعت أنك أقيمت وليمة كبيرة فيما سبق. من المؤكد صرفت عليها أموالا كثيرة.

جعفر: نعم. مولاي..

هارون: لماذا؟

جعفر: (بلاوعي) رغبت أن تكون لي لياقة وعطاء أمير المؤمنين.

هارون: (بتمهل كبير) وهل في نيتك أن تصبح أميراً للمؤمنين؟

جعفر: (ينتبه) مولاي.. أخطأت.. كانت زلة لسان.

هارون: كانت زلة لسان بتلك السهولة.. أم استعدت أحلامك؟

جعفر: (يتهرب من الموضوع) مولاي أنتم تفضلتم بأن الدنيا محطة قوافل، يجب أن نعرف قيمة الحياة ونعيمها.. أعتقد اني أقدمت على ذلك العمل خدمة للدولة.

هارون: أية خدمة تقدمها الوليمة..

جعفر: مولاي.. تظهر جلال وعظمة الدولة.

هارون: انت على حق.. لو أنا الذي أقيمت تلك الوليمة.. اعتقد أنك أقيمت تلك الوليمة لتجذبوا حب الناس إليكم.. أقصد إلى البرامكة.. وما هو عدد البرامكة؟

جعفر: ما عدا الأطفال يتجاوز عددهم أكثر من ألف ومائتي شخص.

هارون: ما عدد الذين يحتلون المناصب العالية في الدولة؟

جعفر: خمسة وعشرون فرداً.

هارون: (فجأة) من هما (آزاد نوبخت وروزبهان البرمكيان)؟

جعفر: (يكدر لونه) لما.. ه.. هل حدث شيء ما؟

هارون: هل هما من أقربائك؟

جعفر: نعم إنهما من أقربائي.. لكنهما يعيشان في (بلخ).

هارون: ألقى حاكم بلخ القبض عليهما بتهمة كهنوتية معبد (نوبهار) فقد

ضرب كل واحد منهما مائتي جلدة. وانا قررت أن يستجوبهما ارتجاليا ثم يطلقوا سراحهما.

جعفر: مولاي.

هارون: (يقاطعه) هذان المسكينان وراءهما شائعات يقال أنهما من قادتك ومستعدان للثورة (يضحك) لكن هذا لا يهمني كثيرا.. أتتذكر عندما كنا طفلين كان ثوبي كبيرا وواسعاً بحيث كنا ندخله سويا حتى ينال التعب منا، كنا نلعب ونقفز معا؟

جعفر: نعم.. مولاي.

هارون: (يمد يده، يخرج ثوبا داخل صرة) في ليلة أمس أوعزت إلى خياطي القصر أن يخطوا لي هذا الثوب، تعال لندخله سويا.. استذكرا للأيام الخوالي. (يدخلان في الثوب يصفق وتدخل ثمان جوار جميلات يحملن الدفوف، وجاريتان تحملان كؤوس الشراب تعطيان كأسا ذهبية لهارون، وأخرى فضية لجعفر وتصبان الشراب فيهما.. يجرعان الشراب. ترتفع أصوات الدفوف، يرقص هارون وجعفر على شكل ذكر الدراويش مع.. الله.. الله.. والجواري يحمن مع نقر الدفوف حول هارون وجعفر).

هارون: هيا هيا.. هيا.

جعفر: (دون إرادة) هيا هيا.. هيا

هارون: (بصرخ) كفى (يقف الجميع من الخوف) اصيب لنا كأسين آخرين (يصبين لهما كأسين يجرعانها دفعة واحدة) هيا استمرن (يدور الجميع حولهما مع نقر الدفوف، ويرقص هارون وجعفر وفجأة بصوت عال جدا) كفى (تجفل الجواري ويقفن).

هارون: هيا (يستأنف نقر الدفوف والرقص والديكيات بنفس الشكل،

يستمرن فترة، ثم بصوت خفيض كأنه يحث نفسه) كفى، كفى، انتهى نغد صبري (الجواري، يخرجن يبقي هو وجعفر. ينزعان الثوب، يمسك يد جعفر، يأخذه ويجلسه بالقوة على عرش الخلافة). سأحقق أمنيتك حتى ولو للحظة أجلسك على العرش اجلسني والدك مع والدتي خيزران على العرش وها أناذا أجلسك عليه لعدة دقائق (بصورة كوميدية) يا أمير المؤمنين، يا خليفة الإسلام تفضلوا بالأمر.

جعفر: مولاي، لا يجوز هذا ابدا، إنه ليس بمكاني..

هارون: يجب أن تجلس وتأمّر مثل الخليفة أيضا (يدخل عبدالله، يرى هذا المشهد يريد أن يتكلم مندهشا. لا يدعه).

هارون: (لعبدالله) هيا.. اركع لخليفة الإسلام (يقف عبدالله قبالة هارون وينحني).. حيوان. قلت لخليفة الإسلام لأمير المؤمنين (يضطر عبدالله أن يتوجه الى عرش الخلافة وينحني).

عبدالله: (ينحني لجعفر) امرك مولاي.. (يخرج)

جعفر: (ترتجف شفتاه) مولاي.

هارون: (بغضب) يجب أن تأمر.

جعفر: أريد أن ترسل في طلب الشخص الذي دب الخلاف بيننا.

هارون: أنهم كثيرون.. كثيرون جدا.

جعفر: الذي يمكننا أن نجده.

هارون: استطيع الآن أن أطلب لك عبدالله فقط.

جعفر: يعني ما يوازي نصف أعدائي..

هارون: ربما أكثر..

جعفر: اطلبه لي..

هارون: أمرك.. مولاي.

جعفر: اسرع.

هارون: (يخرج ثم يدخل ومعه عبدالله، ينحني هارون وعبدالله يقلده)  
تفضل مولاي.

جعفر: (لعبدالله) ماهو عقاب الشخص الذي يناصب الخليفة العداة؟

عبدالله: (دون تفكير) الموت.

جعفر: عقاب اخف.

عبدالله: سمل عينيه.

جعفر: أخف ايضا.

عبدالله: قطع يديه.

جعفر: أخف من هذا أيضا.. عقاب لاتسيل فيه قطرة دم.

عبدالله: ربما هو الإهانة.

جعفر: كيف؟

عبدالله: اشتمه.. أبصق عليه.

جعفر: (لهارون) ماذا تقول أنت؟

هارون: يقينا.. أن مايراه أمير المؤمنين وخليفة الإسلام.. صائب ومبارك.

جعفر: دع عبدالله يركع على ركبتيه. ويأخذ هيئة الحمار. (يركع عبدالله على ركبتيه، ويضع يديه على الأرض).

جعفر: امتط ذلك الحمار.. (هارون يركب عبدالله) هيا. دعه.. تجر..

هارون: (يقوده وكأنه امتطى حماراً يسوقه، يجعله يعدو في قاعة عرش الخلافة من جانب إلى آخر.. أربع مرات).

جعفر: كفى، أوقفه.. أطرده خارجا.

هارون: (يوقفه وينزل من فوق ظهره ويأخذ عبدالله خارجا ثم يدخل، ويرى

أن جعفر قد نزل من العرش، لجعفر) اصعد الى العرش إصدار الأوامر مثير؟.

جعفر: كلا. لن أصعد العرش، إصدار الأوامر ليس مثيرا. (يجلس كلاهما متربعين بجانب العرش).

هارون: مضت الأيام سريعا، كانت فيها منخفضات ومرتقيات.. كانت في كل مرة تظهر وجهها.. فتارة وجهها مشرقا مترعا بالابتسامات، وتارة اخرى وجهها عابسا.. كان زمننا عجيبا، فحيناً عواصف وطوفان وآخر هدوء.. قل لي كم عندك من الأطفال؟

جعفر: كثيرون.

هارون: كم؟

جعفر: اثنا عشر.

هارون: (يضحك بقهقهة) هنيئا لك.. لقد حبلت نساء وبنات كثيرات بحيث لا اعرف عدد أطفاله. لا أعرف أسماء أكثرهم.. أنت متيقن ان لديك اثني عشر طفلا؟ (جعفر صامت) والآن لدي بعض الأعمال الأخرى علي تنفيذها.. وحيا بذكرى الماضي هيأت لك ليلة مليئة بالخمر والرقص والنساء، وأحضرت لك عدة جوار. رومية، فارسية، يونانية، عربية.. بالإيجاز أعددت لك ليلة ملوكية، أمل أن لاتشرب كثيرا حتى يأتي الليل (بصفق، وتدخل نفس الجوارى)، اودعكن جعفر.. لاتقدمن له الشراب الكثير إلى أن يحين الليل، أعددت له ليلة حمراء متألقة. (الجوارى يحملن جعفر بأذرعهم، ويضعنه على الايدي كالطفل، ويأخذنه خارجا).

\*\*\*

عبدالله: مولاي. ليس جميعهم..

هارون: اذن؟

عبدالله: أغلبهم.

هارون: تحدث لي بايجاز.

عبدالله: مولاي.. اتجهنا مباشرة نحو عقل موسى بواسطة الرجل الذي  
كأن يكتب الرسائل بالخط الرمزي.. وكتبنا له رسالة باسم جعفر.

هارون: ماذا كتبتم له؟

عبدالله: ديجنا له رسالة جميلة بهذا الشكل: من جعفر إلى موسى:  
هارون مريض ربما تم تسميمه، عد إلى بغداد مع شقيقي محمد،  
أنبئوا (فضلا) أيضا وبسرعة ليأتي إلى بغداد، هذا اولاً. وثانياً..  
الفوجان اللذان أبعدهما هارون عن بغداد.. لقد أعدتهما برسالة،  
انهما بحاجة إلى قائد.. اسرعا.

هارون: كيف أوصلتم هذه الرسالة اليه؟

عبدالله: (بابتسامة) عن طريق احدي جواريه، التي زرعتها منذ زمن في  
داخل قصره في بغداد.

هارون: كيف؟

عبدالله: وصلت إلى تلك الجارية عن طريق أحد البرامكة.

هارون: تحدث لي باختصار.

عبدالله: عندما وصلت الرسالة، وصل هو مع شقيقه وعشرة حراس آخرين  
بغداد مباشرة، وكنا مع مائتي جندي عربي في انتظارهم، وحي  
أن لا أنسى ذلك. كتب موسى رسالة لشقيقه فضل بنفس الخط  
وطلب منه المجيء الى بغداد على وجه السرعة، ونحن ننتظره  
بحفاوة.

## المشهد الثاني

(شرفة قصر هارون، عند الغروب، هارون، زبيدة، عبدالله).

عبدالله: (يأتي الى الشرفة ينحني، بسرور كبير) مولاي.. موسى  
البرمكي وشقيقه محمد وقعا في الفخ، واستغفلا بسهولة.

هارون: موسى ذكي كيف وقع في الفخ بتلك السهولة؟

عبدالله: مولاي.. الطائر الذكي يقع في الفخ عن طريق منقاره.

هارون: (شبه غاضب) قصدك؟

عبدالله: كنا قد قرأنا عقل موسى بدقة.

هارون: بصورة أوضح؟

عبدالله: منذ فترة.. أنا ومستشاري قمنا بدراسة جميع جوانب حياته  
فظهر انه شخص شجاع لذا وضعنا الفخ لمكان آخر له.

هارون: حيوان.. تكلم بصورة أوضح.

عبدالله: مولاي. قلت ظهر لنا أنه رجل شجاع، لذا حسبنا له حساب  
الاسد، لم نواجهه من ناحية مخالفه وأنياه، بل واجهنا عقله.

هارون: (بغضب) قلت تكلم بوضوح.. الليلة.. لدي أعمال مهمة اذ  
وعدت جعفر البرمكي أن أهيء له أجمل الليالي ومن جانب آخر  
أريد أن أرى بغداد بشكل آخر، وذهنني ليعمل بصورة جيدة تحدث  
لي بدون لف أو دوران..

عبدالله: من المؤكد أن مولاي الخليفة يعرف جيداً.. أن الأسد حيوان.

هارون: تريد القول ان كل شجاع هو حيوان.



هارون: أحسنت. هذا يسهل لي بداية الأمر، اذهب إلى الطابق السفلي فقد سلمت جعفر إلى عشر جوار مختارات. انظر إليه من ثقب الباب وانظر ماذا يفعل، وأخبرني بسرعة، اطلب لي فضلا بن الربيع وهو أيضا ينتظر في الأسفل.

عبدالله: امرك مولاي (يغادر).

هارون: (لزبيدة) كم دنا من الشراب جلبت؟

زبيدة: دنا واحداً.. كما قلت.

هارون: (ينظر من الشرفة) ها. قد غابت الشمس الحمراء أيضا، يجب الآن أن أضيء بغداد بشكل آخر (يأتي فضل بن الربيع إلى الشرفة، ينحني).

فضل: امركم. مولاي.

هارون: ها قد غابت الشمس، كما خططت لك، اذهب باشر العمل، نور بغداد بحيث تلاحظ الابرة على الأرض بالعين. أريد ان تباشروا العمل في جميع مناطق بغداد في وقت واحد.

فضل: امركم مولاي. كل شيء جاهز.. نحن بانتظار اوامركم فقط.

هارون: اذهب.. ونفذ. (ينحني فضل ويتراجع صوب ظهره، في تلك الأثناء يأتي عبدالله إلى الشرفة على عجل كأنه يحمل بشري، يصطدم من دون وعي بمؤخرة فضل ويوقعه على ظهره، تضحك زبيدة من المشهد وهارون يقلدها ضاحكا).

عبدالله: (بابتسامة المتزلف) مولاي إنه يشرب بصورة عجيبة في وسط عشر جوار شبه عاريات.

هارون: عجيبة؟

عبدالله: نعم مولاي.

هارون: كيف؟

عبدالله: كل مرة ينادي جارية.

هارون: اكمل حديثك.

عبدالله: مولاي. السيدة زبيدة هنا.

هارون: (يلتفت نحو زبيدة) انا لا اعرف ماذا يقول عبدالله.. لكن أعرف

أن جعفر رجل مترف وماذا يفعل سنقلده الليلة.

زبيدة: (بغضب) تقلد المجوس؟

هارون: لا تكوني كنودة.. فقد علمونا الأئس وملذات ونعم الحياة.

زبيدة: أولئك الزناديق؟

هارون: (بغضب) الزنديق. أي زنديق.. انا لا أعرف معنى هذه الكلمة، ولم يعرفه والدي، الذي أعرفه هو ان كل من يناصرنا العداء نتهمه بالزندقة ونحرض الناس عليه، وهم يباركوننا ايضا ويشكروننا (لعبدالله) هيا.. قل ماذا رأيت من ثقب الباب، وانا وزبيدة، سنقلد.

عبدالله: مولاي. السيدة زبيدة، سيدة السيدات هنا.. أشعر بالخجل.

هارون: (بغضب) انا أمرك.

عبدالله: (بخوف) أخجل.

هارون: (بابتسامة) ممن؟

عبدالله: (بنفس الخوف) أخجل من سيدة السيدات.

هارون: (يضحك مقهقها) ايها التافه.. لماذا لم تخجل عندما كنت تقرأ

يوميًا تقارير قصر زبيدة؟ لماذا لم تخجل عندما كنت تتحدث لي

عن تلك الأدوية التي يقوم بتركيبها لها الطبيب (جبريل)؟

زبيدة: (يتكدر لونها وترتجف شفتاها بشكل مكشوف).

عبدالله: مولاي.. نفذت أوامرکم ان أجعل جميع الأحجار والأشجار في قصور زبيدة ورجال الدولة الكبار عيوننا وأذاننا..

هارون: احسنت: قل لي ماذا فعلت (زبيدة تنكس رأسها، تنوي المغادرة، لكن هارون يمسك يدها بغضب) لاتذهبي (لعبدالله) تعجل..  
عبدالله: (يرتجف) مولاي كان الدن في يده اليمنى والكأس في يده اليسرى.

زبيدة: (تصرخ) اخرس.. يا عديم الحياء..

هارون: (يرمق زبيدة بحيرة) كيف فهمت بهذه السرعة؟ انا لم أفهم بعد ماذا فعل (لعبدالله) الدن بيده اليمنى والكأس بيده اليسرى؟  
عبدالله: نعم مولاي.

هارون: (لزبيدة) أكلمي.. ماذا يفعل؟

زبيدة: (يشحب لونها) لا أعرف.

هارون: اذا لماذا صرخت؟

زبيدة: لايعجني أن أسمع الكلام الخليع.

هارون: (لعبدالله) ماذا انت قائل؟ صحيح زبيدة لاتحب أن تسمع مثل هذا الكلام.

عبدالله: (يرتجف) مولاي.

هارون: (يصرخ في وجهه) أريد الجواب.

عبدالله: السيدة زبيدة، لا تحب (لايكمل كلامه).

هارون: كأنك نسيت التقارير.

عبدالله: مولاي.

هارون: أم أنك لفقت لها التهم؟

عبدالله: مولاي.. الكتابة بينة، ليس الخط خطي بل خط الجواسيس.

هارون: هيا. قل لي.. ماذا فعل جعفر؟

عبدالله: وضع أنبوب إبريق الشراب بيده اليمنى بين نهدي إحدى الجاريات يصب عليها الشراب وسال الشراب فوق صدرها وبطنها، والكأس بيد اليسرى.. ثبتها أسفل سرتها بمسافة شبر وتمتليء الكأس ويشربها فورا.. ويقول..

زبيدة: (تصرخ) يا عديم الحياء..

هارون: (بابتسامة وبهدوء كبير) ماذا قال؟

عبدالله: مولاي كان يكفر.

زبيدة: (بخوف) هؤلاء البرامكة.. لا حياء لهم ولا شرف.

هارون: (يضحك) ألم أقل إنهم أصحاب الذوق الرفيع (في هذه الأثناء ترتفع النيران من جميع أرجاء بغداد) أوامري أضاعت بغداد (لعبدالله) اذهب وانظر من ثقب الباب وتأكد ماذا يفعل جعفر.  
(عبدالله ينحني ويتراجع).

هارون: (ينظر حوله كالمجنون) زبيدة.. زبيدة.. انظري كم هي حمراء بغداد..

زبيدة: (تضع يد التشفي على صدرها) لماذا لم تشعل هذا التنور في السابق؟

هارون: كل شيء في حينه. إن لإخفاء السر وقتنا.. ولكشفه وقت.. (زبيدة ترتبك).

هارون: (يمد يده إلى الجانب الأيمن) انظري إلى تلك النار الحمراء.. إنه قصر جعفر البرمكي، الذي كان يضيء غرفه في الليالي بأربعة آلاف شمعة.. انظري جيدا.. لقد وصلت النار إلى بستانه، ها قد

وصلت إلى أسطبله الذي يربي فيه أربعمائة حصان أصيل، انظري  
ارهنفي السمع، اسمعي سهيل الخيول المرعوبة (ينظر إلى الجانب  
الأيسر).. زبيدة.. انظري إلى تلك النار الهائجة في قصر فضل  
(شقيق جعفر) قلت لفضل بن الربيع.. من مجموعة الف ومائتين  
من البرامكة ابق على حياة يحيى وفضل وزوجة يحيى فقط  
(ترقص زبيدة مثل الطفلة).

زبيدة: ليتني أمرته أن يقتل ذلك الحمار الهرم ايضا.. انه رأس الأفعى.  
هارون: اعرف ذلك. أريد أن أودعه الزنانة ويرى الموت بعينه يوميا  
عشرات المرات، ويجب على ولده فضل ايضا ان يرى الموت في  
الزنانة يوميا عشرين مرة.

زبيدة: هاهم يحترقون، بيوتهم ثرواتهم، نفوذهم، هاهم الايرانيون  
يتحولون إلى رماد.. (بصوت خفيض) آه.. لليوم الذي أرى فيه  
ابن العاهرة ذاك. يضرم ولدي (الأمين) جحيما لهم ايضا.

هارون: (يلتفت) ماذا قلت؟  
زبيدة: كنت اتمنى اليوم الذي يلقي الموالون نفس المصير بيد ولي عهدك..  
الأمين..

هارون: (يدور حول زبيدة كالمجنون) قررت أن يبقى منهم ثلاثة على قيد  
الحياة.. ثلاثة فقط. والآخرون هو قرار هارون الرشيد يجب احراقهم  
في أتون جحيم هذه الدنيا (ينظر الى جهة الشمال) ها هو قصر  
موسى انظري إلى الجنوب. قصر محمد شقيق موسى، كيف يحترق  
انظري إلى قلب بغداد الذي اصبح جميع بيوت البرامكة.. زبيدة..  
يا زبيدة.. انظري إلى سلطان هارون.. كيف أضرم جحيما في هذه  
الدنيا.. الشراب.. الشراب.. ناوليني الشراب، لكي تتوهج النار

التي في داخلي اكثر (يأخذ الدن والكأس الذهبية من زبيدة  
ويرميها من الشرفة إلى الاسفل. يرفع رأسه ويضع فمه على فوهة  
ماسورة الدن) زبيدة. هل رأيت بغداد بهذا الجمال قط..؟

زبيدة: (بهدهوء) المأمون.. لم يزل..

هارون: (بصوت عال) ماذا قلت؟

زبيدة: (تتهرب من السؤال، تؤشر بيدها إلى جنوب بغداد) انظر إلى ذلك  
اللهيب الأحمر.. قصر ايهم ذلك؟

هارون: (يضع يده فوق حاجبيه وينظر بدقة) ذلك ليس قصرا واحدا انه  
اثنا عشر قصرا بجانب البعض، انظري جيدا..

زبيدة: ها قد احمرت بغداد برمتها اشتعالا. هل كانت لديهم كل هذه  
القصور والبساتين والثروات ونحن لاندرى؟

هارون: قررت.. جميع محطات قوافلهم، البساتين والقصور.. جميعا..  
جميعا.. (يمسك يد زبيدة) اشربي، ارقصي لي مثل تلك اللهب  
الحمراء.. رقصة حمراء مجنونة. انظري إلى ذلك اللهيب الأحمر  
في الطرف الشمالي.. لقد ارتفع أكثر من مائتي ياردة  
ذراع(بصوت عال) ايتها النار الحمراء اجرفي كل مالديهم..  
الأخضر واليابس، الشجر والحجر وكل ذي روح (لزبيدة) افتحي  
فمك.

زبيدة: لم اشرب الشراب ابداً.

هارون: (يضحك) اذا جواسيس عبدالله يكذبون؟

زبيدة: لم أشرب الشراب قط.

هارون: أخشى أن تطلقني كذبة أخرى وتقولي لم أحب رجلا آخر سواك.

زبيدة: (بغضب) هارون.. أغلق فاك.

هارون: (يضحك) زبيدة افتحي فاك.

زبيدة: قلت: اغلق فاك.

هارون: قلت: افتحي فاك.

زبيدة: تفغر فاهها بخوف. يدور هارون حول زبيدة، وهو يترنح، يدخل ماسورة الدن في فم زبيدة.. يضع بضع قطرات منها في فمها.. يخرج الماسورة.. يعيد تلك العملية عدة مرات.. ثم يجرع الشراب.

هارون: لم أر بغداد بهذا الجمال أبدا.. انظري كم هي جميلة، عندما كان عبدالله يخجل منك، كانت خدك تحمران.. بغداد حاليا تشبه خديك، بعد عدة أيام سأشبهه بغداد لون خدي عبدالله عندما كان يقول: استحي لأن السيدة زبيدة هنا.. كان لون ملامحه يشبه لون الرماد.. أه.. يا بغداد.. يا عاصمة الإسلام.. تتجسدين بلونين عجبين.. لون كاتب التقارير ولون المكتوبة عنها التقارير..

زبيدة: (ترتجف)

هارون: كنت على حق ايضا.. انك انسانية أيضا.. (في تلك الأثناء يصعد عبدالله ويقرب من الشرفة).

عبدالله: مولاي.

هارون: (يقاطعه) لا يزال يكفر؟

عبدالله: مولاي أكثر من الكفر.

هارون: (لعبدالله) اذهب.. واعد تقريرا عن هذه الليلة الحمراء للسيدة زبيدة (لزبيدة) انهضي لندخل في الفراش ونقلد جعفر ونجعل شرابنا أكثر طهرا..

\*\*\*

## المشهد الثالث

(في الفجر.. جعفر نائم مع الجوّاري. يطرق مسرور الباب بقوة)

مسرور: جعفر. يا جعفر البرمكي.. تعال معنا بسرعة.

جعفر: (من خلف الباب) حسنا.. لماذا غاضب هكذا.. كأنك لاتعرفني (ينفتح الباب ويخرج جعفر).

مسرور: انا لاعرف الخائن وعديم الشرف.

جعفر: (يرى عدا مسرور هناك اثنا عشر جنديا مدججين بالسلاح، ويضع يده على كتفي مسرور) يا مسرور لاتكن عصبي المزاج هكذا.. انا اعتبر أنك لم تنطق بمثل هذا الكلام. يا عزيزي مسرور.. لماذا انت غاضب علي؟

مسرور: (يدفع صدر جعفر بقوة) أنا لست عزيز الخونة وعديمي الشرف والوفاء. الذين يريدون تنفيذ الانقلاب ضد خليفة الله.. هيا.. اسرع تعال معي.

جعفر: حسنا.. سأتي معك إلى أمير المؤمنين.

مسرور: (بلا مبالاة) الوقت متأخر إنه لا يريد ان يراك.

جعفر: (بخوف) ماذا تقصد؟

مسرور: (بابتسامة مشوية بالاستخفاف) عجيب، أنت رجل معروف بالفراسة.. لكنك الآن أحق وأبله بحيث لاتعرف أن لدي امراً بقطع رأسك.

جعفر: (يرتجف) أنت مخطيء.. امير المؤمنين لا يصدر هذا الأمر أبدا..

مسرور: (يقترّب من جعفر يهمس في أذنه) عباسة.. الليلة أرسلت عباسة إلى حسن وحسين وسأرسلك الآن إليها..

جعفر: (يتخلّى عن البكاء والتوسل، يصرخ بصوت عال ويسقط على الأرض) هيا اسرع اقتلني. اللعنة عليك وعلى الخليفة راعي البعير.

مسرور: اخرس ياخائن. لكي لايسمع.. اذا سمع شتائمك هذه سيدفئك حيا.

جعفر: قلت هيا اسرع.

مسرور: (يسحب جعفر ويأخذه إلى خلف الستار) لكي لا تتألم كثيرا ارفع رقبتك.

جعفر: قلت اسرع.

مسرور: (يضرب سيفه، تسيل الدماء من تحت الستار).

\*\*\*

أي عقل يصدق أن هارون، أخي هارون يصدر امرا بقطع رأس جعفر البرمكي (يخرج كيسا من النقود الذهبية من جيبه) هذا الكيس يحتوي خمسمائة دينار ذهبيه، هاك، إنه هدية مني لك (يأخذه مسرور منه) خذني إلى أمير المؤمنين لكي أثبت لك أنك على خطأ..

مسرور: (يدخل الكيس في جيبه).. ذهبك القدر لاينفعني.

جعفر: سأعطيك أضعاف هذا..

مسرور: لم يبق لك شيء.. لم يبق لكم أي شيء تحول جميع أموالكم إلى رماد. زوج والدك يحيى التي كانت تملك أربعمئة جارية باتت هذه الليلة على أرصفة بغداد ولم يفتح لها أحد الباب..

جعفر: (يرتجف) ماذا ارفصة.

مسرور: (بغضب) هيا تقدم.

جعفر: (يشرع في البكاء ويتوسل) دعني أرى الخليفة.

مسرور: لكنه لا يريد أن يراك.

جعفر: (بتوسل).. اذهب بنفسك لتراه أنا متأكد أنه أصدر هذا القرار في حالة السكر.

مسرور: لاداعي لاطالة الكلام.

جعفر: أنا متأكد أنه لن يغفر لك ويقول: لم لم تسألني مرة اخرى.

مسرور: (صامت قليلا يصعد السلالم ثم ينزل بعد هنيهة)، وبناءً على خاطر قال لي الخليفة: ابن العاهرة، يجب عدم تقديم الشفاعة للخائن وعديم الشرف.

جعفر: (يبكي ويتوسل يقع على حذاء مسرور) اسأله فقط أية خيانة اقترفت؟

هارون الثاني: انا وانت كنا توأمين.

هارون الأول: أجل.

هارون الثاني: انني مرهق وأريد أن نفترق.

هارون الأول: هل سنفتسرق؟ هذا الأمر ليس في يدك ولا بارادتي هو

قدرنا.. كل ما أفعله يجب أن تكون شاهداً عليه.. وأي عمل آخر

أعمله يجب أن تكون محرضي عليه، وفي النهاية أن تندم بدلا

مني، وتؤنب نفسك وتكظمها..

هارون الثاني: ليس كذلك سأتركك في هذه الصحراء القاحلة.

هارون الأول: ليست قاحلة.

هارون الثاني: لا أرى أحداً.

هارون الأول: انظر إلى الأسفل جيذا. انظر إلى الناس الجالسين هناك،

ينظرون الى سيرتنا.

هارون الثاني: لا أرى أحداً..

هارون الأول: انظر اليهم بدقة.

هارون الثاني: أشعر بحركاتهم فقط، ولا أرى ملامحهم.

هارون الأول: انا اربعون سنة ونيف تحولت إلى مقبرة متجولة لك، كما

أنت أصبحت مقبرة متجولة لي مدة اربعين يوماً..

هارون الثاني: صحيح.

هارون الأول: أنت لم تجد لي قبراً.

هارون الثاني: نعم.

هارون الأول: ها انا وجدت لنفسي قبراً.

هارون الثاني: يعني وجدت قطعة من الأرض تقبل بايوائك.

## المشهد الرابع

(نفس المشهد الاول، للفصل الاول، هارون الأول داخل التابوت،

ويسحبه هارون الثاني في نفس الصحراء).

هارون الأول: (من داخل التابوت) قلت لك لاترهق نفسك، لن تجد شبراً

من الأرض لكي تدفني فيه انا لم أمت ولن أموت..

هارون الثاني: (ينزل التابوت من على كتفه). اعرف انني لن أجد شبراً

من الأرض يرضى بك ويقبلك.

هارون الأول: يسرني أنك وصلت إلى هذه القناعة.

هارون الثاني: انها قناعتنا كلينا.

هارون الأول: ألسنا نفس التوأم السابق؟

هارون الثاني: بلى.. التوأمين قبل ولادتنا وأعرف كل شيء عنك، ماعدا

شيئاً واحداً، أريد أن أعرفه، ألسنت نادماً على ليلة الإبادة

الجماعية؟

هارون الأول: (يضحك داخل التابوت) كلا، ابقيت فضلاً ويحيى حين..

كان يحيى مكبلاً بالسلاسل ومات بعد ثلاث سنوات ومات فضل

تحت الجلد بعد ثمان سنوات. وفي فجر تلك الليلة قطعوا سبعمائة

رأس من البرامكة أمام ناظري.

هارون الثاني: ألم تندم على ذلك؟

هارون الأول: كلا، حتى أن أي شاعر كتب فيهم شعراً، كان قد ألقى

القبض عليه وشنق.

هارون الأول: كلا..

هارون الثاني: اذا: كيف تقول وجدت قبري؟

هارون الأول: أعتقد أن الظلام قد تبدد الآن بعض الشيء..

هارون الثاني: نعم.

هارون الأول: انظر جيدا، هل ترى أولئك الجالسين الذين يرمقوننا بأبصارهم.

هارون الثاني: (ينظر الى الجالسين باندهاش، يرتفع دخان أحمر من تابوت هارون الأول، وينتشر في قاعة المتفرجين ومع انتشاره يرتفع هذا الصوت من التابوت..) وها.. قد وجدت قبيري.. ها.. هم يستنشقونني مع الأنفاس.. هاقد دخلت أعماقهم.. ها لقد إستحوذت عليهم، انا الآن جميعهم.. جميعهم هارون.. هارون لم ولن يموت مادام هنالك إنسان واحد باقيا.. هارون حي.. هارون. لن يموت.

(ستار)

\*\*\*

